مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

د. نبيل فاروق

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

46

القادم

(وقصص أخرى)



• مـع القـــرن الحـادى والعشرين ..

• مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب .

• مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

• مـع كل هـذا جـاءت كوكتيل 2000 ، بمثابة باب إلى المعرفة ..

• *إلى الحضارة ..*

• *إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم ..*



حرب قلم

د. نبيل فاروق

حيرة كبيرة انتابتنى ، عندما أمسكت قلمى ، لأبدأ هذا المقال ، الذى يفترض منه أن يروى مشوار حياتى ، مع الرواية البوليسية ، وعالم الإثارة والغموض ، فلقد تساءلت ، وأنا أمسك قلمى ، من أين أبدأ مشوار الكتابة بالضبط ، فمن المؤكّد أن المشوار لا يبدأ مع ظهور أعراض الموهبة ، التى يمن بها الله سبحانه وتعالى ، على بعض عباده ؛ ليحملهم بها مسئولية نقل شىء ما إلى الناس ، ولا من مرحلة الشغف بالقراءة والاطلاع فى الطفولة ، ودور والدى رحمه الله أو أسرتى ، فى تنمية ذلك ، ولا مع المحاولات البسيطة الساذجة ، التى يقوم فيها فى حداثته ، بمحاولة إفراغ بعض ما يشعر به ، أو نقله إلى أقرانه ، فى صورة حكايات يحكيها ، أو روايات ينسجها خياله ، يفرغ بها ذلك الفيض اللذيذ ، الذى ينسكب منه مرغمًا ، من الأعماق إلى الأطراف ، مجاهدًا للإفصاح عن نفسه ، وإعلان وجوده ، أو يحاول إثبات أنه يختلف ، دون أن يدرى حتى فيم يختلف !!..

ثم إنه لا يبدأ حتمًا مع مرحلة النهم لكل ما هو مطبوع ، ولا شراهة التهام الكتب والمجلات ، فكثيرون يصابون بهذا ، دون أن تظهر عليهم أعراض الكتابة والابتكار ...

هناك حتمًا بداية للمشوار ...

للانطلاق ...

لتلك المرحلة ، التى يدرك فيها المرء أن كيانه الجسدى ، لم يعد باستطاعته كبت تلك الموهبة داخله ، وأنه صار من المحتّم عليها أن تنزع قيودها ، وتحطّم أسوارها ، وتفلت من حصارها ... وتنطلق ..

ومن هذا المنطلق ، وجدت أن الانطلاقة الحقيقية تبدأ مع حرب أكتوبر 1973م ، وبالتحديد مع أولى خطواتى فى كلية طب طنطا ، عام 1974م ؛ والتى دخلتها مرغمًا ، إرضاءً لأسرتى ، وطاعة لمجموع ، ونظام تعليم فرضه علينا فكر لا مجال هنا لمناقشته ، ففى تلك الفترة ، كنت ، كمعظم أبناء جيلى ، شديد الشغف بالرواية البوليسية وروايات المخابرات والمغامرات ، ومتابعًا جيدًا لمؤلفات موريس لبلان ، وآرثر كونان دويل ، وأجاثا كريستى ، وكنت عاشقًا ، فى الوقت نفسه ، وعلى خلاف أقرانى ، لروايات الخيال العلمى ، أجد فيها متعة خاصة ، وأسبح بخيالى مع عظماء أدبائها ، من جولى فيرن ، إلى هـ .ج . ويلز ، إلى أرثر كلارك ، وإيزاك أزيموف ، ومغرمًا فى الوقت ذاته

بلعبة الشطرنج ، وكل الألعاب التى تخلط المتعة بالتفكير وإعمال العقل .... وعقب حرب أكتوبر ، حمل وجدانى كله مشاعر جديدة تمامًا ... مشاعر الوطنية والانتماء والعزّة ، التى اشتعلت فى نفوسنا جميعًا ، وأفاضت علينا فيضًا وطنيًا ، غمرنا جميعًا ، وغيّر مع النصر الكثير من مفاهيمنا ، وزرع فينا العديد من الأحلام والآمال ..

كنت ككثيرين متعلقًا بأرسين لوبين ، وشيرلوك هولمز ، ومس ماربل ، وهيركويل بوارو ، وأغرق مع ما فى رواياتهم من حبكة ومتعة وغموض وإثارة ، ولكنى فجأة ، وبعد نشوة نصر أكتوبر ، بدأت أراهم على نحو مختلف تمامًا ، فلم يع أحدهم يناسب تقاليدى ، أو فكرى ، أو معتنقاتى الدينية ....

كنت أرى ، على الرغم مما فى رواياتهم من متعة وإثارة ، فهم غربيون ، لا يناسبون تقاليدنا ، ولا مفاهيمنا ، ولا حتى ديننا ، وعلى الرغم من هذا ، فهم يبهرون شبابنا ، ويبدلون تفكيره ، ويفسدون معتقداته ، والصحافة تهلّل لهم ، وتفرد الصفحات للحديث عن مبتكريهم ، دون أن تنتبه إلى ما يمثله هذا من خطر ...

وربما لهذا ، بدأ ينمو فى أعماقى غضب ما ، يتصاعد مع الوقت ، ويمتزج مع شعور بالخطر ، وإحساس قوى بضرورة وجود وسيلة لمواجهة هذا ، وعندما بلغت عامى الأخير فى الكلية ، كنت قد وضعت لنفسى فكرة خاصة ، فقد قسمت سبب نجاح وانتشار هذه الروايات والشخصيات إلى قسمين ، الشخصية الروائية المبهرة ، وأسلوب المتعة والغموض والإثارة والتشويق ....

إنها إذن مسألة أسلوب ، اعتمد على شخصية مبهرة ، ذات سمات لا تتناسب معنا أبدًا ....

ومن هذا المنطلق ، بدا لى الحل ، ولا يزال ، سهلاً وبسيطًا ؛ فالشباب يسعى وراء الأسلوب ، وينبهر بشخصية غربية ، فلنمنحه إذن شخصية عربية ، ترعى ثقافته وتقاليده ودينه ، وتحرص على انتمائه ، ونضعها فى صورة مثيرة ، غامضة ، جذّابة مبهرة ..... باختصار أن نعطيهم ما يريدون ، ولكن كما نريد ...

وفى الوقت نفسه ، ودون أن أتوقّف عن متابعة روايات الخيال العلمى ، التى كانت ومازالت تبهرنى ، رحت أدرس

مراحل تطوّر الرواية البوليسية ، التى بدأت كرواية مثيرة فحسب ، تعتمد على الكثير من المصادفات والمفارقات ، ثم لم تلبث أن دخلت عصر آرثر كونان دويل ، الذى حوّلها إلى روايات جادة ، جذبت كبار القوم ، لما تعتمد عليه من أسلوب علمى ، فى الاستنباط والاستدلال ، أشبه بعمل المعمل الجنائى ، وخطوات منطقية ، ذات منهج واضح لكشف الجانى ، أو حل اللغز ، الذى يبدو فى البداية شديد الغموض ، ثم جاءت بعده أجاثا كريستى ، لتقفز بفن الاستدلال إلى مرحلة شديدة الرقى ، حيث لم تعتمد على الأدلة المادية وحدها ، ولكن على العوامل والتأثيرات النفسية أيضًا ، مما كان له أكبر الأثر ، فى رقى الرواية البوليسية ، ووضعها فى مصاف الروايات العظيمة ، حتى إن عالمًا فذًّا ، مثل ألبرت أينشتاين ، صاحب النظرية النسبية ، لم يكن يقرأ سواها ...

فى نفس هذا الوقت ، كان الأستاذ محمود سالم قد أدخل فن الرواية البوليسية إلى مصر ، وفتح الباب أمام العديدين لتقديم نماذج أخرى ، لم تنجح فى التفوّق عليه ، ولكنها كانت بداية ضرورية ، ولقد اتخذت رواياته اسم الألغاز؛ لأنه كان يبدأ كل رواية منها بكلمة (لغز) ، وكانت بسيطة نسبيًا ، مما كان له

أيضًا أكبر الأثر ، فى المحاولات التى أتت بعده ، والتى سعى معظمها لتقليده ...

وفى الوقت ذاته ظهر أستاذ روايات الخيال العلمى المصرية ، وأستاذى على كل المستويات ، الأستاذ نهاد شريف ، الذى بعث فى نفسى الأمل ، مع الأستاذ محمود سالم ، فى إمكانية أن يتحوّل حلمى إلى حقيقة ، دون أن أدرى أن هذا أمر عسير المنال إلى حد كبير ، فى مجتمع اعتاد نمطية أدبية معيّنة ، يحرص عليها ويتمسّك بها ، ويحارب فى شراسة كل ماهو سواها ، دون أن ينتبه إلى أنه بهذا يقتل الأساس الرئيسى للأدب والإبداع ، فلو أننا تمسكنا بالقديم ، مع شديد احترامى له ، وحاربنا كل جديد ؛ لمجرّد أنه يختلف ، لظل العالم محلك سر ، ولجمد الفكر ، ومات الإبداع ، الذى هو أساس كل الفنون والآداب ، حتى إننا نصف كل الموهوبين بأنهم مبدعون ، وهذا لا يتأتى دون ابتكار وتجديد ...وقبل تخرّجى من كلية الطب ببضعة أشهر ، كنت قد وضعت الخطوط العريضة لعملى الأوّل ، وللشخصية التى أردت بها منافسة شخصيات عالمية راسخة فى كل الأذهان ، أو ربما مزجتها كلها ببعضها البعض ، وصنعت منها شخصية عربية ، تصوّرت أن سوق النشر سيستقبلها

باحترام ، فحملت كشاكيلى ، التى بدأت بتدوين خواطرى فيها ، ثم لم تلبث أن تحوّلت إلى محاولات روائية محدودة ، وسافرت إلى القاهرة ؛ لأعرضها على دور النشر هناك ، وزرت فى يوم واحد ثلاث دور نشر ، حكومية وخاصة ، وكلها رفضت شخصيتى بمنتهى العنف ، وواحدة منها كانت شرسة أيضًا فى رفضها ...

ولو أنهم رفضوها لركاكة الأسلوب ، أو ضعف الفكرة ، أو سوء المعالجة ، أو حتى قصور اللغة ، لما ضايقنى هذا أبدًا ، ولكن المشكلة أنهم جميعًا رفضوها لنفس السبب ، الذى كتبتها من أجله ...

رفضوها لأنها بطولة فردية ...

وفى كل دار نشر ، سمعت محاضرة عن ضرر الشخصية الفردية ، وتأثيرها السلبى على الشباب ، وضرورة تعويدهم على العمل الجماعى وروح الفريق ، ونسوا جميعهم أن السوق زاخر بالشخصيات الفردية ، التى يتابعها الشباب وينبهرون بها ، ويسعون لتقليدها أيضًا . بل وإن الأساتذة الكبار فى الصحافة يتحدثون عنها ، كما لو كانت معجزات أدبية ، وعندما جرؤت

على قول هذا لأحدهم ، والإشارة إلى أن كتاباتى هى محاولة للتصدّى لهذا ، كان جزائى هو الطرد فى شراسة وعنف ...

وعدت إلى طنطا ، غير قادر على استيعاب فكرهم أو وجهة نظرهم ، المغرقة فى الأكاديمية ، والقاصرة عن إنقاذ شبابنا من فخ الشخصية الغربية ، ومازلت على رفضى لوجهة نظرهم ، بعد كل هذه السنوات ، وربما كان لرفضى هذا أكبر الأثر فى مستقبلى ؛ لأنه جعلنى أواصل محاولاتى ، على الرغم من كل ما سمعته ، وكل ما أصابنى ...

وبعد تخرّجى من الكلية ، سافرت بإرادتى لقضاء فترة التكليف الإجبارى ، فى قرية أبو دياب شرق ، فى حضن جبال محافظة قنا ، وكان لهذا أيضًا أكبر الأثر ، فى مسار حياتى كله ؛ فهناك ، لم يكن لدى إرسال إذاعى أو تليفزيونى ، وكانت متعتى الوحيدة والأساسية هى القراءة ، لذا فقد كنت أسافر فى نهاية كل أسبوع إلى مدينة قنا ، وأتجه فور وصولى إليها إلى دار المعارف ، حيث أبتاع كومة من الكتب والروايات ، فى كافة المجالات ؛ لتكون أنيسى وسط الجبال ، ومع فترات الفراغ الطويلة ، التى أقضيها هناك ، وكنت ألتهمها فى نهم ، يفوق حتى نهمى القديم ،

وأقرأ فى كل المجالات تقريبًا ، من العلوم إلى السياسة ، إلى الدين ، والصهيونية والتاريخ وكتب النقد الأدبى ، وحتى كتب الإحصاء والحسابات ...

وعندما عدت إلى بلدتى ، بعد انتهاء فترة التكليف الإجبارى ، كنت قد قرأت طنًا من الكتب والروايات ، والأهم هو أننى عدت أكتب فى كشاكيل جديدة ، حملت عشرة منها فى رحلة عودتى ، وكل صفحة فيها مغموسة بحبر قلمى ، وخلاصة أفكارى ...

وبعد عودتى ، وبسبب مشكلات بيروقراطية سخيفة ، تعانى منه معظم دول العالم ، بكل مستوياتها ، على عكس ما يتصوّر البعض ، عانيت من أزمة مالية طاحنة ، منعتنى من شراء كتب أو روايات جديدة ، وبالنسبة لى كان هذا هو العذاب بعينه ، حتى قرأت فى دورية رسمية إعلانًا عن دار نشر ، تطلب كتّابًا شبان ، لكتابة روايات الخيال العلمى ...

لحظتها أشرق الأمل فى نفسى مرة أخرى ، فأنا أعشق روايات الخيال العلمى ، وأعشق الرواية البوليسية أيضًا ، فلماذا لا أمزج هذا بذاك ، خاصة وأن رواية الخيال العلمى هى أسلوب يطرح سؤالاً (من فعل هذا ؟!..) أو (كيف حدث هذا ؟!..) ،

وأحد أعظم سماتها ، هو أنه من الممكن أن توضع فى عشرات الأشكال ، من الاجتماعى ، وحتى السياسى ، فلماذا لا نختبرها فى الخيال العلمى أيضًا ؟!..

كانت تجربة جديدة ، ولكننى أقدمت عليها ، وأرسلت إلى دار النشر قصة خيال علمى كما طلبت ، ولكنها تتبع منهج الرواية البوليسية ، كما أرغب .... والمفاجأة أننى ربحت ، وتعاقدت مع دار النشر ، وتحقّق حلمى أخيرًا ، وصار من الممكن أن أرى اسمى مطبوعًا على الورق ... والأجمل أن الأستاذ حمدى مصطفى ، صاحب دار النشر ، شخصية متفتحة للغاية ، واقتنع بأنه لدى ما يمكن أن أقدمه ، فمنحنى حرية لا محدودة ، فى كتابة كل ما يحلو لى ، دون أية قيود ، مما جعلنى أتذكر لحظتها قول بوجارت « الفرصة لا تأتى إلا لمن يستحقها » وأدركت أن الفرصة التى أحلم بها منذ سنوات قد أتت ، وعلىّ أن أحسن استغلالها ، إلى أقصى حد ....

وطوال سنوات ، رحت أفرغ مخزون عمرى كله ، وأعيد كتابة وصياغة ما حملته كشاكيلى القديمة ، التى ما زلت أحتفظ بها ، وتصوّرت أن الحرب قد وضعت أخيرًا أوزارها ، وستتخذ الحياة مسارها ، ولكننى ، ومرة أخرى ، كنت واهمًا ... فما أن بدأت

أعمالى تنتشر وتلقى رواجًا ، حتى واجهت حربًا عنيفة للغاية ، بدأت بتجاهل تام ، ثم انتقلت إلى مرحلة الهجوم الضارى ....

فى البداية قيّموا أعمالى باعتبارها كتابــات أطفــال ، ومــرة أخرى من دون أى سبب علمى أو منطقى ، فعندما سألت أحد النقاد عن السبب ، أجابنى بأن حجمها يفرض عليها هذا ؛ لأنه نفــس حجم كتابات الأستاذ محمود سالم ، المعروفة بالألغاز ، ولم يكن هذا فى نظرى تقييمًا يستحق الاحترام ، على أى نحو كان ، فنحن لا نصف مادة ما بأنها خشب مثلاً ، لمجرّد أن شكلها الخــارجى يبدو كذلك ، وإنما نصفها بأنها خشب ، لأن الصفات الفيزيائيــة والكيميائية والبيولوجية للخشب تنطبق عليها ، ووصف كتابــات ما بأنها كتابات أطفال ، يأتى من دراسة أســلوبها ، ولغتهــا ، والمفاهيم التى تطرحها ، وأمور أخرى كثيرة ، وليس أبــدًا لأن شكلها يوحى بهذا ، أما من يقول أن موضوعاتها تندرج تحت أدب الأطفال ، فهذا يقودنا إلى سؤال مهم : لماذا لا تصنّف هذه النوعية باعتبارها كتبًا للصغار ، فى أية مكتبة عالمية ، وكلهــا صارت موجودة الآن على شبكة الإنترنت ؟!...

إنها ليست النوعية إذن ، بل هو الفكر ، الذى يرفض كل جديد ، ويحارب كل ابتكار ، ويصر على التعــامل مع الأدب بتعال غيــر

مبرّر ؛ لأن الأديب المثقّف الحقيقى لا يمكن أن يرفض شــيئًا ، فقط لأنه لا يناسبه ، أو لا يروق له ...

وأدب الأطفال أدب عظيم ، يفوق فى عظمته ما أكتبه ألف مرة ، ويحتاج إلى قاموس لغــوى خــاص ، ومفاهيم تناسب الصغار ، ولا تفسد عقولهم ، ولكن المضحك فى مشوار حياتى ، هو أنهم صنفوها ظلمًا بأنها أدب أطفال ، ثم حاربوهــا بعنــف ؛ لأنهــا لا تناسب الأطفال ، دون أن ينتبهوا إلى ما فى هذا من تنــاقض ومفارقة ، ولكن هذا لم يستوقفنى والحمد لله (عــزّ وجــلّ) ، ربما أيضًا لأنه لم يكن علميًّا ، ولكن كان له تأثير بالتأكيد علــى مسار حياتى ، وخاصة عندما قضيت أربعة عشر عامًا ، حتــى أمكننى دخول اتحاد الكتّاب ، الذى أصرّ بعض أعضائه علــى أن كتاباتى مجرّد تيك أواى ، ولا ترقى لمستوى الانضمام للاتحاد ، حتى تدخّل الكاتب الكبير إبراهيم عبد المجيــد ، وتعــاون معــى الدكتور مرعى مدكور ، وتم قبولى أخيرًا عضوًا بالاتحاد ، الذى لم يساندنى عمليًّا أو أدبيًّا ، فى أية أزمة مررت بها ...

كل هذا والناقد نفسه يصر على أن كتاباتى هى كتابات أطفال ، على الرغم من أنه يؤكّد فى زهو ، لم أدر سببه ، حتى لحظــة

كتابة هذه السطور ، أنه لم يقرأ حرفًا واحدًا مما أكتبه ؛ لأن هذه النوعية لا تستحق القراءة !!!!.....

المهم أننى واصلت مشوار الحياة ، ورحت أحــاول مواكبــة التطورات والمتغيرات من حولى ، والتعبير عنها فى روايــاتى ، من علم وتطوّر واقتصاد وحتى سياسة ، حتى جاء يوم ، تقدّمت فيه للترشيح ؛ لنيل جائزة الدولة التــشجيعية فــى أدب الخيــال العلمى ، بعد محادثة مع الدكتورة هــدى وصــفى ، وفوجئــت بتوفيق من الله تعالى بفوزى بالجائزة ، التى حملت فى الوقــت ذاته ، وإلى جوار اسم الرواية الفائزة واسمى ، اسم السلسلة ، التى هوجمت بسببها لما يقرب من ربع قرن ، ليتوّج هذا مشوار حياة ، مازالت مستمرة ، ومازال الناقد نفسه يحيا فى غيبوبتــه وإصراره ، حتى إنه هنأنى ، عند فوزى بجائزة الدولة التشجيعية فى الأدب ، على فوزى بجائزة أدب الأطفال !!...

وكان هذا يعنى بالنسبة لى ، أن الحرب ما زالــت لــم تــضع أوزارها بعد ...

حرب قلم .... أنهكه قتال ..

أدبى .



%99

(رؤية ساخرة)

« الانتخابات جاية يا مولانا ... »

نطق الوزير العبارة فى تردد حذر مضطرب ، وهو ينحنى انحناءته التقليدية ، التى تجعله أشبه بالزاوية القائمة ، أمام الوالى ، الذى ألقى حبة عنب فى فمه فى تراخ متكاسل ، وهو يسأله ساخرًا :

« ومالك ــ متاخد ليه يا وزير ، ما هى كل مرة بتيجى ... ــ عملت إيه يعنى ؟... »

تردد الوزير قليلاً ، قبل أن يقول فى حذر أكثر :

« المرة دى مش زى كل مرة يا مولانا ... »

رمقه الوالى بنظرة مستهجنة ، وهو يلتقط حبة عنب أخرى ، قائلاً :

« اشمعنى ... ما كل مرة بأرشح نفسى ، وبنسيب تلاتة أربعة يعملوها ، وتطلع النتيجة تسعة وتسعين فى المية ،

ونلفقلهم بعدها تهم ، ونبعتهم معتقل المغول وخلاص ، إيه اللى حيستجد المرة دى يعنى ؟... »

بلغ تردد الوزير وارتباكه حدًا ، جعل الوالى يصرخ فيه ، وهو يلقى حبة العنب الثانية فى حلقه :

« ما تنطق ... »

حسم الوزير أمره ، وقال فى سرعة وخوف :

« السلطان جاى ... »

سمع الوالى العبارة ، فتوقفت حبة العنب فى حلقه ، واحتقن وجهه المكتظ ، وراح يسعل فى شدة ، فأسرع الوزير يضربه على ظهره ، وهو يهتف بالحراس :

« مية بسرعة ... عايزين سيدنا وتاج راسنا يروح فيها يا بقر ... »

غمغم أحد الحراس بعبارة غير مسموعة ، وهو يسرع مع الباقين فى إحضار الماء الذى سقاه الوزير للوالى ، وهو يواصل التربيت على ظهره ، مهمهمًا :

« صحة وعافية ... »

نظر إليه الوالى فى ارتياع ، وسأله فى صوت أشبه بالبكاء :

« بتقول مين جاى ؟... »

أجابه الوزير فى خفوت ، وكأنه يخشى أن يفزعه :

« السلطان جنابك ... »

بدت علامات الذعر على وجـــه الوالى لحظات ، وفرّت الدماء من وجهه المكتظ ، وهو يقول فى ذعر :

« وجاى يعمل إيه ؟!... »

انحنى الوزير أمامه مـــرة أخرى دون داع ، وهو يجيب فـــى احترام :

« جاى يشرف على الانتخابات بنفسه يا مولاى ... »

رأى علامات الفزع على وجه الوالى ، فمال نحوه ، مكملاً فى صوت خافت :

« إظـــاهر حـــد ابن حـــرام ، قاله إننـــا قـــال إيه ، بنـــزور الانتخابات ... »

هتف الوالى مستنكرًا :

« بنزورها ؟!... إحنا ؟!... »

تمتم ذلك الحـــارس بعبارة خافتة أخرى غير مفهومة ، فصاح به الوالى فى غضب :

« بتقول إيه يا حيوان ... »

أجابه الحارس فى سرعة وذُعر :

« بادعى لجنابك يا مولانا ... »

صاح فيه بعصبية :

« إبقى ادعى بصوت عالى يا جاموسة ... »

ثم التفت إلى الوزير ، مردفًا فى هلع :

« طب وحنعمل إيه ؟... »

وبدا فجأة وكأنه قد تذكر شيئًا ما ، فهتف فى حدة :

« وبعدين ده يبقى تدخل فى شئون الولاية الداخلية ، وده أمر ما نسمحش بيه ... »

مال عليه الوزير مرة أخرى ، هامسًا :

« ماهو طول عمره بيتدخل ونسمح يا مولاى ...

أجابه الوالى فى فزع ، وبصوت هامس مماثل :

« ما هو المـــرة دى ما ينفعش يا وزير ... ده احنــا دافنينه سوا ... هوه مين غير إللى بنعمله ، حانجح برضه ؟... »

تردد الوزير كثيرًا ، وبدا تردده واضحًا فى صوته ، وهو يقول :

« والله يا مولاى ... يعنى ... الحقيقة ... »

قاطعه الوالى فى غضب :

« طب لما أنت فاهم كده ما تشوف لنا حل ... مش أنت إللـــى ورطتنا فى المصيبة دى ... »

اتسعت عينا الوزير ، وهتف فى فزع :

« أنا يا مولاى ؟... »

أجابه الوالى ، وغضبه يتزايد :

« أيوه أنت ... زمان كنا ممشينها تصويت ... عايزين الـــوالى ولا مش عايزين ، وكنا بنظبط أمورنا وتعـــدى ، قعدت تقوللى إصلاح ، ومنظرة ، ونسكت بتوع ارفض ، والقانون بتاعنا ، وشيخ الولايـــة معانا ، وأهى عكت على دماغنا كلنا ... شوف لنا بقى حل ... »

بدا الوزير حائرًا مضطربًا ، وهو يحاول إيجـــاد حـــل لهـــذه المصيبة ، وامتقع وجهه أمام الوالى ، الـــذى يرمقـــه بنظـــرات غاضبة ، فقال وكأنه يحدث نفسه ، أو يختبر رد الفعل :

« ما هو السلطان حيجى ومعاه رجالته ، وبتوع الدرك بتوعنا مالهومش عليهم كلمة ، والوزرا كلهم فى الأجازة ، و ... »

قاطعه الوالى فى حدة :

« أجازة ... أجازة إيه ؟!... فين وزير الكرسى ؟... »

انحنى الوزير كعادته ، وهو يجيب :

« فضلة خيرك يا مولانا ، بيملا حمام الـــسباحة فـــى قـــصره الجديد ... »

هتف الوالى مستنكرًا :

« هو جاب قصر تانى ؟!... ما عنده سبعة ... »

قال الوزير ، دون أن يعتدل :

« ده فضلة خيرك قصر صغير كده ، عشان أحفاده يلعبوا فيه ... حاجة ماتكملش خمسين ستين فدان ... »

سأله الوالى فى غضب :

« طب ووزير الدنانير ؟... »

أجاب الوزير فى سرعة :

« فضلة خيرك يا مولانا ، بيشطب القرية السياحية الجديدة بتاعته ، فى الساحل الجنوبى ... »

بدا الوالى أكثر غضبًا ، وهو يقول :

« هو الجدع ده ما بيشبعش قرى سياحية ؟!... ده كل سنة أسمع إنه بيشطب قرية جديدة !.. »

كاد رأس الوزير يرتطم بالأرض ، من فرط الانحناء ، وهو يقول :

« فضلة خيرك بقى يا مولاى ... »

رمقه الوالى بنظرة غضب ، وسأله فى حدة :

« وأنت بقى عملت إيه ، من فضلة خيرى دى ؟... »

زاد الوزير من انحنائه ، وهو يجيب :

« أبدًا يا مولاى ... ده أنا عالحديدة ... »

أطلق الوالى ضحكة عصبية ساخرة ، قبل أن يقول :

« قصدك على حديد الولاية كله ... أنت نسيت ولا عايزنى أفكرك ... ده أنت حتى بتبيع حديد للواد ليشع ، فى الولاية إللى لطشها دى ، وأرخص من هنا كمان ... »

فى هذه المرة كانت انحناءة الوزير كبيرة ، حتى إن رأسه ارتطم بالأرض فعليًا ، وهو يقول :

« فضلة خيرك والله يا مولانا ... »

زفر الوالى فى حنق ، ولوح بيده قائلاً :

« ما علينا ... نبقى نتحاسب بعدين ... المهم دلوقتى شوف لنا حل ، فى المصيبة التقيلة دى ... حنعمل إيه لما ييجى السلطان ورجالته ؟!... حنعديها إزاى ؟... »

حاول الوزير أن يعتصر ذهنه ؛ بحثًا عن مخرج ، ولكن الورطة كانت كبيرة بالفعل ؛ فلقد اعتادوا دومًا لعبة تزوير الانتخابات ، ولقد برع هو فيها ، واستخدم عساكر الدرك لإرهاب الناس أيامها ، وأضاف أسماء الموتى والمهاجرين ، حتى لم يعد يدرى كيف يمكن أن تدار انتخابات حقيقية !!...

ثم إنه من المستحيل أن تدار انتخابات حقيقية ، وتحت إشراف سلطانى ، إلا لو كان الغرض منها هو عزل الوالى الحالى ، الذى ظل فى الولاية ، منذ كان هو طفلاً صغيرًا ، وحتى صار وزيرًا ...

كيف يمكن تجاوز الكارثة إذن ؟!...

كيف ؟!...

« وجدتها ... »

هتف الوزير بالكلمة فى حماس شديد ، تهلل معه وجهه كله ، فانعقد حاجبا الوالى ، وهو يقول :

« طب قول يا سى أرشميدس ... »

أجابه الوزير فى حماس :

« جنابك السلطان عمره ما جه هنا ، مش كده ؟... »

اعتدل الوالى يسمعه ، ويجاريه قائلاً فى اهتمام :

« كـــده ... »

أكمل الوزير بنفس الحماس :

« وما يعرفش شكل الولاية إيه ؟... »

هز الوالى رأسه ، وقال فى اهتمام :

« وحيعرفه منين ؟!.. ده حتى التصوير لسه ما اخترعوهوش .. »

ضرب الوزير كفه براحته الأخرى ، هاتفًا بكل الحماس :

« يبقى خلاص ... تاهت ولقيناها ... »

بدأ صوت الوالى يحمل بعض عصبيته ، وهو يقول :

« هى إيه دى يا أبو العريف ؟... »

أجابه الوزير ، وابتسامته العريضة تشف عن سعادته بما توصل إليه :

« الانتخابات حتتعمل فى ميعادها ، وكل حاجة حتمشى قانونى ، وبمنتهى النزاهة والشفافية والحيادية ... »

اتسعت عينا الوالى فى ذعر ، ووثب من مقعد السلطة ، يمسك برقبة الوزير صارخًا فى ثورة :

« نعم يا روح أمك ... كل اللعبة دى عشان تطيرنى ... »

اختنق صوت الوزير ، وهو يحاول تخليص رقبته من قبضة الوالى ، صارخًا :

« اصبر بس واسمعنى للآخر يا مولاى ... »

صرخ فيه الوالى :

« طب انطق ... اتكلم ... »

بدأ الوزير حشرجات الموت ، وهو يقول ، فى صوت محتقن كوجهه :

« أنطق إزاى بس ، وإيد جنابك العظيمة عاصرة رقبتى كده ... »

انتبه الوالى إلى أنه ما زال يخنقه ، فأفلت رقبته ، قائلاً فى غضب :

« أدينا سبناها ... اتنيل انطق بقى ... »

سعل الوزير عدة مرات ، ليتخلص من أثر قبضة الوالى ، ثم قال فى صوت متحشرج مرهق :

« مادام السلطان ما يعرفش الولاية ... نبنى ولاية تانية ... »

هتف به الوالى ، مندهشًا ومستنكرًا :

« نعم ؟!... أنت حتستعبط ؟... »

أشار الوزير بيده ؛ محاولاً تهدئته ، وهو يقول :

« إحنا نطلع بره الصحرا ، وعندنا الصحرا كبيرة ، وعلى قفا من يشيل ، وعمرنا ما استفدنا بيها ، ونروح نبنى مدينة كبيرة ، منظر بس يعنى ، كده زى حاجات السيما ... السلطان يعدى وسطها ، يتهيأله إنها تمام التمام ، ونقوله بقى إن دواعى الأمن تستلزم خط سير ، ونمشيه فى الحتت إللى حنبنيها بحق وحقيق وبس ... »

تابعه الوالى ، وهو يهز رأسه ، قائلاً :

« لحد كده معقول ... وفى إيدينا ... »

أكمل الوزير ، وقد بدأ يرتاح لمباركة الوالى :

« وكل إللى فى البلد العيرة دى ، يبقوا من رجالتنا ، لابسين زى المواطنين العاديين ، ويقفوا طوابير على مقار اللجان الانتخابية ، وكل شىء تمام ، قدام السلطان ورجالته ، على أكمل وجه ، ونزاهة وحيادية وشفافية ، ومافيش أى تدخل أمنى فى العملية الانتخابية ، وتطلع النتيجة قدامهم ، وللا حتى نخليهم يفرزوها بنفسهم ، وتسعة وتسعين فى المية جنابك ، وتمام التمام ، ويا دار مادخلك شر ... »

حدق فيه السلطان مبهورًا ، قبل أن يهتف :

« يا بن الجنية !.. ده فكرة ما تخطرش على بال الـــشياطين نفسهم .. »

انحنى الوزير بابتسامة عريضة ، وزاوية قائمة ، وهو يقول :

« فضلة خيرك يا مولاى ... »

عاد حاجبا الوالى ينعقدان ، وهو يقول :

« بس فيه حاجة فاتتك يا بُرم ... »

اعتدل الوزير فى حركة حادة كالمصعوق ، وهو يتساءل فى ذعر :

« إيه يا مولاى ؟!.. »

أجابه الوالى فى صرامة :

« الانتخابات النزيهة دى ، مش حيبقى فيها منافــسين ؟!... أو حتى منافس واحد قوى يعنى ... حاجة كده تخزى العين ... »

أشار الوزير بكفيه ، قائلاً ، مع ابتسامة :

« برضه من رجالتنا يا جنابك ... »

ثم التفت إلى ذلك الحارس ، الذى يغمغم باستمرار ، وقال فى صرامة :

« تعـــالَ ياله ... »

أسرع إليه الحارس مهرولاً ، فسأله فى امتعاض :

« اسمك إيه ؟... »

بلع الحارس المسكين ريقه فى صعوبة ، وهو يجيب :

« فقران سعادتك ... »

زمجر الوالى ، قائلاً فى حدة :

« يا بنى بيسألك عن اسمك ، مش عن حالتك ... »

حاول الحارس أن يبلع ريقه مرة أخرى ، ولكنه لم يجد ريقًا ليبلعه ، وهو يجيب فى صوت مبحوح :

« اسمى فقران سعادتك ... »

أشاح الوالى برأسه ، وهو يقول فى اشمئزاز :

« جتك نيلة ، عليك وعلى اسمك ... »

قال الوزير مهدئًا :

« ما هو من الشعب يا مولاى ... »

تمتم الوالى بنفس الاشمئزاز :

« عشان كده ... »

التفت الوزير إلى الحارس ، يسأله ثانية :

« اسمك بالكامل إيه ؟... »

أجاب الحارس ، وهو يكاد يفقد الوعى ، من شدة الخوف :

« فقران عدمان فطسان سعادتك ... »

ثم انخفض صوته ، وهو يستطرد فى ضراعة :

« هو أنا عملت حاجة سعادتك ؟!.. »

أجابه الوزير فى صرامة :

« أنت حترشح نفسك قدام الوالى ... »

امتقع وجه الحارس المسكين ، وكاد يسقط فاقد الوعى ، وهو يهتف بعينين بلغتا أقصى اتساعهما من شدة الرعب :

« أنا سعادتك ؟!... طب والله العظيم ماحصل ... والخاتمة الشريفة ، والمسيح الحى ، والإنجيل ، والتوراة ، ماحصلش ، ولا أستجرى يحصل ... أنا أحط مقامى بمقام جزمة مولانا ؟!.. أنا ؟... »

زمجر الوالى ، وهو يصرخ فيه فى غضب :

« افهم يا حمار ... أنت مش حترشح نفسك بجد ... ده كله كده وكده ... حركات وتمثيل يعنى يا بجم ... »

ظل وجه الحارس على امتقاعه ، وهو ينقل بصره بينهما فى حيرة مذعورة ، قبل أن يحك رأسه متمتمًا ، فى صوت أشبه بالحشرجة :

« مش فاهم جنابك ... »

أجابه الوزير فى صرامة ، وهو يبعد أنفه عنه فى اشمئزاز :

« حافهمك يا حمار ..إف .. أنت ما بتستحماش يا زفت أنت ؟.. »

قال الحارس فى خنوع ذليل :

« الميه غليت قوى سعادتك ... »

قال الوزير فى حدة :

« طب غور ... حأخليهم يصرفولك كوز وصفيحة مية ، طس نفسك بيها وانضف ، عشان شكلك يمشى مع الدور ... »

مال نحوه الوالى ، مشجعًا :

« وحنصرف لك مليون دينار ، زى الفرمان العالى ما يقول .. »

اتسعت عينا الحارس ذهولاً ، وغمغم فى انبهار غير مصدق :

« وده يطلع عطية كام شهر كده جنابك ... »

قال الوزير فى تعال :

« تقدر تقول كده مرتب عيلتك وإللى جابوك ، أنت والحتة بتاعتكم كلها ، من يوم ما اتولدتم ، لغاية مصاريف الدفنة والصوان تقريبًا ... »

هجم الحارس على يد الوزير ، يريد تقبيلها ، فدفعه الوزير بعيدًا عنه ، وهو يشير إلى الوالى ، قائلاً فى حدة :

« بوس إيد ولى النعم يا حمار ... »

أبعد الوالى يده فى خوف واشمئزاز ، هاتفًا :

« لأ ... غور ... غور .. »

أسرع الحارس يجرى ، قبل أن يتراجعا فى قرارهما ، ومال الوزير على الوالى ، قائلاً بابتسامة خبيثة :

« إيه رأى جنابك بقى ؟... »

أومأ الوالى برأسه فى رضا ، وقال بابتسامة عريضة :

« شغل شياطين ... لازم أديلك مكافأة على كده يا وزير ... قوللى .. هو مرتبك وصل كام بالبدلات ؟... »

انحنى الوزير تلك الانحناءة قائمة الزاوية ، وهو يجيب :

« ستة مليون دينار عمى فى الشهر جنابك ... وشوية فكة كده .. ييجى قدهم تقريبًا .. بس إيه رأى جنابك فى النظام ؟.. »

لم يكن بحاجة فعليًا لمعرفة الجواب ، إذ كانت ابتسامة الوالى خير دليل على سعادته بتلك الفكرة الجهنمية ، لذا فاعتبارًا من صباح اليوم التالى ، تم اختيار بقعة منعزلة من الصحراء ، وشرع وزير الديار فى بناء تلك المدينة الوهمية البديلة ، مستعينًا بخبير فى الخدع البصرية ، وأستاذ فى خيال الظل ، واعتمد الوالى ميزانية مفتوحة ، فجرى العمل على قدم وساق ، حتى تم إكمال المدينة قبل أسبوع واحد من وصول السلطان ، وبدأ مهندسو ديكورات القصر فى رشها بالتراب ، حتى تبدو قديمة ، وعلقوا فى شوارعها دعايات لانتخاب الوالى ، وبعض دعايات لمنافسه (فقران عدمان فطسان) ، فى ثوبه الجديد ... .

وجاء موعد الانتخابات ، ووصل السلطان مع موكبه ورجاله للإشراف عليها ، وذهب الوزير مع الوالى لاستقبالهم عند مدخل

المدينة الوهمية ، وكان استقبالاً حافلاً ، تكلف ثلاثة ملايين دينار دفعة واحدة ، حتى إن السلطان قال مستاء :

« كان لازمتها إيه المصاريف دى كلها يا والى ؟!.. مش الشعب كان أولى بيها ... »

أشار الوالى إلى جنوده ، المتنكرين فى هيئة مواطنين ، وقال :

« الشعب ما هو قدامك زى الفل أهوه يا فخامتك ... واكل ، شارب ، لابس جديد فى جديد ، والعطايا مغرقة الكل ، ومافيش حد محتاج ... طب ده فيه ناس ماكانتش عايزة تاخد عطية الشهر ده ، عشان مش عارفة تعمل بيها إيه ... »

انبهر السلطان بما سمعه ، وبما عليه الناس فى الشوارع ، من نظافة ونظام ، فقال وهو يربت على ظهر الوالى فى رضا :

« ده أحسن من السلطنة نفسها ... . إيه الحلاوة دى ... إحنا حنستعين بيك بقى ؛ لتحسين أحوال السلطنة كلها ... »

انتعظ الوالى للعبارات الجميلة ، وحاول أن يخفى ابتسامته ، ويتظاهر بالتواضع ، وهو ينحنى انحناءة تنافس انحناءة الوزير له ، قائلاً :

« من بعض ما عندكم يا فخامتك ... »

هز السلطان رأسه فى حيرة ، وقال :

« العجيبة يا أخى إن فيه ناس كتير بتشتكى إنك بتزور الانتخابات ، ومابتحترمش حقوق الإنسان ، وسايب الولاية فساد فى فساد ، وغيرها وغيرها ... أنت إيه ما بتقراش جرايد المعارضة ؟... »

هتف الوالى فى حماس مستنكر :

« معارضة إيه يا فخامتك ... هنا ماعندناش معارضة ... ثم أنا باقرأ الجرايد كلها كل يوم الصبح ... أخبار السلطنة ... والولاية ... والأمن العمومى ... كلها فخامتك ... »

« إيه ده ؟!... مابتقراش اليوم الأسود ... ولا دستور يا أسياد ... ولا صوت الولاية ... دى كلها صحف معارضة .. »

هتف الوالى :

« دى صحف صفرا وخضرا وحمرا فخامتك ، وكلها كذب فى كذب ... طب أدى فخامتك جيت على سهوة أهوه ... ده شعب غضبان ده ؟... »

أدار السلطان عينيه فى العسكر ، المتنكرين فى هيئة مواطنين ، وفى نظافتهم ووجوهم المنتفخة من العز ، وهز رأسه ، قائلاً :

« الحقيقة لأ ... »

أشار الوالى إلى لافتة ضخمة ، تحمل صورة فقران عدمان فطسان ، مع دعايته الانتخابية ، وقال :

« طب شوف فخامتك الديموقراطية ... أهو ده المنافس بتاعى يافطته أكبر تلات مرات من يافطتى ... ديموقراطية دى بقى وللا لأ ؟.. »

هز السلطان رأسه متعجبًا ، وغمغم :

« حقيقى ... عداك العيب يا والى ... »

ثم سأله فى اهتمام :

« صرفتوله المليون دينار بتوع الدعاية ... »

أجابه الوزير فى سرعة :

« لآخر فلس فخامتك ... »

ابتسم السلطان فى ارتياح ، وربت على كرشه الضخم ، قائلاً :

« عظيم ... عظيم ... »

سار موكب السلطان ، يضم الوالى والوزير ؛ لتفقد اللجان الانتخابية ، الموزعة فى المدينة العشوائية ، ووفقًا لأوامر الوزير المشددة ، كانت بعض اللجان تهتف للوالى ، وبعضها الآخر يهتف لفقران ، وكلما مر الموكب على إحدى اللجان التى تهتف لفقران ، كان الوالى يبتسم ، على عكس المنتظر والطبيعى ، ويهز رأسه ، قائلاً للسلطان :

« ديموقراطية بقى فخامتك ... »

ثم وصل الموكب إلى اللجنة ، التى سيدلى فيها فقران بصوته ، وكان يقف هناك بنفسه ، وفقًا للتعليمات ، وزملاؤه من رجال الحرس من حوله يهتفون بحياته ، وهم يرتدون زى المواطنين ، وزملاؤهم الذين احتفظوا بثياب الحراس ، يقفون فى حياد تام ، دون أية تدخلات ، فأعجب الموقف السلطان ، وطلب مقابلة فقران بنفسه ، وعندما هرع إليه الأخير ، كان من الصعب جدًا أن تتعرفه ؛ فقد حلق لحيته ، وارتدى ثيابًا نظيفة ، تفوح منها رائحة العطر ، وبدا أكثر ثقة بنفسه ، وهو ينحنى لتقبيل يد السلطان ، قائلاً :

« شرفت فخامتك الولاية ونورتها ... »

ربت عليه السلطان فى رضا ، وسأله :

« كل حاجة ماشية تمام يا فقران ... »

شعر الوزير بالضيق ؛ لأن فقران انحنى أكثر منه ، وهو يجيب :

« بعطف فخامتكم يا مولانا ... »

ربت عليه السلطان مرة أخرى ، وبدا أكثر ارتياحًا ، وهو يسأله :

« صرفت المليون دينار بتوع الدعاية ... »

تردد فقران لحظات ، ثم عاد ينحنى ، مجيبًا :

« مضيت عليهم فخامتك ... »

عقد السلطان حاجبيه ، وهو يسأله فى صرامة :

« مضيت عليهم وللا قبضتهم ؟... »

تردد فقران مرة أخرى ، ورمقه الوزير بنظرة نارية ، فى حين لوح الوالى بسبابته متوعدًا ، من خلف ظهر السلطان ، فأسرع يجيب :

« مضيت عالمليون فخامتك ، وخصموا منهم الضرايب والمستقطعات ، والذى منه ... »

سأله السلطان ، فى صرامة أكثر :

« يعنى قبضت كام ؟... »

أجابه فى سرعة :

« ميه خمسة وسبعين فلس سعادتك ... »

امتقع وجه الوالى ، وانكمش فى مكانه ، فى حين أسرع الوزير يقول مضطربًا :

« الباقى قرر يستثمره فى مصانع الحديد والصلب بتاعتنا فخامتك ... »

التفت السلطان إلى الوزير ، يسأله فى صرامة غاضبة :

« هو إحنا عندنا مصانع حديد وصلب ؟... »

أجابه الوزير فى سرعة :

« طبعًا فخامتك ... دى شركة مساهمة كبيرة ... »

سأله السلطان فى اهتمام :

« ومين مساهم فيها ؟!... الشعب ؟... »

أجاب الوزير فى حماس مصطنع :

« طبعًا فخامتك ... مرات الوالى ، وأولاده ، ومراتى وولادى ، وإخواتى وعمامى وخالاتى وولادهم طبعًا ، ومرات وزير الزر ، ومرات وزير الـ ... »

قاطعه السلطان فى غضب :

« كلهم مراتات وقرايب وزرا ومسئولين ... »

أجابه الوالى فى سرعة مضطربة :

« ماهو كلهم من الشعب فخامتك ... »

رمقه السلطان بنظرة صارمة ، وهز رأسه ، قائلاً :

« حنبقى نشوف الموضوع ده ... بعد ما تطلع نتيجة الانتخابات ... هو الفرز حيبتدى إمتى ؟... »

أجابه الوالى فى توتر :

« فخامتك إللى تحدد إمتى ... . إحنا مالناش دعوة بالفرز خالص ... رجالة فخامتك يقوموا بكل حاجة ... آه ... عشان ضمان النزاهة والشفافية ... »

هز السلطان رأسه ، وقال صارمًا :

« لما نشوف ... »

تلك الكلمة الأخيرة ، جعلت كل سنتيمتر من جسد الوالى يرتجف ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، من لحظة سمعها ، وحتى عاد مع الوزير إلى قصره ، فى انتظار نتيجة الفرز ، وعلى عكسه تمامًا ، بدا الوزير هادئًا ، منهمكًا فى تناول ثمرات الفاكهة فى شراهة ، حتى هتف هو به :

« يعنى قاعد ولا على بالك !!... »

ابتسم الوزير ، وواصل تناول الثمرات ، وهو يقول :

« الحقيقة أنا مش عارف جنابك متوتر كده ليه ؟!... أمال لو ماكناش مرتبين كل حاجة بالشعرة ... »

قال الوالى فى عصبية :

« آه ... ما أنت ما يهمكش حاجة ... طالع واكل نازل واكل ... ولو كسبت أديك وزيرى ، ولو خسرت حتبقى وزير سى زفت فقران ده ... مش فارقة يعنى ... »

شعر الوزير بتوتره الشديد ، فتوقف عن الأكل ، ليقول مهدئًا :

« تخسر ؟!... تخسر إزاى بس جنابك ... أنت إيـــه ، كـــدبت الكدبة وصدقتها وللا إيه ... دول رجالتنا ، وقلبهم علينا ... »

ظل الوالى على توتره ، وهو يفرك كفيه فى عصبية ، قائلاً :

« أصلك ما سمعتش السلطان قاللى إيه ، قبل ما يمشى ... »

انتقل قلقه وتوتره إلى الوزير ، الذى سأله :

« قالك إيه جنابك ... »

مال الوالى نحوه ، وكأنه سيخبره سرًّا عويصًا ، وهمس بكل توتر الدنيا :

« قاللى إنه ما يعتقدش النتيجــة المـــرة دى حتــكون تسعة وتسعين فى المية ، زى كل مرة ... »

همس الوزير بدوره ، دون مبرر واضح ، وبأنفاس مبهــورة للغاية :

« هوه قالك كده ؟!... »

أومأ الوالى برأسه إيجابًا ، فى توتر شديد ، فاعتدل الــوزير متراجعًا ، يفكر فيما قاله السلطان ، ثم لم يلبث أن هتف فى حماس :

« آه ... . فهمت ... »

سأله الوالى فى لهفة :

« فهمت إيه ؟!... قوللى ... »

عاد الوزير يميل نحوه ، وهو يبتسم ، قائلاً :

« أصل فخامته شاف وسمع اللجان ، إللى بتهتف لفقران ده ، وصدق إن ده بصحيح ، فقال : لما فيه كتير بتهتف لـــه كـــده ، يبقوا أكيد مش حينتخبوا جنابك ... »

تراجع الوالى بدوره ، مغمغمًا :

« تفتكر كده ؟... »

هتف الوزير فى حماس :

« أكيد جنابك ... »

بدت لمحـــة مـــن الشـــك ، على وجـــه الوالى ، فتابع الوزير فى ثقة :

« كلهم رجالتنا ، وكلهم عايشين من خيرك جنابك ، وكلهم واخدين أوامرهم منى ... يبقى مش حينتخبوك ليــه ... جنابــك إطمــن خالص ... التسعة وتسعين فى المية فى جيبنا الصغير ... »

هز الوالى رأسه ، وقال فى قلق :

« طب مش كنا خليناها خمسة وتسعين وللا تسعين ؟!... عشان حتى تبقى مبلوعة ... »

هز الوزير رأسه نفيًا فى حزم ، وقال :

« بقى تبقى جنابك ناجح بتسعة وتسعين فى المية المرة إللى فاتت ، وتقل المرة دى ... طب فخامة السلطان يقول إيــه ؟!... شعبية جنابك بتقل ! ... »

تراجع الوالى مفكرًا ، ثم أومأ برأسه ، قائلاً :

« فعلاً ... عندك حق يا وزير ... »

مع قوله دخل السلطان بادى الدهشة ، وهو يضرب كفًا بكف ، قائلاً :

« أنا مش مصدق إللى بيحصل فى الولاية دى !!... مــاتعرفش تفهم ناسها أبدًا ، مهما حاولت ... »

التفت إليه الاثنان فى لهفة ، وعقد الخوف لسان الوالى ، فى حين تساءل الوزير فى اهتمام شديد القلق :

« خير فخامتك ... »

جلس السلطان بينهما ، وهو يقول فى دهشة منفعلة :

« إنتوا مش سمعتوا بودانكم الهتافات ، وشفتم الطوابير ... »

غمغم الوزير فى حذر :

« حصل فخامتك ... »

ضرب السلطان كفًا بكف مرة أخرى ، وقال :

« رغم كل ده ... النتيجة تطلع كام ؟... »

سأله الوالى بصوت متحشرج :

« كام فخامتك ؟!.. »

ضرب السلطان كفًا بكف ، للمرة الثالثة ، قبل أن يجيب بكل الدهشة :

« تسعة وتسعين فى المية ... »

تنفس الوالى الصعداء ، على نحو ملحوظ ، وابتـــسم الـــوزير ابتسامة عريضة ، وهو يقول :

« القلب وما يريد بقى فخامتك ... »

قال السلطان فى دهشة :

« يعنى انتو شايفين إن ده منطقى ... »

أجابه الوالى ، الذى استعاد ثقته بنفسه :

« فخامتك شفت بنفسك ... كل شىء تم بحياديـــة وشـــفافية ونزاهة ... وده رأى الشعب ، والديموقراطية إننا نحترم قراره ... »

هتف السلطان ، ودهشته تتضاعف :

« بس تسعة وتسعين فى المية ؟... »

قال الوزير فى ثقة :

« وليه لأ فخامتك ... الشعب حر ، يختار الوالى بتاعه براحتــه ، ومن غير أى ضغط ... »

هز السلطان رأسه ، وهو ينقل بصره بينهما فى دهشة ، قبل أن يقول :

« حقيقى ... أنا ماشفتش فى السلطنة كلها روح ديموقراطية زى دى ... »

انحنى الوالى والوزير انحناءة تنافسية ، وهما يقولان فى آن واحد :

« فضلة خيرك فخامتك ... »

وعندما اعتدلا ، فوجئا بفقران يدخل القـــاعة ، فهتف الوزير مستنكرًا :

« ده بيعمل إيه هنا ده ؟... »

ابتسم فقران فى ثقة ، فى حين رمقهما السلطان بنظرة حائرة ، وهو يقول :

« إظاهر ما فهمتوش ... النتيجـــة طلعت تسعة وتسعين فـــى الميـــة ... »



ثم أشار إلى فقران ، مضيفًا :

« أقدم لكم الوالى الجديد ... »

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها الاثنان مصعوقين ، انحنى فقران ، حتى ضرب رأسه الأرض ، وهو يقول للسلطان ، فى خضوع وخشوع شديدين :

« من عطفك وفضلة خيرك يا مولانا ... »

د. نبيل فاروق

* * *

من أجمل سمات العلم ، أنه إهانة مستمرة للذكاء البشرى ، الذى كلما تصوَّر أنه قد قبض بأصابعه عليه ، فوجئ به يفلت من بين يديه ، ليلكمه بلغز آخر ، ومعرفة جديدة ....

مخيفة ...

د. نبيل فاروق

1 - دوى ...

فجأة ، دوت تلك الفرقعة القوية ، فى سماء مدينة (الرحاب) المصرية ، ومعهما ارتجَّت البنايات ، لأوَّل مرة منذ فترة طويلة ، ارتجاجة عنيفة نسبيًّا ، حتى إن (جو) وثب من فراشه منزعجًا ، هاتفًا :

ـ ما هذا ؟!

التفتت إليه زوجته (إيناس) ، فى هدوء لا يتفق مع انفعاله ، وهى تبتسم قائلة :

ـ إنها تلك الدوريات الجوية المعتادة ... المفترض أنك قد ألفتها .

اعتدل جالسًا على فراشه ، وهو يقول ، فى صوت يوحى بأنه لم يستيقظ كلية بعد :

ـ دوريات جوية ؟!

واجهته ، قائلة :

ـ تلك الطلعات الجويَّة ، التى تقوم بها المقاتلات المصرية ، لحماية سماء (مصر) ... ألم تخبرنى بهذا أكثر من مرة ؟!

قال فى ضيق :

ـ لم تكن أبدًا بمثل هذه القوة .

غمغمت :

ـ هذا صحيح ...

ثم أضافت فى اهتمام :

ـ ألم تخبرنى من قبل ، باعتبارك خبير صـوتيات ، أن هـذه الفرقعة تحدث ، عندما تخترق المقاتلات حاجز الصوت ؟!

أجابها ، وهو ينهض من الفراش :

ـ هذا صحيح .

ثم أضاف فى كسل ، وهو يدس قدميه فى شبشب منزلى بسيط :

ـ ولكنها لم تكن بهذه القوة .

ابتسمت هذه المرة ، دون أن تجيب ، فى حين أضاف هو فى صرامة :

ـ ثم أننى لست خبير صوتيات ... أنا خبير فى نغمة الأصوات .

سألته فى دهشة :

ـ وما الفارق ؟!

أجابها ، متجهًا نحو الحمام الملحق بحجرة النوم :

ـ فارق كبير .. رسالة الدكتوراه التى قدمتها ، وكل الأبحاث التى قمت بها ، كانت تستهدف تحديد ما يرغب أى كائن فى قوله ، من دراسة صوته فحسب .

ابتسمت ، وهى تقول معابثة :

ـ أى كائن ؟!

أجاب فى صرامة أكثر :

ـ نعم .. أى كائن ... حتى الكلاب والقطط ... كلها تعبِّر عن نفسها وعما تريد ، باستخدام أصـوات ذات نغمـات خاصـة ، ودراستى تعتمد على تحديد تلك النغمـات ، وربطهـا ببعـضها البعض ؛ لتحديد متطلباتها .

بدا عليها اهتمام حقيقى ، وهى تقول :

ـ أمر شيق بالفعل .

بدت عليه السعادة لقولها ، وقال فى لهجة ، تحمل شيئًا مـن الزهو :

ــ هذا يختلف كثيرًا ، عن خبراء الصوتيات العاديين .

غمغمت ، وهى تلتقط قطتها ، وتداعبها فى حنان :

ــ بالتأكيد .

كان يهم بدخول الحمام ، عندما دوت فجأة فرقعة أخرى ، أكثر عنفًا من سابقتها ، حتى أن المنزل كله ارتج فى قـوة ، وأطلقـت القطة مواء مذعورًا ، وهى تثب من بين يدى (إيناس) ، وتعـدو لتختفى أسفل الفراش ، فى حين تشبَّث (جو) بقـائم البـاب ، خشية السقوط ، وشهقت (إيناس) هاتفة :

ــ رباه !..... إنها قوية للغاية .

انعقد حاجبا (جو) ، وهو يغمغم ، فى قلق شديد :

ــ هذا يتجاوز كل المعتاد .

امتزجت غمغمته بصوت طائرات تنطلق ، محلقة على ارتفاع منخفض ، فقالت (إيناس) مذعورة :

ــ ماذا حدث ؟!... هل يشن الإسرائليون علينا حربًا مفاجئة ؟!

تنازل (جو) عن فكرة دخول الحمام ، وهو يسرع نحو النافذة ، قائلاً فى توتر :

ــ وفقًا لمعلوماتى الفيزيائية ، لا يمكن حدوث هذا ، إلا إذا ...

لم يكن قد أتم عبارته بعد ، عندما تراجع فجأة بحركة حادة ، وهو يطلق شهقة قوية ، جعلت (إيناس) تثب من مكانها ، هاتفة :

ــ ماذا حدث ؟!

فوجئت بعينيه متسعتين ، على نحو لم تعهده من قبل ، وبصوته يرتجف ، فى انفعال غامر ، وهو يشير إلى النافذة بأصابع مرتجفة ، هاتفًا :

ــ هناك ...هناك ...

كان من الواضح أن انفعاله يعرقل خروج كلماته من بين شفتيه ، فاندفعت (إيناس) بدورها نحـو النافذة ، محاولة رؤية ما أثار انفعاله إلى هذا الحد ، ولكنها لم تلمح فى السماء سوى مجموعة من المقاتلات ، تبتعد عند الأفق ، على ارتفاع منخفض ، لم تشهد مثله من قبل ، فالتفتت إليه ، تسأله فى حيرة :

— هل كانت قريبة للغاية ؟!

ظلّ لحظات يلوّح بذراعه فى انفعال ، قبل أن يهتف :

— لقد كانت تطارد ذلك الشىء .

عادت تلقى نظرة مندهشة عبر النافذة ، ولكـن حتـى تلـك المقاتلات كانت قد اختفت فى الأفق ، فسألته ، وقد شملتها حيرة كبيرة :

— أى شىء ؟!

ارتجف صوته هذه المرة ، من فرط الانفعال ، وهو يقول :

— الطبـق .

غمغمت ، ودهشتها تتصاعد :

— طبـق ؟!

التفت إليها ، وقد حملت عيناه ذعرًا حقيقيًّا ، وهـو يجيـب مفسرًا :

— طبق طائر .

لم تصدّق أذنيها فى البداية ، فهتفت به :

— طبق ماذا ؟!... هذا مستحيل !

بدا شديد العصبية ، وهو يلوّح بسبابته نحو النافـذة ، كمـا لو أنه هناك شبح يقف عندها ، وهتف :

— لقد رأيته ... طبق طائر ، كالذى تتحدَّث عنـه الروايـات الخيالية :

ثم حملت ملامحه حيرة شديدة ، وهـو يكمـل ، فـى لهجـة شخص ، ارتبكت كل المعارف فى ذهنه :

— ولكنه يختلف .

كانت عاجزة عن مناقشته ، فى أمر لم تؤمن بوجوده يومًا ، ولكن تلك الحالة الانفعالية التى كان عليها ، جعلتها تغمغم ، وقد انتقل إليها انفعاله :

— فيم ؟!

راح يلوح بذراعيه ، وكأنما يحاول رسم صورة لذلك الشىء فى الهواء ، قبل أن يجيب ، ولم يفارقه انفعاله بعد :

— إنه يبدو فى البداية مستديرًا ، تمامًا كما يرسمونه فى الكتب الهزلية ، ولكنه عندما اقترب ، بدا شكله مختلفًا ... لم يكن مستديرًا



، وإنما كان عبارة عن مجموعة من الأضلاع ، بينها فراغــات ، وتندفع بسرعة كبيرة ، بحيث تبدو بالفعل أشبه بـــ ... بـــ ...

صمت دفعة واحدة ، فأومأت برأسها ، تستحثه على الاستمرار ، فغمغم ، فى لهجة أشبه بيأس ذاهل :

ـ بطبـــق .

لم يكن بوسعها أبدًا استيعاب هذا ...

ولم تحاول حتى فيما مضى ...

تلك الروايات الخيالية عن الفضاء ، ومخلوقاته ، والأطبــاق الطائرة ، والأجسام عديمة الهوية ، كانت دومًا بالنسبة لها أشبه بنكتة كبيرة ...

نكتة سخيفة جدًا ...

نكتة لم تصدقها أبدًا ، ولم تمنح نفسها ، ولو لحظة ، فرصــة التفكير فيها ، أو الشك فى احتمال كونها حقيقية ...

ولكن هاهى ذى الحقيقة تصل إلى بيتها ...

إلى زوجها ...

وإلى عقلها ...

وفى محاولة منها للدفاع عما تؤمن به ، قالت فى حذر :

ـ ربما هى طائرة جديدة ، مازالت فى طور التجريب .

هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ ليست طائرة .

سألته فى سرعة ، وبنفس اللهجة الدفاعية :

ـ ومن أدراك ؟!..

بدا حائرًا لحظة ، قبل أن يجيب ، فى تردد شديد :

ـ تلك الذبذبة ...

لم يكمل عبارته ...

ولم يحاول حتى إكمالها ...

ربما لأنه لم يستطع شرح الأمر لها بالتحديـــد ، حتـــى مـــع خبراته فى الفيزياء وذبذبات الصوت ...

لقد مرَّ ذلك الشىء أمامه ، وسرت مع مروره قشعريرة قوية فى جسده ، فى اتجاه اندفاع ذلك الشىء ...

لم تكن قشعريرة خوف ، أو من أثر المفاجأة ، بل كانت أشبه بما شعر به ، وهو يجرى تجاربه الأولى ، عندما أخضع معملـه كله لموجات كهرومغنطيسية قوية ...

نفس الشعور مرَّ بجسده ، مع مرور ذلك الشىء أمامه ، ثـم ذهب مع ابتعاده ...

وهذا قد يعنى أن ذلـك الـشىء ينطلـق باسـتخدام طاقـة كهرومغنطيسية قوية ، لم تستخدم بعد فى عالمنا ...

حتى آخر معرفته على الأقل ...

« ما تلك الذبذبة يا (جو) ؟!... »

ألقت (إيناس) سؤالها فى توتر بالغ ، فالتفت إليها فى حيرة كبيرة ، دون أن يدرى ماذا يقول ، فبدت عصبية ، وهى تضيف :

ـ لا تتركنى دون تفسير .

أراد أن يخبرها ....

أراد حقًّا أن يفعل ، ولكن قبل أن يقدم على هذا ، دوت فرقعة أخرى ...

فرقعة أكثر قوة ، امتزجت بدوى آخر عنيف ...

دوى انفجار ...

رهيب .

* * *

« هل سمعت ما يرددونه ؟!... »

همس (أشرف) بالعبارة ، فى أذن (جو) ، وهما يجلـسان فى مقهى شهير ، فى سوق المدينة ، فسأله (جو) فى توتر لم يفارقه بعد :

ـ وما الذى يرددونه ؟!

مال (أشرف) نحوه أكثر ، وخفت المزيد من صوته ، وهـو يهمس :

ـ طائرة مقاتلة سقطت صباح اليوم ، بالقرب من (الرحاب) .

حدَّق (جو) فى وجهه ، بنظرة خاوية ، قبل أن يردد :

ـ مقاتلة ؟!

أومأ (أشرف) برأسه تأكيدًا ، وقال فى حماس :

ـ كانت دورية نمطية ، ثم أصيب مقاتلة منها بعطب مفاجئ ، فهوت .

ثم تراجع ، متسائلاً فى اهتمام :

ـ ألم تسمع دوى سقوطها ؟!

التقط (جو) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول : فى لهجة شـابتها العصبية :

ـ بالتأكيد .

ثم استطرد فى سرعة :

ـ ومن أدراك أنها مقاتلة ؟!

هزَّ (أشرف) كتفيه ، وقال فى ثقة :

ـ هذا أمر واضح ...

أراد (جو) أن يصرخ فى وجهه بأنه أحمق ، ولا يعلم شـيئًا عما حدث ، إلا أن هذا كان سيستلزم منه وصـف مـا رآه فـى الفجر ، وما يستتبعه هذا من سخرية (أشرف) والباقين منه ، فاكتفى بأن يغمغم مكررا :

ـ بالتأكيد .

ابتسم (أشرف) ، وكأنما حقق انتصارًا ، وراح يـصف فـى حماس موقفًا لم يشهده ، ويبالغ فى وصف ما فعلتـه القـوات الجوية ؛ لانتشال المقاتلة ، وما أحاطت به المنطقـة كلها مـن إجراءات أمنية مشددة ، بلغت حـد منع السيارات مـن السير ، ومنع المارة من المرور ، بالإضافة إلى عدد السيارات الكبيـر ، الذى وصل إلى المنطقة ، وبينه سيارة هائلة ، تكفى لحمل مقاتلـة كاملة على متنها ، كما امتلأ المكان بضباط القـوات الجويـة ، وضباط الجيش ، وحتى بعدد كبير من الرجال ، الذين يرتـدون ثيابًا مدنية ، ويخفون وجوههم بمناظير شمسية داكنة ، و ....

ولم يسمع (جو) نصف حوار (أشرف) هذا ...

كان ذهنه منشغلاً طوال الوقت بالتفكير فيما حدث فعليًا ...

لقد شاهد بنفسه ذلك الطبق الطائر ....

شاهده ، وشاهد المقاتلات تطارده ....

ثم دوى الانفجار ....

وحدث ما وصفه (أشرف) ...

فما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، سوى أمر واحد ....

لقد سقط ذلك الطبق الطائر ، كما يحدث فــى أفــلام الخيــال العلمى ، التى لم ترق له يومًا ...

سقط ، وأحاطته القوات الجوية بالسرية التامــة ، وطوّقــت المنطقة كلها بنطاق أمنى قوى ، حتى لا يتسرب الخبر ...

وأولئك الذين يرتدون الثياب المدنية ، هم من رجال المخابرات حتمًا ...

أما تلك السيارة هائلة الحجم ، فقد حملت ذلك الطبق الطــائر على متنها ، وذهبت به إلى مكان ما ...

ولسبب ما ، شعر بشىء من الغضب فى أعماقه ....

لماذا تخفى الحكومات دومًا مثل هذه الأمور ؟!..

لماذا ترفض أن تعلم شعوبها بوجود مخلوقات غيرها ، فــى هذا الكون الفسيح ؟!...

لماذا ؟!...

تضاعف غضبه ، ولكن من نفسه هذه المرة ، ولــيس مــن الموقف نفسه ...

ما الذى أصابه ؟!...

لماذا يفكر بأسلوب لم يؤمن به قط من قبل ؟!...

مخلوقات أخرى فى الكون بخلاف البشر ؟!...

وقادرة على الوصول إلينا ؟!...

باللسخافة !...

« (أشرف) ... هل تؤمن بوجود كائنات غيرنا فى الكون ؟!... »

غضب أكثر ، عندما انطلق السؤال من بين شــفتيه ، دون أن يدرى ، وبخاصة عندما التفت إليه أشرف فى دهشة ، قائلاً :

ــ كائنات ماذا ؟!...

ثم تضاعف ذلك الغضب ، عندما انفجر (أشــرف) ضــاحكًا عقب سؤاله ، وهو يقول :

ــ من أين جاءتك هذه الفكرة ؟! ..

انعقد حاجبا (جو) فى توتر ، وأشاح بوجهه ، وهو يغمغــم فى عصبية :

ــ لقد شاهدت فيلمًا ، و ...

قاطعه (أشرف) بدهشة مستنكرة :

ــ فيلم ؟!..

ثم عاد يطلق ضحكة أكبر ، قبل أن يضيف :

ــ حاول ألا تشاهد هذه النوعية من الأفلام الهزليـــة ، إنهـــا تستخف بعقول المشاهدين .

وأشار إلى رأسه بسبابته ، مستطردًا :

ــ اعقلها يا رجل ... كيف يمكن أن تكون هنـــاك مخلوقـــات غيرنا ، فى هذا الكون ؟!... كيف يمكن أن يخلق الله (ســـبحانه وتعالى) غيرنا ؟

قال (جو) فى عصبية :

ــ الخالق يمكنه أن يخلق ملايين غيرنا ، فى كل أنحاء الكـــون .. لقد خلق فى البحار والمحيطات وحـــدها آلاف ، بـــل عـــشرات الألوف من المخلوقات ، من الكائنات الدقيقة ، وحتـــى الحيتـــان الهائلة ، والحبَّار العملاق .

سأله (أشرف) فى تحد :

ــ وأين هم إذن ؟!

أجابه فى سرعة :

ــ وأيـــن كـــان الهنـــود الحمـــر ، قبـــل أن يصـــل إليهـــم (كولومبوس)

قال (أشرف) فى دهشة :

ــ من (كولومبوس) ؟!

أجابه فى عنف :

ــ (كريستوفر كولومبوس) ، ذلك البحَّار الإيطالى المولـــد ، البرتغالى الجنسية ، الذى كشف قارة (أمريكا) .... أيامها أيضًا كانوا يصرون على أنه لا يوجد بشر خلف المحيط .

بدت دهشة أكثر على (أشرف) ، وهو يغمغم :

ــ رباه !... أنت مثقف بحق .

ثم عاد يسأله متحديًا :

ــ ولكن لو أنه هناك مخلوقات أخرى فى الكون ، فلماذا لـــم نصل نحن إليهم ؟!

أجابه فى تحد أكبر :

ــ ولماذا لم يصل الهنود الحمر إلى (أوروبا) ؟!

تراجع (أشرف) ، وبدا وكأنه يعمل السؤال فى رأسه ، إلا أنـــه لم يلبث أن هزَّ هذا الرأس ، وكأنما ينفض عنـــه تلـــك الأفكـــار والتساؤلات ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ أى عبث نناقشه ؟!..

التقط (جو) نفسًا عميقًا ، انتهى بزفرة استعاد معها عصبيته ، قبل أن يغمغم :

ـ صدقت ... هذا عبث بالفعل .

كان العبث بالنسبة إليه أن يناقش أمرًا كهذا ، مـع شـخص لا يؤمن بأية أمور عقلانية ، وليس مستعدًّا لتغيير أفكاره ومعتقداته ، مهما بدت أمامه أدلة أو براهين ...

شخص عنيد ....

وأحمق ...

نهض على نحو متوتر ، وقال بنفس العصبية :

ـ سأنصرف .

سأله (أشرف) فى دهشة :

ـ فى هذا الوقت المبكر ؟!..

أجابه ، فى شىء من الحدة :

ـ أشعر ببعض التعب .

لم ينتظر سماع إجابة (أشرف) ، ولكنـه ابتعـد بخطـوات مسرعة ، وهو يشعر بتوتر بالغ فى أعمق أعماقه ...

ما حاول إقناع (أشرف) به ، هو فى الواقع ما يحاول إقناع نفسه هو به ....

أن تكون هناك كائنات عاقلة غيرنا ، فى هذا الكون الشاسع ...

أمر يبدو مخيفًا ، إذا ما أمعنت التفكير فيه ....

مخلوقات غيرنا ... تصل إلينا .... وتطاردها مقاتلاتنا ...

أى رعب هذا ؟!..

وجود مخلوقات عاقلة ، قادرة على الوصول إلينا ، أمر مخيف بحق ، فهذا يعنى أنها أقوى منا ، وأنها لو أرادت ، لكانت قادرة على احتلالنا ...

اتسعت عيناه فى رعب ، عندما جالت بخاطره فكرة الاحتلال ، وبحركة غريزية ، راح يتلفَّت حوله ، وكأنما يتوقع أن تهاجمـه مخلوقات فضائية ، فى أية لحظة ، وبأسلوب غير أرضى ...

استعاد ذهنه عدة مشاهد ، من أفلام سينمائية خيالية ، وقـع بصره عليها مصادفة ...

مخلوقات مخيفة ، وقدرات خارقة ، وأحداث رهيبة ...

ولأوّل مرة ، منذ أقام بمدينة (الرحاب) ، يبدو لـه هـذا السكوت عجيبًا ومخيفًا ، مع تلك الإضاءة الخافتة ....

كانت هذه الصورة تبدو له قديمًا رومانسية ، حتى أنـــه كـــان يعشق السير وسط الحدائق ، تحت هذه الإضاءة الخافتة ، مـــع زوجته (إيناس) ....

وكانا يسيران دومًا الهوينا ...

أما الآن ، فها هو ذا يسرع الخطى ؛ لتجاوز هذه المنطقـــة ، والوصول إلى منزله ، فى أسرع وقت ممكن ...

وكمحاولة لتهدئة نفسه ، أخرج هاتفه المحمـــول ؛ ليجـــرى اتصالاً مع زوجته ...

ولكن هاتفه لم يستجب ...

لم يستقبل أية إشارات ، وكأنما أصابه عطب ما ، أو ....

توقفت أفكاره دفعة واحدة ، واتسعت عيناه فى رعب ، عندما وقع بصره على ثلاثة أجسام ، تقترب منـــه ، وتقتـــرب منـــه ، وزادت سرعة الأجسام الثلاثة ...

ثم انقضت عليه ....

مباشرة .

* * *

2 - مفقـــود ...

لم تشعر (إيناس) فى حياتها كلها بالقلق ، مثلما شعرت بهما فى ذلك اليوم ، عندما استيقظت فى الصباح الباكر ، فلـــم تجـــد (جو) إلى جوارها ...

لقد انتظرته طويلاً فى الليلة السابقة ، ولكنها لم تشعر بالقلق ؛ ربما لأنه اعتاد السهر مع أصدقائه ، فى ليالى صيف (الرحاب) الهادئة ...

ولكنه أبدًا ، ومنذ زواجهما ، وحتى قبل هذا ، لم يبت خـــارج منزله ...

ولقد اتصلت على هاتفه عشرات المرات ...

وما من مجيب ...

فى البداية ، كانت تسمع رنين الهاتف ، عند الطرف الآخر ...

ثم صارت تسمع تلك الرسالة الآلية المزعجة ، التى تخبرهـــا أن الهاتف قد يكون مغلقًا ....

وبعدها صمت تام ...

لا إجابة ....

ولا رنين ....

ولا حتى رسائل إليكترونية ...

فقط صمت ....

صمت مخيف ....

صمت لم يعد يمنحها أى جواب ، بل ويتجاوز حتـى سياسـة شركات الهاتف المحمول الثلاث ....

صمت حوّل قلقها إلى رعب شديد ، جعلها تجرى اتصالها بكل من يعرفهما ؛ لتسأله عن زوجها ...

الجميع استيقظوا على رنين الهاتف ، على غير عادتهم ...

والجميع أجابوها ...

والجميع أبدوا دهشتهم من غياب (جو) ....

وقبل أن تبلغ الساعة العاشـرة صـباحًا ، كـان عـدد مـن أصدقائهما ينتشر فى مدينة (الرحاب) كلها ..

لم تكن المدينة كبيرة . ولم يكن بها سوى نقطة شرطة واحدة ، ومركز طبى واحد ...

وكلاهما لم يسجل أية حوادث فى الليلة السابقة ....

أو أية أحداث عجيبة ...

« أين ذهب إذن ؟!... »

هتفت (إيناس) بالسؤال فى ارتياع ، وبلهجـة أقـرب إلـى البكاء ، فقال (أشرف) فى توتر ، على الـرغم مـن محاولـة تهدئتها :

ــ ربما خرج لتفقد شىء ما ... أنـت تعـرفين (جـو) ... الرغبة فى المعرفة هاجسه الأول .

هزّت رأسها نفيًا فى قوة ، وهى تقول :

ــ لا ... الأمر ليس طبيعيًّا ... لو أراد هذا ، لأرسل لى رسالة ، على هاتفى المحمول على الأقل .

غمغم (عماد) فى حيرة قلقة :

ــ أين يمكن أن يذهب إذن ؟!...

بكت (إيناس) بالفعل ، وهى تقول :

ــ ليتنى أعلم ... ليتنى أعلم .

ران عليهم صمت شديد ، قبل أن يتنحنح (أشرف) فى توتر ، قائلاً ، فى مزيج من الحذر والحرج :

ـ أظن أنه ينبغى أن نحرر محضرًا بالواقعة ..

هتفت (إيناس) فى ارتياع :

ـ أية واقعة ؟!

تمتم ، فى حذر أكثر :

ـ واقعة الاختفاء .

رددت فى ذهول مذعور :

ـ اختفاء .

تنحنح (عماد) بدوره ، وقال فى تردد :

ـ نعم ... ينبغى أن نشرك الشرطة معنا فى البحث رسميًا .

بدت ذاهلة ، غير مصدقة لما يقولانه ... بل ولا حتى للموقف نفسه ، فقال (أشرف) فى حسم :

ـ هيا ... نقطة الشرطة قريبة .

قالت من وسط دموعها :

ـ وبِمَ سنخبرهم ؟!...

صمت الاثنان لحظات ، ثم أجاب (عماد) فى بطء متوتر :

ـ بأنه مفقود .

تفجرت دموعها فى غزارة وحرقة ، منـذ نطـق (عمـاد) عبارته ، وحتى وصلوا إلى قسم الشرطة ، وجلسوا أمام أمـين الشرطة ، الذى استقبلهما ببرود من اعتاد مثل هـذه الأمـور ، وهو يسألهم :

ـ متى وأين اختفى المذكور ؟! .

أجابته (إيناس) فى حدة :

ـ لو أننا نعرف إجابة سؤالك ، لما أتينا إليك ...

زمجر أمين الشرطة فى شراسة ، هاتفًا :

ـ أجيبى سؤالى فحسب .

صرخت فيه ، من فرط انفعالها :

ـ أجب أنت سؤالى أوَّلاً ... من وضعك على هـذا المقعـد ، وجعلك مسئولاً عن التعامل مع المواطنين ، وأنت تمتلك كل هذا الصلف والغرور .

احمرَّت عيناه ، وكاد يصرخ فى وجهها ، ولكنه تراجع فجأة ، وانكمش فى مقعده على نحو أدهش ثلاثتهم ، ولكن دهشتهم سرعان ما تلاشت ، عندما ارتفع صوت ضابط شاب ، يقول فى صرامة :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!...

ارتبك أمين الشرطة فى شدة ، وهو يقول :

ـ إنهم يتحدثون بأسلوب فظ يا سيدى ...

استدارت (إيناس) إلى الضابط الشاب ، هاتفة فى انفعال :

ـ كاذب ... لقد أتيت أبلغ عن اختفاء زوجى ، فـراح يلقـى على الأسئلة فى عجرفة ، وكأننى متهمة ولست مبلغة .

تراجع (أشرف) و(عماد) فى مقعديهما ، وامتقع وجههما ، وتصوَّرا أن الضابط الشاب سيثور فى وجه (إيناس) ؛ بـسبب الأسلوب الذى هتفت به فى وجهه ، ولكنهما فوجئا بـه يتطلَّـع إليها لحظات فى هدوء ، قبل أن يقول فى صرامة ، تختلف كثيرًا عن صرامته الأولى :

ـ سيـدتى .... اصحبينى إلى مكتبى ... أريد أن أسمع منك القصة كلها .

قالت فى مرارة ، وقد عادت دموعها تغرق وجهها :

ـ لا توجد قصة من الأساس ... (جو) لم يعد إلى المنـزل منذ أمس ، ولا يجيب اتصالاتى ... بل إن هاتفه لا يعطـى أيـة استجابة ، وكأنه ... وكأنه ...

لم تستطع إكمال عبارتها ، فقال يستحثها :

ـ وكأنه مغلق ، أو خارج نطاق الخدمة ؟!

هزت رأسها نفيًا فى قوة ، وقالت :

ـ كلا ... وهذا هو العجيب ... ففى كل الأحوال ، لـو كـان الهاتف مغلقًا ، أو خـارج نطاق الخدمة ، أو حتى غير موجـود بالخدمة ، نتلقى رسالة ما ، تخبرك عن موقفـه ، أمـا هـاتف (جو) ، فكل ما يعطيه هو الصمت .... الصمت التام .

انعقد حاجبا الضابط الشاب ، وهو ينظر إليهما فى حيرة ، قبل أن يمد يده إليها ، قائلاً :

ـ هل يمكننى تجربة هذا ؟!

أسرعت تناوله هاتفها ، وهى تقول فى لهفة :

ـ بالتأكيد ... (جو) هو أوّل اسم فى القائمة .

ضغط الضابط الشاب أزرار الهاتف ، وانتقى اسم (جو) ، ثم ضغط زر الاتصال ... وانتظر ...

انتظر لحظات طوال ، دون أن يتلقى أى جواب ، تمامًـا كمـا أخبرته (إيناس) من قبل ... وهنا ، التقط هاتفه هو ، وطلـب عبره رقم هاتف (جو) ...

وحصل على النتيجة نفسها ...

الصمت ... صمت مطبق ، تام ، عجيب .... ومخيف ...

ولثوان ، وقف الضابط ساكنًا شاردًا ، وكأنما يحاول دراسـة الأمر كله ، قبل أن يقول فى حزم :

ــ الأمر عجيب بالفعل ... سنسجل محضرًا رسميًا بهذا ، ثـم نبدأ البحث فورًا ...

توتر صوت أمين الشرطة ، وهو يقول :

ــ المفترض أن ننتظر أربع وعشرين ساعة ، قبل بدء البحـث ، ولابد لنا من سؤال المرأة عن مشكلاتها مع زوجها ، فربما ...

قاطعه الضابط الشاب فى صرامة حادة :

ــ ربما قتلته ، ورشت شركات الهاتف الثلاث ؛ لتضع هاتفـه فى هذه الحالة الغامضة ؟!...

تراجع أمين الشرطة منكمشًا ، على نحو يوحى بقوة الـضابط الشاب ومهابته ، وغمغم :

ــ إنه القانون .

قال الضابط الشاب فى قوة :

ــ بل هى القواعد وليس القـانون ، ورجـل الأمـن العاقـل لا يسجن نفسه داخل القانون ، متجاهلاً الحقائق .

ثم مال نحوه ، صائحًا بمنتهى الصرامة :

ــ قم بعمل المحضر .

انكمش أمين الشرطة أكثر ، وسحب دفتره ؛ ليبدأ فى كتابـة المحضر الرسمى ، فى حين التفت الضابط الشاب إلى (إيناس) ، وقال فى لهجة مهذبة ، تخلو تمامًا من الصرامة :

ــ سآمر بإعداد فريق البحث فورًا .

قبل أن يستدير ، متجهًا إلى مكتبه ، ارتفع رنين هاتفه المحمول فجأة ، فالتقطه بحركة غريزية ، قائلاً :

ــ النقيب (أحمد عبد العال) ... من المتحدث ؟!..

اعتدل بحركة عسكرية ، عندما سمع الجواب ، مما يوحى بأنه يتحدَّث إلى شخص يفوقه رتبة بكثير ، وبدا عليه التوتر ، وهـو يستمع إليه فى اهتمام مندهش ، عبَّر عنه بغمغمة :

ـ نعم ... (جوزيف) ... (جـو) كما يسمونه ... وكيـف علمت أنهم هنا يا سيدى .

اعتدلت (إيناس) فى توتر شديد ، وهى تحدق فـى وجهـه مذعورة ، قبل أن يسقط قلبها بين قدميها ، مع الذهول الذى ارتسم على وجه الضابط الشاب ، وكأن ما يسمعه مفاجأة مذهلة ... للغـــاية ..

* * *

أضواء ساطعة ، ضربت عينى (جو) ، وهـو يعبـر تلـك الحدائق ، المحيطة بمنزله فى مدينة (الرحاب) ...

أضواء بهرت بصره لحظات ، فأغلق عينيه فى قوة ، وهـو يتراجع ، محاولاً الفرار من عدو مجهول ...

وقبل أن يغلقهما بلحظة واحدة ، شاهد أولئك الذين انقـضوا عليه فى سرعة ...

تحت ذلك الضوء الساطع ، لم يتبين ملامحهم جيدًا ...

ولكن أجسادهم كانت تشبه أجساد البشر ...

تقريبًا ...

أو ربما كانوا بشرًا ...

ولكن الوقت لم يمهله للتيقن ...

لقد انقض عليه ثلاثة منهم ، وشعر بأحدهم ينتزع منه هاتفه المحمول ، وبآخر يمسك معصمه فى قوة ، فصرخ :

ـ ماذا تريدون منى ؟!..

مع صرخته ، اندفع ذلك الرزاز القوى فى وجهه ...

وعلى الرغم منه ، استنشقه فى قوة ...

ودار رأسه فى عنف ...

ثم راحـت الدنيـا تظلم من حوله ، وبدت تلك الأجساد أكثـر تشوهًا ، وهو يهتف فى ضعف :

ـ من أنتم ؟!..

وضع أحدهم يده على رأسه ، وتمتم بكلمات لم يفهمها ...

أو أنها بدت مشوَّشة تمامًا ...

مثل صورتهم ...

وبعدها ، أظلمت الدنيا فى سرعة ...

ثم غاب عن الوعى ...

من الواضح أنه لم يفقد وعيه تمامًا ، فقد شعر بهم يحملونه ، ويضعونه فى مركبة ما ...

وانطلقت بهم تلك المركبة ...

ومع انطلاقها ، اكتمل الظلام ...

وفقد وعيه ...

تمامًا ...

ثم فجأة ، وبلا مقدمات ، استعاده ...

استعاده بانتفاضة قوية ، شملت جسده كله ، مـــع قـــشعريرة باردة ، شملت كيانه ، من أقصاه إلى أقصاه ، مع تلك البـــرودة المحيطة به ...

وبلا مقدمات أيضًا ، فتح عينيه ...

وحدَّق فيما حوله ...

فى ذعر ...

وذهول ....

للوهلة الأولى ، بدا له أنه ليس فى مكان مألوف ...

كان تكوين المكان كله يشبه تكوينات الأثاث المعتادة ...

ولكنه كان يتكوَّن كله من كتلة واحدة ...

فراش صغير ، ومقعد ، ومنضدة ، وشاشة كبيرة ، كلها بدت وكأنها مصنوعة من قطعة واحدة ، من معدن لامع للغاية ...

ومصقول إلى أقصى درجة ...

ذلك المشهد ذكَّره مرة أخرى بروايات الخيال العلمى ...

وبمشاهد سكان الفضاء ...

ومشاهد الرعب أيضًا ....

تمامًا ، مثلما يحدث فى تلك النوعية من الأفلام ...

سكان كواكب أخرى ، جاءوا فى ذلك الطبق الطائر الـــذى رآه ورصده بنفسه ...

ولأنه رآه ورصده .... اختطفوه ...

وها هو ذا الآن بين أيديهم ...

داخل مركبتهم الفضائية ، أو سفينتهم الأم ، كما يقولون فـى تلك الأفلام ، التى طالما رأى أنها مغرقة فى الخيال ...

سرى خوف شديد فى ذهنه ، مع مرور الفكرة فى كيانه ...

هل اختطفه سكان كوكب آخر بالفعل ؟ ...

أيعنى هذا أنهم سيأخذونه معهم إلى كوكبهم ؟!...

ألن يرى زوجته (إيناس) مرة أخرى ؟!...

ألن يعود إلى بيته فى (الرحاب) ؟!...

بل ألن يعود ثانية إلى كوكب الأرض ؟!....

كان هذا فحسب ما يدور فى ذهنه ، حتى قفزت إليه فجأة فكرة أخرى مرعبة ، جعلت عيناه تتسعان عن آخرهما ...

ماذا لو أنهم لا يفكرون أبدًا فى حمله إلى كوكبهم ؟!...

وماذا لو أنهم سيجرون تجاربهم عليه هنا ؟!...

على الأرض ؟!...

انتفض جسده مرة أخرى فى رعب ، وهو يتصوَّر نفسه فـأر تجارب ، فى يد مخلوقات عجيبـة ، تجـرى عليـه اختباراتهـا وتجاربها ....

أو ربما تسعى لفحص سماته التشريحية ...

وهذا يعنى تشريحه !!...

اتسعت عيناه فى ارتياع بالغ ، وقفز من فوق ذلـك الفـراش المعدنى ، الذى يرقد عليه ، وراح يتحـرك فـى تلـك الحجـرة المعدنية الضيقة فى عصبية ، بحثًا عن مهرب ما ...

لم يكن هناك ، فى الحجرة كلها ، سوى باب واحـد ، أشـبه بأبواب الغوَّاصات القديمة ، التى يراها فى السينما ، له رتاج من نفس مادة الحجرة ، وغير مزوَّد بأية فتحات لأية مفاتيح ...

حاول أن يفحص الرتاج فى سرعة ، بأصبعه شديدة الارتجاف ، ولكن حتى هذا لم يكن بالأمر اليسير ...

كما لم تكن هناك أية فتحات فى هذا الرتاج ، لم تكـن هنـاك أيضًا وسيلة لفحصه ...

أية وسيلة !!...

كان وكأنه صنع مع باقى أثاث الحجرة ...

من كتلة واحدة ...

هو إذن رتاج إليكترونى على الأرجح ...

أو هو رتاج بلازمى ، أو هولوجرافى ، أو أى من تلك المسميات ، التى يغرقون بها قصص وأفلام الخيال العلمى ...

المهم أنه يسجنه ، داخل تلك الحجرة ....

ولقد تراجع مبتعدًا عن الباب ، واستدار إلى الشاشة الكبيـــرة المظلمة ، وصرخ بكل قوته :

ــ من أنتم ؟!...

صمت لحظة ، وكأنما يتوقّع جوابًا ، ثم صرخ مرة أخرى :

ــ ماذا تريدون منى ؟!...

جاوبه فى هذه المرة أيضًا صمت مطبق ، أثار أعصابه أكثر ، فراح يصرخ ، على نحو هيستيرى :

ــ لماذا تخفون أنفسكم ؟!... ألأنتم بشعون إلى هــذا الحــد ؟!... لماذا تخفون أنفسكم ؟!...

كان ذلك الصمت العجيب مستفزًا للغاية ، ولكنه فجأة تحطّـم بأزيز مباغت قوى ...

أزيز جعل (جو) يقفز من مكانه مذعورًا ، ثـم يلتفـت فـى حركة حادة إلى الشاشة الكبيرة ، التى انبعث من عنــدها ذلــك الأزيز ...

ثم فجأة ، ظهرت صورة على الشاشة الكبيرة ...

وارتد (جو) فى عنف ...

فتلك الصورة لم تكن صورة تلك المخلوقات الفضائية ...

بل صورته هو ...

آلة تصوير خفية كانت ترصده ، وتنقل ملامحه إلى الشاشة ، بكل ما عليها من انفعالات ...

وعلى نحو مكبر للغاية ...

ولثوان ، حدّق فى صورته ذاهلاً ، قبل أن يصرخ ، فى مزيج من الغضب والخوف والعصبية :

ــ ماذا تريدون منى ؟!...

ردد صوت آلى عبارته بالضبط ، مع إيقاع معدنى عجيـب ، جعله يستعيد مرة أخرى ذكرى تلك الأفلام الخيالية ...

إنهم يدرسونه ...

يدرسون طبيعته وانفعالاته ...

ويدرسون أيضًا كلماته ...

حاول أن يختبر هذا ، فهتف :

ـ اسمى (جوزيف صبحى) ..... مهندس صوتيات .

ردد ذلك الصوت الآلى عبارته ، بنفس الإيقاع المعدنى ، فقال فى عصبية :

ـ أعلم ماذا تفعلون .

ردد الصوت الآلى عبارته مرة أخرى ، فتابع فى عصبية أكثر :

ـ إنه نفس تخصصه ... تحديد ما يريده كـائن مـا ، عبـر الأصوات التى يستخدمها .

هذه المرة ، لم يردد الصوت الآلى عبارته ، وإنما ساد صمت شديد ، حتى صورته المكبَّرة على الشاشة ، لم تعكس أية أصوات ...

ولثوان صمت (جو) بدوره ...

ولكن عصبيته تضاعفت ...

وتضاعفت ...

وتضاعفت ...

ولكنه لاذ بالصمت الحائر القلق هذه المرة ...

لقد تصوَّر لحظة ، أنه يفهم ما يسعون إليه ، ولكنهم أفسدوا تصوره هذا تمامًا ، فى اللحظة التالية ...

فماذا يريدون منه ؟!...

ماذا ؟!...

مع آخر خاطر جال بذهنه ، انفتح رتاج الباب فجـأة بـصوت مسموع ...

والتفت (جو) بحركة حادة إلى الباب ، الذى انزلق فى نعومة لينفتح ...

وخفق قلب (جو) بقوة ...

بمنتهى القوة ...

ثم فجأة ، عبر جسد ما الباب ...

وشهق (جو) بكل قوته ...

فذلك الجسد ، الذى عبر الباب ، كان آخر شىء يمكنه توقعه ... على الإطلاق .

* * *

3 - مـــن ؟!...

« ماذا حدث ؟! .. أين (جو) » ...

ألقت (إيناس) سؤالها فى لهجة عجيبة ، جمعت بين القلـق والخوف والتوتر ، مع شىء من الشراسة ، وعلى الـرغم مـن هذا ، لم يلتفت الضابط الشاب إليها ، ولم يبد حتى أنه يسمعها ، وهو يغلق هاتفه ، ويحدق أمامه فى الفراغ ، ووجهه يحمل كـل الذهول ...

وفى عنف ، كررت (إيناس) سؤالها ، فانتفض الضابط ، وكأنها قد انتزعته من حلم ما ، والتفت إليها فى عصبية ، قائلاً :

ــ هذا لا يخص زوجك .

نطقها فى خشونة شديدة ، ولكن هذا لم يوقفها ، وهى تقـول فى عنف أكثر :

ــ بل يخصه ... لقد كنت تتحدَّث عنه ، مع ...

قاطعها فى حدة :

ــ مع من ؟!..

تراجعت فى حركة حادة ، وهى تقول :

ـ مع من اتصل بك ؟!

انعقد حاجبا الضابط الشاب ، وقال فى شراسة عصبية :

ـ قلت لك : هذا لا يخص زوجك .

لم تبال (إينـــاس) بثـــورته أو شراسته ، فى حين انكمـــش (أشرف) و(عماد) ؛ خشية رد فعله ، وهى تقول فى حدة :

ـ بل يخصه ... ما الـــذى تخفـــونه ؟!... وما شـــأن محدثك بزوجى ؟!... ومن هو ؟!..

قال الضابط الشاب ، فى عصبية أكثر :

ـ سيدتى ... لا يمكنك الحصول على أجوبة لأسئلتك هذه .

هتفت فى شبه انهيار :

ـ لمـــاذا ؟!

صرخ ، وقد انفلتت أعصابه :

ـ لأنه أمر يخص الأمن القومى .

اتسعت عينا (أشرف) و(عماد) ، مع سماع الكلمة ، وكادا يسقطان فاقدى الوعى ، من شدة الرعب ، فى حـــين تراجعـــت (إيناس) كالمصعوقة ، وهى تغمغم بوجه وصوت شاحبين :

ـ أمن قومى ؟!

بدا الضابط الشاب وكأنه نادم على ما أفلت من لسانه ، فراح يهز رأسه فى عصبية ، هاتفًا :

ـ غادرى يا سيدتى ... أرجوك ... غادرى فورًا ..

كاد (أشرف) و(عماد) يعدوان خارجين ، مع قوله هـــذا ، وهتف الأول فى صوت مرتجف :

ـ أظن هذا أفضل ما يمكن فعله .

وغمغم (عماد) ، بصوت يشارف الانهيار :

ـ سأرحل .

ولكن (إيناس) كانت أول من استعادت رباطة جأشها ، وهى تهتف ، فى عصبية شديدة :

ـ لن يرحل أحد من هنا .

كانت فرصة مثالية لأمين الشرطة ، الذى نهض يقــول فــى صرامة :

ــ هل أطردهم سيادتك ؟! ..

التفت إليه الضابط الشاب بنظرة عصبية ، دون أن يقول شيئًا ، فى حين استطردت (إيناس) بنفس العصبية :

لن يرحل أحد ، حتى أعرف مصير زوجى .

أشار الضابط إلى أمين الشرطة ، وقال فى حدة :

ــ كل ما يمكن أن نفعله لك ، هو عمل محضر رسمى ، وبدء البحث ، بعد مرور أربع وعشرين ساعة ، و ...

قاطعته فى حدة شديدة :

ــ أنت تعرف ...

ثم انهار صوتها فجأة ، وهى تضيف ، فى مرارة باكية :

ــ فلماذا لا تخبرنى ؟! ..

حملت ملامح الضابط الشاب اضطرابًا واضحًا ، وهو يجيب فى خفوت ، أدهش الجميع بانكساره :

ــ صدقينى يا سيدتى ... لست أعلم شيئًا .

اتسعت عيناها فى دهشة مذعورة ، وهى تقول :

ــ وماذا عن تلك المحادثة ؟!..

قلب كفيه ، مجيبًا :

ــ علمت منها فقط أنه أمر يخص الأمن القومى ، وهذا يعنى أنه لم يعد من شأن الشرطة ، بأى حال من الأحوال .

سألته ذاهلة :

ــ وما علاقة (جو) بالأمن القومى .

هز رأسه فى قوة ، وجذب مقعدًا قريبًا ، جلس عليــه وهــو يقول ، فى توتر شديد :

ــ هذا ما أحاول فهمه !... فلو أنه من العناصر المعادية ، أو حتى من المتطرفين ، لصدر أمر باعتقاله ، أو لتولت أجهزة أمن الدولة التعامل معه ... أما الأمن القومى ....

لم يكمل عبارته ، ولكن الجميع فهموا ما يعنيه ، فامتقع وجه (إيناس) فى شدة ، وغمغم (أشرف) مذعورًا :

ــ أهو جاسوس ؟!..

وهتف (عماد) فى خفوت ، وهو يتراجع إلى الخلف فى توتر :

ــ ســأرحل

ولكن الضابط الشاب أجاب بنفس الحيرة المتوترة :

ــ ليس جاسوسًا بالتأكيد .

سأله (أشرف) ، فى صوت شاحب :

ــ ولِمَ لا ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ــ لو أنه كذلك ، لألقوا القبض عليه فى منزله ، ولبحثوا عن أدلة اتهام ... إنهم دومًا يفعلون هذا .

رفع (أشرف) سبابته ، وقال بنفس الشحوب :

ــ ربما أرادوا أن ...

التفتت إليه (إيناس) بحركة حادة ، وقاطعته فى عصبية :

ــ شكرًا على ثقتك فى (جو) يا (أشرف) .

انكمش أمام نظراتها الغاضبة ، وهمس فى توتر :

ــ لماذا يسعى الأمن القومى خلفه إذن ؟! ..

بدت (إيناس) شديدة التوتر ، وهى تقول :

ــ ربما بسبب ما رآه .

التفت الجميع بأبصارهم المتوترة إليها ، حتى أمين الشرطة ، فأضافت فى صوت شديد الارتجاف :

ــ ذلك الطبق الطائر ...

اتسعت العيون ، وارتجفت الأجساد ، وحدّق فيها الكل ، وأمين الشرطة يتراجع ، قائلاً :

ــ سلام قولاً من رب رحيم ...

تابعت هى فى عصبية ، وبنفس الصوت المرتجف :

ــ هو أخبرنى ... (جو) قال هذا ... الحكومات تحاول دومًا إخفاء مثل هذه الأمور ، حتى لا تثير فــزع العامــة ، أو حتــى تحتفظ لنفسها بأية تكنولوجيا مفيدة ، قد تجدها هناك .

غمغم الضابط الشاب ذاهلاً :

ــ هناك أين ؟!..

أجابته ، مشيرة بسبابتها المرتجفة :

ـ حيث سقط ذلك الطبق الطائر ... لقد رأى (جو) المقاتلات تطارده فى ذلك الصباح ... عندما دوت الفرقعات القوية ... هل تصدقون أن طائرة سقطت هنا ، تستحق كل ما فعلوه ؟!... إنـــه ذلك الطبق الطائر..

نهض الضابط الشاب ، قائلاً فى توتر :

ـ سيدتى ... أرجوك .

تراجعت مبتعدة عن يده ، وهى تصرخ فى عصبية :

ـ لقد أخذوا (جو) ؛ لأنه رأى ما لا يريدون أن يعلم به أحد ... أنا واثقة من هذا .

كان الضابط الشاب يهم بقول شىء ما ، عندما جاء من مدخل المكان صوت صارم ، يقول :

ـ لا تكونى بهذه الثقة يا سيدتى .

التفت الكل إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرهم على رجل قوى البنية ، متين البنيان ، يرتدى حلة كاملة ورباط عنـــق ، علـــى الرغم من دفء الجو . ويخفى عينيه خلف منظار داكـــن ، لـــم يتناسب مع دخوله إلى المكان ...

وفى صرامة عصبية ، سأله الضابط الشاب :

ـ من أنت بالضبط ؟! ..

أجابه الرجل فى هدوء :

ـ أظنهم أخبروك منذ قليل ، أننى قادم إليك .

امتقع وجه الضابط الشاب ، واعتدل فى وقفة عسكرية ، قائلاً :

ـ ســـيدى .

لم يلتفت إليه الرجل ، وهو يدير عينيه إلى (إيناس) ، التـــى هتفت ، فى شىء من الشراسة :

ـ أين زوجى ؟!... أين (جو) ؟!..

تجاهل الرجل سؤالها تمامًا ، وهـــو يـــتفحص الموجـــودين ، متسائلاً بنفس ذلك الهدوء :

ـ من غيركم هنا ؟!...

أجابه أمين الشرطة فى سرعة :

ـ نحن فقط ... مازلنا فى أول النهار ، و ...

قاطعه فى صرامة :

ــ أعد أوراقك ، فسيأتى زميل لك ؛ ليتسلم العمل هنا ، بعـد عشر دقائق .

اتسعت عينا أمين الشرطة ، وهو يقول :

ــ ولكـــن ...

قاطعه الرجل بإشارة من يده ، وهو يلتفت إلى الضابط الشاب ، قائلاً :

ــ هذا ينطبق عليك أيضًا .

هتف (عماد) فى ذعر ، فى نفس اللحظة التى اتسعت فيهـا عينا الضابط الشاب دهشة :

ــ سأرحل .

التفت إليه الرجل فى حركة حادة صارمة ، قائلاً :

ــ لن يرحل أحد .

ظهر عدد من الرجال ، يرتدون زيًّا مماثلاً ، عند مدخل نقطة الشرطة ، وهو يضيف ، فى صرامة شديدة :

ــ نحن مضطرون لاحتجازكم جميعًا ... بلا استثناء .

شهقت (إيناس) فى قوة ، واتسعت عينا الضابط الشاب أكثر ، وكاد (أشرف) و(عماد) يفقدان وعيهما ، فى حين سقط أمين الشرطة بالفعل ، على مقعد قريب ...

فقد كانت المفاجأة مفزعة ...

إلى أقصى حد ...

* * *

لثوان ، حدَّق (جو) ذاهلاً ، فى ذلك الواقف أمامه ...

كان ذهنه ، فى الثانية التى مضت ، بين تحرك رتاج البـاب ، ودخوله ، قد رسم له ألف صورة وصورة ...

رسمها خياله المذعور ...

ورسمتها عشرات من أفلام الخيال العلمى ، التى تجعل كائنات الفضاء تبدو دومًا فى صورة مخيفة ...

تصوره أشبه بحشرة هائلة ...

أو بديناصور مفترس ....

أو كشىء أشبه بالبشر ...

شيء أزرق ....

أو أحمر ...

أو أخضر ....

له ثلاثة أرجل ....

أو ست عيون ...

أو مخالب وأنياب ...

لذا ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما وجده شديد الشبه بنا ...

بالبشر ...

كان رجلاً هادئ الملامح ، قوى البنية ، له رأس أصلع ، إلا من شريط من الشعر ، يمتد من منتصف رأسه المستديرة إلى ما خلفها ...

وكان يرتدى حلة سوداء أنيقة ، على ياقتها بطاقـــة ، تحمـل صورته ، مع رقم بحروف كبيرة ، وفى ركنها شريط أحمر قان ...

باختصار ، كان يبدو كرجل رسمى ، يلتقى به فى مكتب مـــن مكاتب الأمن ...

ولثوان ، وقف ذلك الرجل صامتًا ، و(جو) يحدق فيه ذاهلاً ، حتى بدأ هو الحديث ، هاتفًا بصوت مبحوح :

ــ ماذا تريدون منى ؟!..

أجابه الرجل فى صرامة :

ــ اهدأ يا (جوزيف).

حدَّق فيه(جو) بذهول أكثر ...

لقد كان يتوقع منه أية لغة ، إلا تلك اللغة ، التى نطـــق بهـــا عبارته ...

كان يتوقَّع صوتًا كالصفير ...

أو كفحيح الثعابين ...

أو زمجرة الوحوش ...

كان يتوقع لغة غير أرضية ...

ولكن ما جاءه وما سمعه كان لغة أرضية تمامًا ....

لغته ...

اللغة العربية ...

وبلهجة مصرية خالصة ...

ولقد تراجع (جو) بحركة حادة ، عنـدما سـمع الكلمـة ، فاستطرد الرجل فى هدوء ، حاول أن يخفف فيه من صرامته :

ــ أصدقاؤك يخاطبونك بــ (جو) ... أليس كذلك ؟!..

شحب وجه (جو) ، وهو يسـألـه :

ــ هل تعرفنى ؟! ..

أجابه الرجل فى سرعة :

ــ بالتأكيد .

ازدرد (جو) القليل من لعابه فى صعوبة ، قبل أن يقول ، فى صوت أشد شحوبًا من وجهه :

ــ كنتم تراقبون كوكبنا منذ زمن طويل إذن .

حدَّق الرجل فيه لحظة ، ثم انفجر ضاحكًا ....

ومع ضحكاته ، انتفض جسد (جو) ...

انتفض ...

وانتفض ...

وانتفض ...

أما الرجل ، فقد أنهى ضحكاته ، وهو يردد :

ــ كوكبكم ؟!... ألست من كوكب الأرض مثلنا يا (جو) ؟

ارتجف صوت (جو) ، وهو يغمغم :

ــ مثلكم ؟!... هل تعنى ؟!..

قاطعه الرجل ، وهو يتجه نحوه ، فى خطوات رصينة :

ــ نعم ... مثلنا ... ما الذى تصوَّرته بالضبط ؟!.. هل تـدمن مشاهدة الأفلام الخيالية أم ماذا ؟!..

تراجع (جو) ، فى حركة غريزية ، وهو يغمغم :

ــ على العكس ..

مرة أخرى قاطعه الرجل ، وهو يواصل اتجاهه نحوه :

ــ آه ... نسيت ... ملفك يقول : إنك واقعى للغاية .

اتسعت عينا (جو) ، وهو يغمغم :

ــ واقعى ؟!..

كان يواصل تراجعه ، حتى التصق بالجدار البـارد ، فابتـسم الرجل ، وتوقف لحظة ، ثم جلس على طرف الفراش ، قائلاً :

ــ لدينا ملف كامل عنك ... وعن كل الشخصيات المتميزة مثلك .

غمغم (جو) فى دهشة مذعورة :

ــ مثلى أنا ؟!..

أشار إليه الرجل ، قائلاً :

ــ أنت خبير فى التوجيه الصوتى ... أليس كذلك ؟!..

قال(جو) ، فى بطء حذر :

ــ ليس هذا اسمه العلمى .

هزَّ الرجل كتفيه ، وهو يقول :

ــ المهم أنه كيفية تحديـد مطلـب أى كـائن ، مـن خـلال ما يصدره من أصوات ... أليس هذا هو المعنى ؟!...

غمغم (جو) ، فى حذر أكثر :

ــ إلى حد ما ...

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، وقال فى ارتياح :

ــ عظيـم .

حدَّق فيه (جو) ، دون أن يجرؤ على سؤاله عمَّـا يعنيـه ، ولكن جسده انتفض مرة أخرى ، عندما عاد الرجل ينهض واقفًا ، وهو يسأله ، وقد استعادت لهجته صرامتها :

ــ أخبرونى أنك قد رأيت ذلك الشىء يا (جو)

واتسعت عينا (جو) عن آخرهما ...

وسقط قلبه بين قدميه ...

إذن فلهذا اختطفوه ...

لقد رآهم ...

وأدرك وجودهم ....

استعاد مرة أخرى ثقته ، فى أن الواقف أمامه ليس أرضيًا ...

إنه كائن من كوكب آخر ...

كائن يتخذ هيئة البشر ...

لقد رأى هذا كثيرًا ، فى أفلام الخيال العلمى الهزلية ....

دومًا ما تنتحل الكائنات الفضائية هيئة البشر ؛ حتى يمكنهـا خداعهم ، والسيطرة عليهم ...

دومًا ...

وكمحاولة للدفاع عن كيانه ، تمتم (جو) ، فى صوت نافس وجهه شحوبًا :

ــ لم أر شيئًا .

عاد الرجل يقترب منه ، قائلاً بنفس الصرامة :

ــ بل رأيت ...

حاول (جو) أن يتراجع ، ولكن هذا كان شبه مستحيل ؛ لأنه يلتصق بالجدار بالفعل ، لذا فقد انكمش فى مكانه ، والرجل يواصل الاقتراب منه ، حتى صار أمامه مباشرة ، وتطلّع إلى ، مضيفًا :

ــ رأيت المركبة الفضائية .

واتسعت عينا (جو) أكثر وأكثر ...

مركبة فضائية !!...

إذن لقد كان ما رآه صحيحًا ...

هناك مركبة فضائية ، أو طبق طائر ، طاردته القوات الجوية فى سماء مدينة (الرحاب) ، وأسقطته ...

لقد كان ما رآه صحيحًا تمامًا ...

ودون أن يدرى ، وجد نفسه ينقل ما يدور فى ذهنه إلى لسانه ، وهو يغمغم :

ــ إذن فهى مركبة فضائية بحق !

ابتسم الرجـــل ابتسامة ظـــافرة ، توحى بأنه قـــد حصل على ما أراد ، ومد يديه نحو (جو) ، فازداد هذا الأخير انكماشـــا ، ولكن الرجل ألصق راحتيـــه بالجـــدار ، على يمين ويسار رأس (جو) ، ومال نحوه أكثر ، حتى كاد يلتصق به ، وهو يتطلّـــع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

ــ نعم ... كانت مركبة فضائية بحق ... وقد ســـقطت علـــى مسافة ثلاثة كيلو مترات فحسب ، من مدينة (الرحاب) حيـــث تقيم ، ولكننا نجحنا فى السيطرة على الموقف فى سرعة .

غمغم (جو) فى شحوب :

ــ قالوا : إنها طائرة سقطت و ....

قاطعه الرجل :

ــ أنت تعلم ما يحدث ، فى مثل هذه الأمـــور ... الحكومـــات دومًا تخفى ما يحدث ...

وصمت لحظة ، ثم عاد يكرر ، فى صوت صارم

ـ أنت تعلم هذا ... أليس كذلك ؟!..

غمغم (جــو) :

ـ بلى .

تراجع الرجل ، وعيناه تتألقان ، ثم أدار ظهره ، وهو يقول :

ـ ولكننا نحتاج إليك .

سأله (جو) فى سرعة ، ودون تفكير :

ـ أنتم من ؟!..

صمت الرجل لحظات ، وهو يوليه ظهره ، ثم أخرج من جيبه شيئًا صغيرًا ، فى حجم أصبع اليد ، ضغط عليه ، وهو يلتفت إلى (جو) قائلاً :

نحن ... ألم تدرك بعد من نحن ؟!..

واتسعت عينا (جو) عن آخرهما ...

فما حدث بعدها ، كان هو الدهشة ....

بعينها .

* * *

4 - علامة استفهام ...

انكمش (عماد) و(أشرف) على نحو مثير للـشفقة ، فــى مقعدين كبيرين ، داخل تلك الحجرة الواسعة ، فى مبنى يجهلان ماهيته بالضبط ، وبدا وجهاهما شاحبين ممتقعين ، وهما يحدقان بعيون متسعة إلى الرجال الصامتين : الذين وقفوا داخل الحجرة جامدين ، كما لو أنهم تماثيل من الصلب ، ترتدى حللاً ســوداء متشابهة ، ومناظير شمسية داكنة ، على الرغم مــن وجــودهم داخل حجرة مغلقة ، بعيدًا عن الشمس تمامًا ....

ثم انتفض جسداهما فى شدة ، عندما انفــتح البــاب فجــأة ، ودخل منه ذلك الرجل ، الذى اعتقلهم جميعًا فى نقطــة شــرطة (الرحاب) ...

كان هادئ الملامح ، كما ظل طوال الوقت ، يتحرك فى ثقــة واعتداد ، وينظر إليهما بنظرة خاوية ، لا تحمل أيــة انفعــالات واضحة ...

وعندما تحدَّث ، كانت لهجته هادئة كملامحه ، وهو يقول :

ـ هل أحضر لكما ما تتناولاه ؟!..

حدّقا فيه فى شىء من الذعر ، وبدا لهما الموقف كلـــه غيـــر متناسب مع عبارته ، وخاصة عندما أردف ، مع ابتسامة هادئة :

ــ الساعة شارفت على الثالثة ، ولا ريب فى أنكما جائعـــان ، ولدينا هنا مطعم صغير ، ولكنه يقدم وجبات شهية .

غمغم (أشرف) ، فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ــ هنـــا ؟..

تجاهل الرجل تعليقه هذا تمامًا ، والتفت إلى (عماد) ، يسأله :

ــ ما رأيكما ؟!..

غمغم (عماد) فى صوت مرتجف :

ــ أريد العودة إلى منزلى ...

لم تبد على الرجل أية انطباعات للكلمة ، واتجه فى هدوء إلى مقعد يواجههما ، وجلس عليه قائلاً :

ــ هل أساء إليكما أحد هنا ؟!

غمغم (عماد) :

ــ وجودنا هنا ، فى حد ذاته ، إساءة ..

اندفع (أشرف) يضيف فى توتر :

ــ إننا محتجزان على الرغم من إرادتنا ..

أومأ الرجل برأسه متفقًا ومتفهمًا ، وهو يقول :

ــ للأسف ..

لم يفهما بالطبع ما يعنيه أســفه ، ولكن (عمـــاد) استجمع شجاعته ، وسأله فى حذر :

ــ هل تعنى أنه باستطاعتنا الرحيل ؟! ..

استدار إليه الرجل ، بنفس النظرة الخاوية ، وتطلّع إليه بضع لحظات ، ثم قال فى هدوء :

ــ بالتأكيد ...

انفرجت أساريرهما فى فرحة لهفة ، ولكنه استدرك فى صرامة :

ــ ولكن ليس الآن ..

عادا ينكمشان ، و(أشرف) يقول ، وقد ترقرقت عيناه بالدمع فعليًا :

ــ متى إذن ؟!..

صمت لحظات طوال هذه المرة ، ثم بدا صوته شديد الصرامة ، وهو يجيب :

ـ عندما أتلقى الأوامر بهذا ..

« أوامر من بالضبط ؟!... »

هتفت (إيناس) بالسؤال فى عصبية ، عندما كرر الأمر عليها ، فى الحجرة التى يحتجزونها فيها وحدها ، بعد دقائق قليلة ، فعقد ساعديه أمام صدره ، وبدا شديد الصرامة ، وهو يجيب :

ـ حتى هذا ، لا يمكننى أن أخبرك به .

شعرت (إيناس) بغضب شديد فى أعماقها ، إلى الحد الـــذى جعلها تصرخ فى وجهه :

ـ ماذا تخفون بالضبط ؟!...

من الواضح أن سؤالها أتى فى الصميم مباشرة ، فقد اتسعت عينا الرجل ، وتخلى عن ملامحه الجامدة فجأة ، وهو يقول :

ـ نخفى ؟!...

صاحت فيه :

ـ من الواضح أنكم تفعلون كل هذا ؛ لإخفاء شـــىء مـــا ... شىء يتعلق بـــ ....

بترت عبارتها دفعة واحدة ، فى توتر بـــالغ ، فمـــال الرجـــل نحوها ، يسألها فى غلظة :

ـ بماذا ؟!...

ترددت لحظة ، ثم اندفعت قائلة :

ـ بالطبق الطائر ...

تراجع فى حركة حادة ، وهو يردد مندهشًا :

ـ طبق طائر ؟!..

أدركت أنها قد بلغت نقطة اللا عودة ، وأنه لا جـــدوى مـــن محاولة التراجع ، فتابعت فى توتر شديد :

ـ ضلك الشىء ، الذى رآه (جو) ، والذى طاردته المقاتلات الحربية فوق (الرحاب) ، والذى صنع هذه الفرقعـــة القويـــة ، التى تجاوزت المعتاد ...

انعقد حاجباه ، وهـــو يتراجـــع محدقًا فيها ، مما ضاعف من توترها ، فأردفت فى عصبية :

ـ لقد اعتقلتم كل من وصله الأمر ، حتى ضابط الشرطة نفسه ..

خفض الرجل عينيه ، وبدا لحظات وكأنه يدرس الأمر كلــه ، قبل أن يرفع بصره إليها فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ ماذا تعرفين أيضًا ؟!...

نظرته هذه المرة حبست الكلمات فى حلقها ، وعقدت لسانها ، فتمتمت فى خفوت متوتر :

ـ لا شىء ...

مال نحوها ، على نحو جعلها تتراجع فى خوف ، وهو يسألها فى صرامة :

ـ من أخبرت أيضًا بهذا ؟!... والديك ، أم والدى(جو) ؟!...

ارتجفت بشدة ، وهى تهتف :

ـ لم نخبر أحدًا .... أقسم لك .

بدا الشك المطل من عينيه واضحًا ، وهو يحدق فـــى عينيهـــا مباشرة ، قبل أن يتراجع ، ويهدأ صوته ، وهو يقول :

ـ هل رأيت ذلك الشىء بنفسك ؟!..

ارتبكت فى توتر ، وهى تجيب فى حذر :

ـ (جو) رآه .

كرر فى حزم :

ـ هل رأيته بنفسك ؟

صمتت لحظات ، ثم أجابت فى إصرار :

ـ لو قال (جو) إنه رآه ، فقد رآه .

هزَّ رأسه فى بطء ، قائلاً :

ـ أو توهَّم أنه رآه ..

غمغمت ، وقد تضاعف حذرها :

ـ توهَّم ؟!...

أشار بيده ، قائلاً :

ـ سأخبرك بالحقيقة .... كلها .

أدهشها قوله هذا ، فتمتمت ، وحذرها يتزايد :

ـ هل ستخبرنى بها حقًا ؟!..

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لن يحدث هذا فارقًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ فلن تغادروا هذا المكان ، حتى ينتهى الأمر ...

اتسعت عيناها فى ذعر ، لم يلبث أن تحوَّل ، إلى غضب شديد ، جعلها تهتف فى حدة :

ـ ماذا فعلتم بـ (جو) ؟!...

تجاهل الرجل سؤالها تمامًا ، وهو يقول :

ـ ما رآه (جو) فى الواقع هو طـائرة تجريبيـة جديـدة ، نجرى تجاربنا عليها فى سرية بالغة .

هتفت فى حدة مكررة :

ـ ماذا فعلتم به ؟! ..

مرة أخرى ، تجاهل سؤالها تمامًا ، وواصل ، وكأنه لم يسمعها :

ـ إنها طائرة تسير بخمسة أضعاف سرعة الصوت ، وهـذا يعنى أن تخترق حاجز الصوت فى عنف ، يصنع هـذه الفرقعـة القوية .

قالت فى حدة شديدة :

ـ هذا لا يجيب سؤالى ..

أحنقها أن تجاهل عبارتها على نحو تام ، وواصل :

ـ ومن الخطر أن نعلن عن هذه الطائرة الآن ، و ...

صاحت تقاطعه فى غضب :

ـ هراء ... كل ما تقوله كـذب ... الأقمـار الصناعية تراقب (مصـر) طـوال الوقـت ، وطائرة كهـذه لا يمكن صـنعها أو اختبارها ، دون أن يشعر أحد .

توقَّف يلتفت إليها فى صرامة ، فتابعت ، وهى تتراجع بحركة غريزية متوترة :

ـ ومن المؤكد أن (جو) ليس الوحيد الذى رصد مـا حـدث ، ولا أحد يجرى تجاربه على طائرة سرية ، فوق مدينـة سـكنية كبيرة ... ربما فوق الصحراء ، أو ...

قاطعها ذلك البريق الذى تألق فى عينيه فجأة ، وذلك الصوت شديد الاختلاف ، الذى خرج من بين شفتيه ، وهو يتجه نحوها ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك شديدة الذكاء ... وهذا خطر كبير .

واكتسبت لهجته قساوة مخيفة ، وهو يضيف :

ـ كبير جدًا ...

وبكل رعبها وذعرها ، أطلقت (إيناس) صرخة مدوية ...

صرخة هزّت كيانها كله ...

ولم يسمعها أحد ...

على الإطلاق .

* * *

فجأة ، وبلا مقدمات ، ومع التفاتة ذلك الرجل ، اختفت تلــك الشاشة الكبيرة ...

وشهق (جو) ، وهو يتراجع فى حركة حادة ...

واتسعت عيناه فى ذهول ...

وبكل ما تفجّر فى أعماقه من انفعالات ، حدّق (جو) فى ذلك الممر الطويل ، الذى انكشف خلــف الــشاشة الكبيــرة ، فــور اختفائها ...

كان ممرًّا طويلاً ، يبدو وكأنه بلا نهاية ....

وفى ذهول مذعور ، التفت (جو) إلى ذلك الرجل ، بنظـرة ملؤها التساؤل والتوتر ، فأشار الرجل إلى الممر ، وهو يقول :

ـ من بعدك يا سيد (جو) ؟

هز (جو) رأسه نفيًا فى قوة ، وقال :

ـ أنت أولاً يا سيد ...

تردّد منتظرًا أن يجيبه الرجل ، إلا أن هذا الأخير تجاهل هــذا التلميح تمامًا ، وهو يقول :

ـ لا بأس ..

اتجه فى خطوات واثقة إلى الممر ، وهو يقول فى حزم :

ـ اتبعنى ..

تردّد (جو) بضع لحظات ، إلا أنه لم يبد له هناك أى مخرج من الأمر ، فتبع الرجل فى خطوات متردّدة ، وما أن وضع قدمه على أرضية الممر ، حتى انتفض جسده فى قوة ...

لقد كانت أرضية متحركة ...

أرضية حملتهما عبر الممر ، و(جو) يقول فى توتر :

ـ أين نحن بالضبط ؟!...

أجابه الرجل فى بساطة ، دون أن يلتفت إليه :

ـ فى (مصر) ..

هتف فى توتر :

ـ (مصر) ... أهذه (مصر) ؟!..

لم يشاهد ملامح الرجل ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ ولماذا لا تكون كذلك ؟!...

أجابه (جو) ، فى شىء من الحدة :

ـ ألدينا أشياء مثل هذه فى (مصر) ؟!..

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، دون أن يلتفت إليه ، وأجاب :

ـ إنها ليست تكنولوجيا متقدمـــة ... والمفتـــرض أن مثلـــك يمكنه استيعاب هذا فى سهولة .

غمغم (جو) :

ـ حقًا !!...

حملت غمغمته من الاستنكار ، أكثر مما حملته من التساؤل ، فتابع الرجل بنفس الهدوء :

ـ الحجرة التى كنـــت بهـــا ، مصنوعة من معـــدن مـــصقول ومضغوط ؛ لتفادى تلوث أثاثها بالبكتريا ، وهـــذا مجـــرَّد ســـير متحرك ، و ....

قاطعه (جو) ، فى شىء من العصبية :

ـ والشاشة الكبيرة التى اختفت ، دون أن تترك أى أثر ؟!...

أجابه فى بساطة :

ـ إنها شاشة هولوجرامية جديدة ، أنتجتها شركة (سونى) ، ولو تابعت موقع (يوتيوب) بضعة أيام فى تركيز ، ستجد مـــا هو أكثر غرابة .

غمغم (جو) فى تردد :

ـ إذن فتلك الشاشة ...

قاطعه الرجل ، مجيبًا :

ـ لم تكن موجودة أبدًا ... إنها مبتكرة ؛ لإخفاء مدخل الممر فحسب .

سأله (جو) ، وتوتره يتزايد :

ـ وإلى أين يقودنا هذا الممر ؟!...

أجابه فى حزم :

ـ إلى القاعة .

سأله (جو) فى سرعة :

ـ أية قاعة ؟!..

سكت الرجل طويلاً ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ ستعرف بعد قليل .

عقد (جو) حاجبيه فى شدة ، ولم يرق لــه هــذه الجــواب الصارم أبدًا ، ولكنه كتم غضبه هذا فى أعماقه ، واكتفى بتأمل ذلك الممر الطّويل ، الذى تحمله الأرضية المتحركة مع الرجل عبره ...

كان ممرًا مصنوعًا من ذلك المعدن المصقول ذاته ، توزعــت فيه مصابيح صغيرة على امتداده ، بحيث تضيئه إضاءة متوسطة ، لا هى بالهــادئة ، ولا هى بالشديدة ، وباستثناء هــذه المصابيح الصغيرة ، لم تكن جدران الممر تحوى أى شىء آخر ...

أى شىء على الإطلاق ...

ولقد كان الممر طويلاً بحق ...

طويل ، حتى إنه استغرق منهما اثنتى عشرة دقيقةً كاملــة ، قبل أن تتوقَّف أرضيته فجأة ، وهما يقفان أمــام بــاب كبيــر ، مصنوع من المعدن نفسه ...

وفى هدوء ، مال الرجل ، وحدَّق فى دائرة صغيرة ، انطلــق منها شعاع ليزر دقيق ، فحص قزحية عينــه ، قبــل أن ينفــتح الباب فى بطء ...

كان (جو) ينوى سؤاله عن تلك التكنولوجيا أيضًا ، ولكــن ما رآه خلف هذا الباب الكبير ، جعل عينيه تتسعان فى شدة ...

لقد كان على حق ...

كان على حق تمامًا ...

وذلك المشهد أمامه ، كان يثبت هذا ...

فهناك ، وفى منتصف القاعة تمامًا ، ووسط جمع كبيــر مــن العلماء ، الذين يتحركون فى نشاط واهتمام كبيرين ، ولم ينتبهوا حتى لدخولهما ، كان ذلك الشىء يستقر ...

ذلك الطبق الطائر ، الذى رآه بنفسه ...

الطبق الذى أسقطته المقاتلات المصرية ، على مقربـة مـن مدينة (الرحاب) ...

وكان أثر إصابته واضحًا ، فى الجزء الأيسر الخلفى منه ...

المدهش أنه لم يكن ، على الرغم من إصابته ، يستقر علـى أرضية القاعة ...

بل كان يسبح فوقها ....

بوسيلة تكنولوجية ما ، كان الطبق يسبح على نحـو مـضاد للجاذبية ، على ارتفاع متر ونصف المتر من الأرضية ....

وكان من الواضح أن ذلك الجيش من العلماء ، كـان يحـاول فحص ذلك ، أو فهمه على الأقل ....

وبكل انفعاله ، هتف (جو) :

ـ إذن ، فقد كنت على حق ..

أجابه الرجل فى هدوء ، لم يخل من الحزم :

ـ أنت على حق منذ البداية ..

التفت إليه (جو) فى دهشة ، هاتفًا :

ـ لماذا إذن ...

لم يمنحه الرجل فرصة لإتمام تساؤله ، وهو يقول :

ـ كان لابد من منعك من نشر الخبر ..

اتسعت عينا (جو) ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟!...

جلس الرجل فى هدوء ، على مقعد قريب ، وقال :

ـ اطمئن ... رؤيتك لتلك المركبة الفضائية العجيبة ، ليـست سبب إحضارنا لك هنا ..

سأله (جو) ، فى تردد وتوتر :

ـ لماذا إذن ؟!...

ظل الرجل يتطلّع إليه لحظات فى صمت ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ لست أنا من سيخبرك بهذا .

سأله فى عصبية :

ـ من إذن ؟!...

أجابه فى صرامة :

ــ انتظر .

التقط (جــو) نفسًا عميقًا فى عصبية ، وأشــاح بوجهــه ؛ ليراقب ذلك الطبق الطائر العجيب ...

المفترض علميًا ، ألا يطلق عليه ذلك الاسم البـدائى ، الــذى بطل استخدامه منذ عقود من الزمن ....

إنه ليس طبقًا طائرًا ، بل جسم مجهول الهوية ...

جسم وصل إلى كوكبنا ...

وطاردته مقاتلاتنا ....

وأسقطته ....

كان يشك فى هذا فى البداية ، والآن هو واثق ...

واثق تمامًا مما رآه ...

ومما يراه أمام عينيه الآن ...

لكن حتى هذا لا يجيب تساؤله الأساسى ...

لمــاذا أحضروه إلى هنا ؟!...

لمــاذا ؟!...

« السيد (جــو) ... »

أتى الصوت من خلفه حازمًا ، فالتفت إلى صاحبه فى حركــة حادة ، وللوهلة الأولى بدا له الرجل مألوفًا بشدة ، ثم تذكر أنــه رآه أكثر من مرة ، فى برامج تليفزيونية علمية عديدة ...

إنه مستشار رئيس الجمهورية ....

المستشار العلمى للرئيس ...

كان يتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى هدوء رصين ، وفى صوت قوى ، أضفى عليه مهابة عميقة :

ــ مرحبًا بك هنا .

سأله (جو) فى توتر :

ــ وما هو هنا هذا بالضبط ؟!..

أشار الرجل بيده حوله ، وهو يقول :

ــ إنه مقر خاص للطــوارئ ، لــم يخطــر ببالنــا قــط ، أن نستخدمه فى أمر كهذا .

سأله (جو) بفراغ صبر :

ـ ولِمَ أحضرتمونى إليه بالضبط ؟! ..

أجابه الرجل فى بساطة :

ـ لأننا نحتاج إليك .

سأله فى سرعة متوترة :

ـ فيم ؟!..

ولم يجب المستشار العلمى ، وإنما أشار بيده إلى ركن بعيد ، فأدار (جو) بصره معه ، إلى الركن نفسه ....

واتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ، أقرب إلى الصدمة ...

فما رآه هناك ، فى ذلك الركن ، كان أمرًا مذهلاً ....

وبكل المقاييس .

* * *

5 - مفاجـأة ...

« لماذا أطلقت هذه الصرخة ؟!... »

ألقى الرجل سؤاله ، فى صراحة غاضبة ، علـى (إينـاس) التى واصـلت تراجعها بعينين متسعتين ، وهى تقول فى خـوف عصبى :

ـ ملامحك

سألها ، وقد غلب غضبه صرامته :

ـ ماذا عنها ؟!

ارتجف صوتها فى شدة ، وهى تقول :

ـ تصورت أنك ... أنك ...

صاح فيها :

ـ أننى ماذا ؟!

صرخت فى عصبية :

ـ أنك ستقتلنى ...

اتسعت عينا الرجل ، فى دهشة كبيرة ، وحدق فيها لحظـات غير مصدق .

وهو يغمغم مستنكرًا :

ـ أقتلك !

واصلت تراجعها فى خوف ، فى حين خفض هو عينيه ، وبدا مستغرقًا فى التفكير لحظات ، قبل أن يقولا فى لهجة ، استعادت الكثير من الهدوء والحزم :

ـ سيدة (إيناس) ... مـن الواضـح أنك قـد أسأت فهم ما يحدث هنا .

قالت فى حدة :

ـ وهل حاول أحدكم تفسيره لى ؟!

ـ هز رأسه لحظات ، وتمتم :

ـ أنت على حق .

ثم رفع عينيه إليها مرة أخرى ، وقال متابعًا :

ـ أظن أن ما ننشده من زوجك ، يعطيك الحق فى معرفة الحقيقة ... أو جزءًا منها على الأقل .

سألته فى توتر شديد :

ـ وماذا تريدون حقًا من (جو) ؟!

صمت لحظات ، وكأنه يجرى بعض الحسابات فى ذهنه ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـ سأخبرك ..

« لست أصدق هذا !!!... »

غمغم (جو) بالعبارة فى اللحظة نفسها ، فى تلك القاعة التى حوت المركبة الفضائية الطائرة ، وهو يحدق فيما بدا أنه حجرة زجاجية كبيرة ، وضع بها ما يشبه بعض الأثاث ، واستقر فيها ذلك الكائن ...

وكان أشبه كثيرًا بالبشر ...

ولكنه لم يكن حتمًا بشريًا ...

وكانت له ملامح عجيبة ، أشبه بملامح إنسان نايندرثال(*) ، مع عينين واسعتين ، وجبهة عريضة بارزة ...

وكان يبدو يائسًا بائسًا ، يرتدى شيئًا ، أشبه بحلة فضائية من قطعة واحدة ، ذات لون برتقال زاه ، ولقد استدار إليه فى بطء ، وحدق فيه وفى ذلك الرجل لحظات ، قبل أن تتحرك شفتاه بشىء ما ... شيء لم يسمعه (جو) ، ولم يهتم حتى بمعرفته ، وهو يسأل الرجل فى دهشة شديدة التوتر :

(*) اسم يطلق على إنسان ما قبل التاريخ ، والذى تمت العثور على بقاياه وجمجمته وبعض أدواته ، منذ أكثر من قرن من الزمان ، لتشير إلى ما كان عليه التكوين البشرى ، فى عصور ما قبل التاريخ .

ــ ما هذا ؟!

أشار الرجل بيده ، مجيبًا :

ــ الناجى الوحيد من الحادث .

غمغم (جو) وكأنه لم يفهم ما قيل :

ــ الحادث ؟!...

أشار الرجل بيده مرة أخرى ، وقال :

ــ الحادث الذى شاهدته أنت ... أو الذى شاهدت بداياتـــه علـــى الأصح .

إنهم حتى لا يعلمون بوجود هذا الكائن أو حتى مركبته الفضائية

غمغم (جون) فى لهجة تجمع بين الذهول واللهفة :

ــ أتقصد ذلك الــ ...

قاطعه الرجل قبل أن يكمل ، وقال فى حزم :

ــ لقد طاردته قواتنا ، ونجحت فى إسقاطه علـــى الـــرغم مـــن مناوراته المدهشة ، وعند سقوطه لقى اثنان من طاقم الثلاثـــى مصرعهما ، وبقى هذا .

اتسعت عينا (جو) وهو يقول :

ــ أتعنى أن هذا ...

قاطعه الرجل مرة أخرى :

ــ كائن من الفضاء الخارجى ... أجل .

مرة أخرى ، حدق (جو) فى ذلك الكائن ، غير مصدق ما تراه عيناه ...

أهذه حقيقة ؟!

أما رفض طيلة عمره تصديقه ، هو حقيقة فعلية ؟!...

أتوجد بالفعل كائنات عاقلة أخرى فى الكون ؟!...

كائنات ذكية ...

متقدمة ...

تستطيع الوصول إلينا ...

أهذه حقيقة ؟!

ظل يردد ذلك التساؤل الأخير فى أعماقه ، وهو يواصل التحديق فى ذلك الكائن ، الذى نهض من مكانه والتصق بالجدار الزجاجى لغرفته ، مسندًا راحتيه شبه البشريتين عليـــه ، وهـــو يواصـــل تحريك شفتيه بكلمات ، لم يسمح بها الجدار الزجاجى بالعبور ...

« لهذا نحتاج إليك ... »

قالها الرجل ، فانتفض (جو) وكأنما أيقظته العبارة من غيبوبة ما ، وقال فى توتر :

تحتاجون إلى ؟!

أجابه الرجل :

نعم ... نحتاج إلى تخصصك النادر ، ودراساتك المتميزة فى عالم الصوتيات.

غمغم (جو) ، ولم يستوعب عقله الأمر بعد :

ـ ولماذا ؟!

عاد الرجل يشير إلى ذلك الكائن ، قائلاً :

ـ حتى يمكننا التفاعل معه ، وفهم ما يحاول قوله طوال الوقت .

غمغم (جو) :

ـ هل تعنى ...

مرة أخرى قاطعه الرجل ، وكأنما يعرف كل أسئلته مسبقًا ، وقال :

ـ دراساتك حول كيفية استخدام الأصوات ، التـى يـصدرها أى كائن ، لمعرفة متطلباته ، جعلتنا ندرك أنك الشخص الوحيد هنـا الذى يستطيع مساعدتنا فى هذا .

بدا ذاهلاً غير مصدق لحظات ، وهو ينقل تحديقه من ذلك الكائن إلى الرجل ، قبل أن يغمغم :

ـ وهل تعلمون عنها ؟!

أجابه الرجل فى حسم :

ـ بالتأكيد ... دراسات مهمة كهذه ، لا يمكنها أن تمضى مرور الكرام ... إننا نتابع عملك منذ البداية .

ثم ابتسم ، قائلاً :

ـ ولكننى أصدقك القول ، إننا لم نتوقع قط أن نستخدمها فى أمر كهذا .

وصمت لحظة ، ثم لوح بذراعه كلها ، مضيفًا :

ـ بل لم نتوقع قط حدوث الأمر نفسه .

ظل (جو) يحدق فيه لحظات ، فى صمت ذاهل ، ثم لم يلبث أن أدار عينيه إلى ذلك الكائن مرة أخرى ، قائلاً :

ـ وأين الأمريكيون ؟!

سأله الرجل فى دهشة :

ـ وما شأن الأمريكيين بهذا ؟!

هز (جو) كتفه ، قائلاً فى تردد وتوتر :

ـ المفترض أن لديهم خبرة كبيرة فى هذا المجال .

سأله الرجل فى اهتمام :

ـ مجال علم التمييز الصوتى ؟!

هز (جو) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول فى خفوت :

ـ بل فى التعامل مع الكائنات الفضائية .

بدت دهشة كبيرة على وجه الرجل ، قبل أن تتحول إلى ضــحكة رصينة ، وهو يقول :

ـ من أين جئت بهذا ؟!

أجابه (جو) ، فى تردد أكثر :

ـ من ... من أفلامهم .

أطلق الرجل ضحكة صاخبة ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً :

ـ أستاذ (جوزيف) ... إنها مجرد أفلام .

غمغم (جو) وكأن المعلومة أدهشته :

ـ حقًّا ؟!

اعتدل الرجل ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ حقًّا ... إنهم حتى لا يعلمون بوجود هذا الكائن هنا ، أو حتى مركبته الفضائية .

قالها بكل الثقة ، دون أن يدرى أن عبارته لم تكن حقيقيــة فــى الواقع ...

وأن تطورات الأمور ستفوق كل توقعاته ...

كلها ...

على الإطلاق ..

* * *

على الرغم من تصورها ، أنها قادرة علــى اســتيعاب أيــة مفاجآت ، بعدما حدث ، عجزت ساقا (إيناس) عن احتمال ثقلها ، فتراجعت ؛ لتجلس على أول شىء صادفها ، وهى تحــدق فــى وجه الرجل فى ذهول ...

لقد شاهدت آلافًا من أفلام الخيال العلمى فى حياتها ، وقــرأت أعدادًا هائلة من رواياته ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يدر بخلدها لحظة ، طوال عمرها ، أنها يمكن أن تواجه شيئًا من هذا ...

أبدًا ...

مركبة فضائية ...

كائنًا فضائيًّا ...

رباه ... إذن فهى حقيقة ...

توجد بالفعل مخلوقات عاقلة أخرى غيرنا ، فى هــذا الكــون الفسيح ...

مخلوقات قادرة على الوصول إلينا ...

تمامًا كأفلام الخيال العلمى ...

ولكنها فى هذه المرة ، جزء من الفيلم ...

واحدة من بطلاته ...

وهذا ما بدا لها دومًا ، من رابع المستحيلات ...

جلست صامتة ، تحدق ذاهلة فى الفراغ ، والرجل يقف أمامها ، محترمًا صمتها ، متطلعًا إليها فى اهتمام ، قبل أن يقطـــع حبــل الصمت هذا ، مغمغمًا :

ــ الحقائق دومًا أغرب من الخيال .

غمغمت ، وهى ترفع بصرها إليه :

ــ الحقائق ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ صدقينى يا سيدتى ... نحن أيضًا لم نتصورّ حدوث شـــىء كهذا أبدًا ..

تمتمت فى شىء من الحذر :

ــ ولكنكم استعددتم له .

قال فى دهشة :

ــ مطلقًا ... من وضع هذه الفكرة العجيبة فى رأسك !..

أشارت إلى ما حولها ، متمتمة فى توتر ، لم تحـــاول حتـــى السيطرة عليه :

ــ لقد أعددتم كل هذا .

جلس على مسافة قريبة منها ، وهو يقول :

ــ إنه مقر للطوارئ ، لم يخطر ببال مخلوق واحد اســـتخدامه فى هذا المضمار .

صمتت لحظات ، قبل أن تسأله :

ــ أين نحن بالضبط ؟!

صمت هو أيضًا لحظات ، ثم قال فى صرامة :

ــ فى مكان ما من أرض (مصر) .

همّت بإلقاء سؤال آخر ، فأضاف فى صرامة أكثر :

ــ لقد عرفت كل ما يمكنك معرفته .

ونهض من المقعد ، الذى لم يستقر عليه طويلاً ، وهو يردف :

ــ وهو أكثر مما ينبغى .

بدا وكأنه يهم بالانصراف ، فهتفت فى حدة :

ــ وماذا عن (جو) ؟!

ثبت فى مكانه لحظات ، ثم التفت إليها ، قائلاً فى صرامة :

ــ ماذا عنه ؟!

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارتــه ، كــان مــدير المخابرات العامة المصرية يستقبل مندوبًا خاصًا ، من الــسفارة الأمريكية فى (القاهرة) ، طلب مقابلته على نحو عاجل ، وكان يصافحه ، قائلاً فى حذر هادئ :

ــ ترى ما سر إلحاح السفارة على هذه المقابلة العاجلة ؟!..

جلس مندوب السفارة أمامه ، وفــتح حقيبتــه الدبلوماســية الأنيقة ، وهو يقول :

ــ دولتى تطلب تفسيرًا لأمور تتجاوز المألوف هنا .

تراجع مدير المخابرات فى مقعده ، وهو يقول فــى صــرامة حازمة :

ــ أظن أن ما يحــدث هنــا ، أيًا ما كان ، هو شــأن مصرى خالص .

أشار مندوب السفارة بسبَّابته ، قائلاً :

ــ هذا لو أنه شأن مصرى .

ثم أخرج من حقيبته الأنيقة مجموعة من الــصور ، وضــعها أمام مدير المخابرات ، وهو يضيف :

ــ ولكنه يبدو لنا شأنًا عالميًا .

فى صمت تام ، وبوجه خال من الانفعالات تمامًا ، تطلَّع مدير المخابرات إلى الصور فى اهتمام ..

كان من الواضح أنها مجموعة من صور الأقمار الــصناعية ، تم التقاطها لمنطقة مدينة (الرحاب) ، فى توقيت سابق ...

صور تنقل ، وبكل وضوح ، تلك المطاردة ، التى دارت فــى سماء المدينة الجديدة ، بين المقاتلات المصرية ، وتلك المركبــة الفضائية ...

ثم تنقل مشهد سقوطها ...

ومحاصرة المنطقة ، بواسطة قوات الجيش ...

ومرحلة نقل المركبة ...

و ...

« أين أخفيتموها يا سيادة الوزير ؟!... »[*]

قطع مندوب السفارة انتباه مدير المخابرات بالسؤال ، فرفـــع المدير عينيه إليه فى صمت ، دام بضع لحظات ، قبل أن يقـــول فى صرامة :

ــ أترى ما يدور على أرض (مصر) شأنًا عالميًّا ؟! ..

حاول مندوب السفارة أن يبادله صرامة بصرامة ، وهو يقول :

ــ عندما يأتى جسم ما من الفضاء ، فهو شأن عالمى .

مال مدير المخابرات نحوه ، وهو يقول بمنتهى الصرامة :

ــ بالنسبة لأى قانون ؟!..

تراجع الرجل بحركة حادة مصدومة ، وهو يردد مستنكرًا :

ــ قانون ؟!

أجابه مدير المخابرات ، بنفس الصرامة :

ــ تدَّعون دومًا أنكم دولة تحترم القانون ، ومادمتم قد جرؤتم على دس أنفكم فى أمور مصرية بحتة ، فلا ريب أنكم تستندون إلى قانون ما ... قانون دولى ، أو حتى مصرى ..

(*) مدير المخابرات العامة فى منصب وزير سيادى .

وزاد من ميله نحوه ، وصرامته تكتسب رنة خطيرة ، وهـــو يضيف ، متطلعًا بعينين قاسيتين إلى الرجل :

ــ وإلا فسيعنى هذا أنكم تتدخلون بلا أى سند ، ومـــن غيـــر الممكن طبعًا أن تتصوَّروا أننا سنخضع ، أو نقبل بهذا ، على أى نحو كان ، فقط لأنكم دولة عظمى .

احتقن وجه مندوب السفارة ، وهو يقول فى عصبية :

ــ لسنا مجرَّد دولة عظمى يا سيادة الوزير ... إننـــا الدولـــة العظمى الأولى فى العالم ... نحن زعماء العالم الجديد .

تراجع المدير قائلاً فى حزم :

ــ هذا لا يعطيكم أى حق ، فى دس أنفكم فى شئوننا .

ازداد احتقان وجه المندوب ، وهو يقول :

ــ اسمعنى جيدًا يا سيادة الوزير ... ما حدث لم يكن مفاجـــأة تامة لنا ... لقد رصدت أقمارنا الصناعية تلك المركبة الفضائية ، منذ اقترابها من كوكب الأرض ، ولكننا كنا نتوقَّع هبوطها فـــى الولايات المتحدة .

قال المدير ، فى لهجة صارمة ، تحمل رنة ساخرة

ـ لأنها زعيمة العالم الجديد ..

قال المندوب فى حدة :

ـ كلا ، ولكن لأن أية مخلوقات عاقلة ، تقترب مـن كوكـب الأرض ، سترصد حتمًا أننا أكثر مناطق الأرض تطورًا وتحـضرًا ، وهذا سيدفعها للهبوط لدينا حتمًا .

واصل المدير لهجته الساخرة ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنها كانت تبحث عن أمر آخر ..

بدا وجه المندوب وكأنه سينفجر ، من فرط الاحتقان ، وهو يقول :

ـ دعنا نكن صرحاء يا سيادة الوزير ... بغض النظـر عـن هبوط تلك المركبة هنا ، فكلانا نعلم جيدًا أن (أمريكا) وحـدها تملك المعرفة والتكنولوجيا اللازمتين ؛ للتعامل مع أمر كهذا .

غمغم مدير المخابرات فى هدوء :

ـ حقًا ؟!..

بدت الكلمة ساخرة تمامًا ، بالنسبة لمندوب السفارة ، فقال فى عصبية شديدة :

ـ هل يمكنكم إنكار هذا ؟!..

طال الصمت هذه المرة ، وكلاهما يتطلَّع إلى عينى الآخر فـى تحد ، قبل أن يقول مدير المخابرات فى صرامة :

ـ عندما سقطت مركبة فضائية ، عـام 1947 م ، فـى بلـدة (روزويل) فى (نيو مكسيكو) ، تكتمتم الأمر تمامًا ، وحاولـتم ، طوال ما يزيد عن نصف القرن ، إنكار حدوثه من الأساس[*]

هل تعلم لماذا ؟!..

لم ينطق مندوب السفارة بحرف واحد ، وهو يتطلَّع إلى المدير فى عصبية ، فتابع هذا الأخير فى حزم :

ـ لأن التكنولوجيا التى حوتها المركبة الفضائية ، كانت تفوق كل التكنولوجيا المعروفة فى كوكب الأرض بقرن كامل على الأقل ... صحيح أنكم لم تستطيعوا فهم معظمها حتـى الآن ، ولكـن مـا كشفتم ألغازه ، ساعدكم على ربح سباق الوصول إلى القمر قبل السوفيت ، الذين سبقوكم فى الدوران حوله .

قال المندوب ، فى عصبية شديدة :

ـ ما الذى ترمى إليه بالضبط يا سيادة الوزير ؟!..

(*) واقعة حقيقية .

أجابه الوزير فى صرامة :

ــ إن السبب نفسه هو الذى دعاكم إلى هذا التدخل الـسافر ... التكنولوجيا ... تخشون لو استأثرنا بهـذا ، أن نتطور تكنولوجيًا ، أو نمتلك شيئًا لم تتوصلوا إليه ، ولا يملكه الإسرائيليون ...

كان من الواضح أن استنتاجه ، وخاصة الجزء الأخير منـه ، قد أصاب كبد الحقيقة مباشرة ، لذا فقد انتفض المندوب فى عنف ، وهو يقول فى حدة :

ــ مادمنا قد بلغنا هذا الحد ، فاسمح لى أن أنقل الجزء التالى من رسالتنا إليكم ، والذى كنت أدخره للنهاية .

ثم نهض بحركة حادة ، واستند براحتيه على سـطح مكتـب المدير ، وهو يضيف ، بكل ما أمكنه من صرامة :

ــ إننا سنبذل كل جهودنا ، للحـصول علـى تلـك المركبـة الفضائية ، حتى لو اضطررنا للحصول عليها ...

واشتعلت عيناه ، وهو يضيف فى غلظة :

ــ بالقـوة .

وضاقت عينا مدير المخابرات فى شدة ...

وانعقد حاجباه فى غضب ...

فقد كان هذا يعنى أن الأمور تتطوَّر على نحو خطير ...

خطير للغاية ...

وإلى أقصى حد .

* * *

6 ـ بالقـــوة ..

تمامًا كما طلب (جو) ، تم نقل ذلك الكائن إلى حجرة خاصـــة ، مجهزة بكل الأجهزة السمعية المتطورة ...

أجهزة يعرفها ، ويقرأ عنها ...

ولكنه لم يتصور ، حتى أن يلمسها أبدًا ...

أجهزة يتجاوز ثمن الواحد منها مقدار ما ربحه ، فى السنوات الخمس الأخيرة ...

على الأقل ...

وعلى مقعد صغير ، فى الركن البعيد ، جلس صـاحب الحلــة السوداء يراقبه فى صمت ، وهو عاقد ساعديه أمـــام صـــدره ، فتطلَّع إليه (جو) لحظات ، ثم التفت إلى ذلك الكائن ، وتطلـــع إليه لحظات فى صمت مماثل ...

كان من الواضح أنه يألف الأجهزة التكنولوجية ، ويدرك أنهم يحاولون إيجاد وسيلة ما للاتصال معه ...

كان يقف فى اهتمـــام ، متطلعًا إلى (جـــو) ، وناقلاً بصره ، كل بضع لحظات ، بينه وبين ذلك الجالس فى الركن ...

وفى بطء وتركيز ، أشار (جو) إلى صدره ، قائلاً ، دون أن يرفع بصره عنه لحظة :

ـ (جو) ... اسمى (جو) .

انتبه الكائن ، وقال على الفور ، ودون لحظة تفكير :

ـ (موجال) .

قالها ، وضرب على صدره براحته ، واعتدل فى حزم ، مكررًا :

ـ (موجال) ... (ميروز) .

انعقد حاجبا (جو) ، وهو يسأله فى اهتمام ، وبنفس البطء :

ـ اسمك (موجال ميروز) .

هزَّ الكائن رأسه نفيًا ، وكأنما فهم العبارة تمامًا ، وعاد يشير إلى صدره قائلاً :

ـ (موجال)

ثم رفع يده وبصره إلى أعلى ، مردفًا :

ـ (ميروز) .

اعتدل (جو) ، مغمغمًا فى اهتمام :

ــ فهمت .

بدا الرجل متوترًا متحفزًا ، وهو ينهض من مقعده ، متسائلاً ، فى لهجة حملت من الصرامة ، أكثر مما حملته من التساؤل :

ــ ماذا فهمت بالضبط ؟!..

أجابه (جو) ، دون أن يلتفت إليه ، ودون أن يرفع عينيــه عن ذلك الكائن :

ــ أظنه شديد الوضوح .

وأشار إلى الكائن ، مكملاً :

ــ يقول إن اسمه (موجال) .

ثم رفع يده إلى أعلى ، مضيفًا :

ــ وجاء من كوكب يدعى (ميروز).

تألقت عينا الكائن ، عندما فعل (جو) هذا ، وقال فى حماس ، وهو يرفع يده إلى أعلى :

ــ (ميروز) ... (ميروز) .

ثم تبع هذا بكلمات حماسية سريعة ، لم يفهم الرجل منها حرفًا واحدًا ، وإن رصدها (جو) كلها على أجهزته ، ثم راح يتـــابع المؤشرات فى اهتمام بالغ ، والرجل يكرر فى توتر :

ــ ماذا فهمت ؟!

التفت إليه (جو) ، فى حدة لا تناسب طبيعته ، وهتــف فــى غضب :

ــ اصمت .

تراجع الرجل كالمصعوق ، وانقلبت دهشته ، بعد لحظة واحدة إلى حالة من غضب عارم ، وهو يهم بقول شىء مـــا ، ولكــن (جو) صاح مكملاً :

ــ إنك تفسد كل ما ينبغى عمله هنا ... لو أنك تريد المراقبة ، فاجلس صامتًا فى الركن ، أو راقب من الخارج .

انتفض الرجل فى غضب ، وهو يقول :

ــ إنها مسألة أمن قومى .

صاح فيه (جو) :

ـ هذا بالضبط ما قصدته ... إنك تخيفه بأسلوبك السخيف هذا ، ولو شعر بالخوف أكثر ، سيتوقف عن التجاوب ، وسنخسر كـل شىء ... ألا يتعارض هذا ، مع ما تسميه بالأمن القومى ؟

صمت الرجل لحظات ، ثم عاد إلى مقعده ، وجلس عليه ، وعقد ساعديه أمام صدره فى قوة ، وإن لم تفارق علامـات الغـضب ملامحه ...

عندئذ فقط ، التفت (جو) إلى شاشة أحد الأجهزة ...

ثم انعقد حاجباه فى شدة ...

فما نقله إليه الجهاز على الشاشة ، كان حقًّا مدهشًا ...

وإلى أقصى حد ...

* * *

بدا الغضب الشديد على وجه رئيس الجمهورية ، وهو يستمع إلى مدير المخابرات ، قبل أن يقول :

ـ أية وقاحة هذه ... لقد تجاوز هؤلاء الأمريكيون كل مـدى ممكن .

قال مدير المخابرات فى اهتمام :

ـ من الواضح أن الأمر شديد الأهمية والخطورة ، بالنـسبة لهم ، ثم إن الحادثة كلها أثبتت أنهم يراقبوننا طوال الوقت ، عبر أقمارهم الصناعية ...

قال الرئيس فى ضيق عصبى :

ـ هذا صحيح .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ ولكننى سأتقدم باعتراض مباشر على ما حدث .

قال مدير المخابرات فى تردد :

ـ لقد أبلغت مندوبهم أن هذا ما سنفعله ، ولكن ...

صمت قبل أن يتم عبارته ، فسأله الرئيس فى صرامة :

ـ ولكن ماذا ؟!..

أجابه فى حذر :

ـ ولكنه قال : إن هذا لن يوقفهم .

انعقد حاجبا الرئيس فى غضب ، ولكنه لم يعلق بحرف واحد ، وهو يتجه نحو مكتبه ، ويجلس خلفه مفكرًا ، ثم يقول :

ــ ما الذى تعتقد أن يعنيه هذا ؟!...

أجابه مدير المخابرات على الفور :

ــ أنه لا شىء سيمنعهم ، من الحصول على تلك التكنولوجيا القادمة من الفضاء .

تراجع الرئيس فى مقعده ، مغمغمًا فى قلق :

ــ هل تعتقد هذا حقًّا ؟!

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ ليس هذا فحسب يا سيادة الرئيس ، بل أعتقد أن الأمر لن يقتصر على الأمريكيين وحدهم .

اعتدل الرئيس فى انفعال ، متسائلاً :

ــ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى قلق واضح :

ــ قوى كثيرة فى العالم ، تسعى الآن لقهر الزعامة الأمريكية ، وتبحث عن قوة ما ، ترفعها درجة فى سلم السيطرة ، ولو أنها علمت بأمر المركبة الفضائية ، فستتحول مصرنا إلى ساحة قتال رهيبة .

انعقد حاجبا الرئيس مرة أخرى ، ونهض من خلف مكتبــه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتحرك فى عصبية مفكرًا ، قبل أن يسأل مدير المخابرات :

ــ هل تم تأمين مقر استمرار الحكومة جيدًا(*) ؟!

اعتدل مدير المخابرات ، فى وقفة عسكرية ، وهو يجيب فــى حزم :

ــ على نحو تام يا سيادة الرئيس .

ظل الرئيس معقود الحاجبين بضع لحظات ، قبل أن يسأل :

ــ وماذا عن المقر الآخر .

(*) مقر استمرار الحكومة : منطقة سرية ، تعد من أرقى أسرار أية دولة ، حيث تختفى فيهــا الحكومة ، فى حالات الطـوارئ القصوى أو الاحتلال ، لضمان استمرارها ، على الرغم من الموقف ، حتى انتهاء الأزمة .

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

ـ اطمئن يا سيادة الرئيس .

التقط الرئيس نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ فى هذه الحالة ، يتعين عليكم ، وعلى جهاز مباحث أمـن الدولة ، تأمين البلاد من الداخل ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتف أحمر خـاص ، علـى سطح مكتبه ، فالتفت إليه فى حركة سريعة متوترة ، وغمغم فى قلق عارم :

ـ إنه وزير الدفاع .

أسرع يلتقط سماعة الهاتف ، ويسأل فى توتر :

ـ ماذا هناك يا سيادة الوزير ؟!..

أجابه الوزير فى لهجة عسكرية ، حملت الكثير من التوتر :

ـ سيِّدى الرئيس ... إنهم الإسرائيليون .

سأله الرئيس ، وقد تضاعف توتره :

ـ ماذا عنهم ؟!

أجابه الوزير فى سرعة :

ـ قواتهم يا سيادة الرئيس ... قواتهم تتحـرَّك فـى تـشكيل هجومى ... نحو حدودنا فى (سيناء) .

وفى هذه المرة ، انعقد حاجبا الرئيس فى منتهى الشدة ...

فقد كان هذا تطورًا خطيرًا ...

إلى أقصى حد .

* * *

لثوان ، لم يتمالك (جو) نفسه من الدهشة ، وهو يحدق فى تلك الشاشات عالية التكنولوجيا أمامه ...

لقد درس علم التعريف الصوتى لسنوات ...

درسه نظريًا ...

وحاول جاهدًا تطبيقه عمليًّا ...

حاول مع حيوانات بسيطة ...

وثدييات أكثر تعقيدًا ...

بل لقد أجرى بعض تجاربه على بعض الصم والبكم ، لمحاولة لبدء اللعبة ...

وفى كل مرة ، كان يحصل على نتائج محدودة ...

محدودة للغاية ...

نتائج كانت تحتاج منه إلى ساعات من الفحـــص والتمحـــيص والدراسة والتحليل ، قبل أن يتوصل إلى ما يعنيه أى شىء مـــن الأصوات التى يصدرها ...

ثم فجأة ، يجد نفسه أمام هذه الحالة ...

كائن قادم من الفضاء ، من كوكب آخر ... وربما مجرّة أخرى ، ولكنه يستجيب بشكل مدهش ...

بل بشكل مذهل !!..

الإشارات التى أمامه تقول هذا ...

« أنا كائن عاقل مثلكم ، فلماذا تسجنوننى فـــى قفـــص مـــن الزجاج ، كالحيوانات الدنيا ؟! »

هذا ما نقلته الشاشة فى وضوح ...

هذا ما قاله الكائن ، بلغته غير المعروفة ، بـــين كـــل لغـــات الأرض ، القديمة أو الحديثة ... الحية أو الميتة ...

هذا ما قاله ...

أو ما فهمته الأجهزة ...

وبكل وضوح ...

« ماذا قال ؟! .. »

ألقى الصارم الجالس فى الركن الســؤال ، فـــى شـــىء مـــن العصبية ، ولكن (جو) لم يلتفت إليه ، مع شدة انتباهـــه لمـــا رسمته الشاشة ، فكرَّر سؤاله فى عصبية أكثر ، وهـــو يـــنهض من مقعده بحركة شبه حادة ...

حركة جعلت ذلك الكائن يتراجع فى توتر ، وهو يطلق غمغمة عصبية ، جعلت (جو) يلتفت إلى الرجـــل ، قـــائلاً فـــى حـــدة وصرامة :

ـــ عد إلى مقعدك .

قالها (جو) ، دون أن يهتم بكون ذلك الرجل هو حارسه ...

بل دون حتى أن يشعر بهذا ...

كانت تلك اللحظة ، التى يحقق فيها ما بدا له أشبه بالمعجزة ، فى علم التعريف الصوتى ، تطلق رجفة علمية قوية ، فــى كــل ذرة من كيانه ، حتى إنه لم يكن مستعدًا للتخلى عنها ...

مهما كان الثمن ...

ولكن أسلوبه هذا أغضب الرجل ...

أغضبه ، وجعله يندفع أكثر نحو (جو) ، وجعل ذلك الكـــائن يتراجع أكثر ، وجعل (جو) يصرخ فى عصبية :

ــ قلت : عد إلى مقعدك .

وللعجب ، توقف الرجل دفعة واحدة ، وهو يتطلَّع إليه بعينين مشتعلتين ...

توقَّف ، وبدا شديد الانتباه والاهتمام ...

توقَّف فى الواقع ؛ لأنه تلقى تعليمات بهذا ...

ليس عبر صرخة (جو) أو عصبيته ، ولكن عبــر ســمَّاعة دقيقة للغاية ، مغروسة فى فراغ أذنه اليسرى ...

تعليمات صارمة ، أتته من مصدر مـــا ، وجعلتـــه يتراجـــع ، ويجلس مرة أخرى على مقعده ...

وهنا فقط ، استدار (جو) إلى ذلك الكائن ، وقال محاولاً تهدئته :

ــ لن يحدث هذا ثانية ... أعدك .

تطلَّع إليه ذلك الكائن فى شك واضح ، ولكنه كرر عبارتـــه ، وهو يرسم على وجهه ابتسامة ما ...

ابتسامة بدت مضطربة متوترة ، ولكنها جعلت ذلـــك الكـــائن يعتدل ، ويلقى نظرة حذرة على الرجل ، الذى عقد ساعديه أمام صدره ، وزم شفتيه ، ولاذ بالصمت التام ، قبل أن يشير إليـــه ، ويهمهم بلغته غير المعروفة ...

وبسرعة ، نقل (جو) بصره إلى شاشة الجهاز ...

« أهو القائد ؟!... »

بدت العبارة واضحة للغاية ، فأسرع (جو) بـــدفع برنـــامج الأجهزة لدراستها وتخزين مفرداتها ، قبل أن يرفع عينيه إلـــى الكائن ، مغمغمًا :

ــ إنه مجرد حارس .

لم يرق هذا للرجل بالتأكيد ، إلا أنه اكتفى بعقد حاجبيه ، وزم شفتيه أكثر ، ودون أن ينطق بحرف واحد ...

وفى قلق ، نظر إليه ذلك الكائن لحظة ، ثم لم يلبث أن عـــاد ببصره إلى (جو) ، وبدأ يتحدَّث بلسانه وذراعيه ، فى ســرعة كبيرة ، أربكت الأجهزة تمامًا ، فهتف به (جو) :

ــ أبطئ أرجوك ... أبطئ

ولكن الكائن واصـــل حديثه فى حمـــاس ، وكأنه لم يسمعه ، فهتف (جو) :

ــ أبطئ يا هذا .

التفت إليه الكائن بحركة حادة ، وحدَّق فيـــه لحظـــة ، أجبـــر (جو) خلالها شفتيه على الابتسام ، وهو يقول :

ــ لا أستطيع متابعتك .

قالها ، وهو يشير إلى شفتيه ، ويحرك أصابع كفيه أمامهما ، محاولاً أن يقرن قوله بحركات تحمل المعنى نفسه ...

ولثوان ، ظل ذلك الكائن يحدق فيه ، ثم لم يلبث أن اقترب من الجدار الزجاجى ، حتى كاد يلتصق به ، ثم رفع يده ، مشيرًا إلى أعلى ، وهو يتحدَّث ببطء ...

بمنتهى البطء ...

وفى هذه المرة ، سجَّلت الأجهزة كلماته ...

وحللتها ...

ونقلتها إلى الشاشة ...

وانعقد حاجبا (جو) بشدة ...

« ماذا طلب بالضبط ؟!... »

ألقى المسئول الأوَّل هذا السؤال على (جو) ، فى اهتمام بالغ ، فبدأ هذه الأخير شديد الحماس ، وهو يجيب :

ــ خريطة فلكية ... يريد أن يحدد لنا موقع كوكبه .

تطلَّع المسئول ، فى شك وحذر ، إلى المنحنيات التى طبعهـــا (جو) عن شاشة أجهزته ، وهو يتساءل :

ــ وأين هذا بالضبط ؟!..

أشار (جو) إلى سطر من المنحنيات ، وهو يقـــول بـــنفس الحماس :

ــ هنـــا .

نظر المسئول ، فى شك وحذر أكثر ، إلى المنحنى المعقَّد ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحاول فهمه ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فـى صرامة :

ــ لست أرى سوى منحنيات غير منتظمة .

حدَّق (جو) فيه ، فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يقول :

ــ ليست مجرد منحنيات ... إنها كلمات .

سأله الرجل فى صرامة :

ــ بأية لغة ؟..

شعر (جو) بصدمة علمية ، جعلته يجيب فى عصبية :

ــ بلغة العلم .

تراجع الرجل ، وهو يغمغم فى توتر :

ــ لغة ماذا ؟!..

أجابه فى حدة :

ــ اللغة التى أحضرتمونى هنا من أجلها ... اللغة القادرة على تحويل أية أصوات مسموعة ، إلى معان واضحة ، بغض النظـر

عن مصدرها ... اللغة الوحيدة ، التى مكَّنتنا من فهم ما يقولــه ذلك الكائن الــ ...

قاطعه المسئول فى صرامة :

ــ هذا ما تقوله أنت .

توقَّف (جو) ليحدق فيه بدهشة أكبر ، قبل أن يردد مستنكرًا :

ــ ما أقوله أنا ؟!..

هـــزَّ المسئول كتفيه ، وقال :

ــ ما أراه أنا ، وما سيراه رؤسائى ، مجرد منحنيات ، لا توجـد أية مراجع لترجمتها ، وأنت المرجع الوحيد لها ، وتتعامل معنـا بصفتك الممثل لذلك الكائن ، وليس لنا .

بدا (جو) شديد الدهشة والاستنكار ، وهو يقول :

ــ أى قول هذا ؟!...

شد المسئول قامته ، وهو يجيب فى صرامة :

ــ القول الأمنى ... مهمتى الأولى ، هى الحفاظ علـى أمـن (مصر) القومى ، وهذا يتعارض مع اتخـاذ أى إجـراء ، دون دراسته جيدًا .

قال (جو) فى حدة :

ـ وما الذى يتعارض مع الأمن القومى ، فى محاولـــة ذلـك الكائن ، تحديد موقع الكوكب الذى أتى منه !!

مال المسئول نحوه بحركة مباغتة ، جعلت (جو) يتراجع فى حدة ، والمسئول يقول فى صرامة :

ـ ومن أدراك أن هذا ما يستهدفه ؟!..

حدَّق فيه (جو) لحظة أخرى ، وقال حائرًا ، متوترًا :

ـ وما الذى يمكن أن يستهدفه سوى هذا ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ تحديد موقع كوكبنا نحن .

بدا الجواب سخيفًا للغاية ، حتى أن (جو) عجز عن الكـــلام لحظات ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ لقد وصل إلينا ... أليس كذلك ؟!

هـــز المسئول كتفيه ، وقال :

ـ ربما هو مجرد طليعة استكشافية ، وسيرســل الآن موقـع الكوكب ، الذى وجد عليه مخلوقات عاقلة لقيادة كوكبه .

غمغم (جو) ذاهلاً :

ـ طليعة استكشافية ؟!... هل تتصور أن مركبة فضائية بهذا الحجم ، يمكن أن تقطع الفضاء ، من كوكب مـــأهول إلـــى هنـــا بمفردها ؟!

انعقد حاجبا المسئول ، وهم بقول شىء ما ، لـــولا أن انـــدفع مساعده إلى الحجرة ، هاتفًا :

ـ الإسرائيليون يا سيدى .

التفت إليه الاثنان ، وكان (جو) أوَّل من هتف فى انزعاج :

ـ ماذا عنهم ؟

شهق الرجل لسبب ما ، قبل أن يهتف ، فى صوت ارتجف كل حرف منه :

ـ إنهم يهاجموننا .

واتسعت عينا (جو) فى ذعر وذهول ...

بلا حدود .

* * *

7 ـ وسـائل الضـغط ..

على عكس ما اعتاده ، وصل السفير الأمريكى إلى قصر الرياسة منتفخ الأوداج ، ودخل مكتب الرئيس مشدود القامة ، ومدَّ يـده يصافح الرئيس ، قائلاً :

ـ يسعدنى أن أبلغك فى البداية تحيات الـرئيس الأمريكـى ، يا سيادة الرئيس .

تجاهل رئيس الجمهورية اليد الممدودة إليه ، وهو يقول فـى صرامة :

ـ أقماركم الصناعية رصدت ما يحدث فى (سيناء) بالتأكيد .

رفع السفير رأسه ، وأعاد يده إلى جواره ، وهو يجيب :

ـ أمر طبيعى .

سأله الرئيس فى صرامة ، دون أن يدعوه للجلوس :

ـ أى أمر هو الطبيعى ... ما يحدث فى (سيناء) ، أم رصد أقماركم الصناعية له ؟!..

صمت السفير لحظات ، قبل أن يجيب ، وهو يضغط كل حرف من حروف كلماته :

ـ ربما كلاهما .

ردد الرئيس فى غضب :

ـ ربما ؟!..

اكتسب صوت السفير بعض الصرامة ، وهو يقول :

ـ أقمارنا الصناعية تراقب المنطقة كلهـا طـوال الوقـت ؛ باعتبارها من أكثر المناطق سخونة فى العالم ، والإسرائيليون ، عندما يهاجمون ، فهم يحاولون دومًا حماية حدودهم ، و ...

قاطعه الرئيس بضربة قوية من قبضته على سـطح مكتبـه ، قبل أن يهتف فى غضب شديد :

ـ كفى .

تراجع السفير فى دهشة مصدومة ، وحدَّق فى الرئيس ، الذى واصل بنفس الغضب :

ـ لسنا هنا أمام مؤتمر صحفى ، حتى تتلاعب على هذا النحو ... كلانا يعرف جيدًا حقيقة ما يحدث هناك ... فى (سيناء) ... الإسرائيليون لا يهاجمون لحماية حدودهم ... وعلـــى الـــرغم من اتفاقية السلام ، بيننا وبينهم ، فجيشنا مستعد دومًا لـــصد هجومهم ، والتعامل معهم ، على نحو مناسب ، وأنتم تعلمون أن ما حدث عام 1967م ، لا يمكن أن يتكرَّر أبدًا ..

انعقد حاجبا السفير الأمريكى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لماذا إذن يهاجم الإسرائيليون فى رأيك ، يا سيادة الرئيس ؟!..

أجابه الرئيس فى صرامة :

ـ محاولة للضغط علينا .

قال السفير فى سرعة :

ـ من أجل ماذا ؟!..

تراجع الرئيس فى مقعده ، وهو يقولِ بنفس الصرامة :

ـ من أجـــل ما تزعمونه ، عـــن وجـــود مركبة فضائية غير أرضية هنا .

صمت السفير لحظات ، ثم قال فى بطء :

ـ ما نزعمه ، أم ما رصدناه يا سيادة الرئيس ؟!..

عاد الرئيس يضرب سطح مكتبه بقبضته ، وهو يقول :

ـ أيًّا كان الأمر ، فأنتم تدسون أنفكم فى شئون داخلية ..

صمت السفير لحظات أطول هذه المرة ، ثم مال نحو الرئيس ، وقال فى حزم ، يتنافى مع أصول اللياقة والديبلوماسية :

ـ هبوط مركبة فضائية على الأرض ، لـــيس مـــن الـــشئون الداخلية يا سيادة الرئيس ... إنها مسألة أمن قومى أمريكى .

قال الرئيس فى صرامة غاضبة :

ـ وماذا عن الأمن القومى المصرى ؟!..

اعتدل السفير بحركة حادة ، وقال فى صرامة :

ـ أظنكم تتعرضون لهجوم إسرائيلى ، يهدد أمـــنكم القـــومى يا سيادة الرئيس .

قال الرئيس صارمًا :

ـ وأنتم تستطيعون إيقاف هذا الهجوم .

هزّ السفير كتفيه ، وقال فى ثقة :

ــ ليس لدى أدنى شك فى هذا يا سيادة الرئيس .

قال الرئيس :

ــ والثمن طبعًا أن نسلمكم تلك المركبة الفضائية ؟!..

أجابه فى سرعة وحزم :

ــ والكائنات التى كانت داخلها .

بدا الرئيس أكثر غضبًا ، وهو يقول :

ــ وماذا لو رفضنا ... رسميًا ؟!..

أجابه السفير فى صلف :

ــ سيتعرض أمنكم القومى للخطر .

قال الرئيس فى صرامة شديدة :

ــ وماذا عن السيادة ؟!..

ردد السفير فى حذر ، وكأنه لم يفهم ما تعنيه الكلمة :

ــ السيادة ؟!..

نهض الرئيس بحركة حادة ، وقال بمنتهى الصرامة :

ــ سيادتنا على أرضنا أيها السفير ... أمننا القومى نحن أهل لحمايته والزود عنه ، وسيادتنا هى أساس وجودنا ، ولن نسمح لأية قوى ، مهما كانت ، أن تهددها ... لـو أراد الإسـرائيليون الحرب ، فهى الحرب ... سنخوضها بكل قوتنا ، وكل قطـرة دم فى عروقنا ، وسندافع عن وجودنا وكياننا وسيادتنا على أرضـنا ، مهما كان الثمن ... أنتم والإسرائيليون فقط ستخسرون .

أنتم ستخسرون حليفًا قويًّا ، وهم سيخسرون اتفاقية سـلام ، ساعدتهم على الاستقرار لسنوات ... فلتكن الحرب أيها السفير ... أبلغ رئيس الولايات المتحدة بهذا ... وليندم الخاسرون فـى النهاية ...

احتقن وجه السفير ، وهو يقول فى عصبية :

ــ أهذا جواب نهائى ؟!..

شدّ الرئيس قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فـى صرامة شديدة ، وحزم بلا حدود :

ــ دون ذرة من التردد .

ازداد احتقان وجه السفير ، على نحو يوحى بأنه قـد تلقـى جوابًا يخالف كل ما توقع الحصول عليه ، وتراجع وهو يقـول ، فى صوت محتقن كوجهه :

ـ سأخبر الرئيس بهذا ... فورًا .

ظل الرئيس على وقفته ، حتى غادر السفير الأمريكى المكان ، ثم التفت إلى باب جانبى ، مغمغمًا :

ـ لقد سمعت كل شىء .

خرج مدير المخابرات من خلف الباب ، وهو يغمغم فى قلق :

ـ هذا ما توقعناه يا سيادة الرئيس .

أومأ الرئيس برأسه ، قائلاً :

ـ لهذا أصدرت أوامرى للجيش ، بالالتحام مع الإسرائيليين فورًا .

صمت مدير المخابرات لحظات ، ثم غمغم :

ـ وهل تعتقد أن الأمر يستحق إشعال حرب يا سيادة الرئيس ؟!..

أجابه الرئيس فى حزم :

ـ نحن ندافع عن سيادتنا على أرضنا ، وليس عن مركبة أتت من الفضاء يا مدير المخابرات ..

عاد مدير المخابرات إلى صمته بضع لحظات ، قبل أن يهـز رأسه ، قائلاً :

ـ كجزء من عملنا ، وضعنا أكثر من تصور ، عـن انتهـاك الإسرائيليين لاتفاقية السلام ، ومبادرتهم بالهجوم ، ووضعنا عدة سيناريوهات محتملة لكل تصور ، ولكنا فى الواقع لـم نتخيـل لحظة واحدة ، ذلك الذى حدث .

تنهد الرئيس ، قائلاً :

ـ ومن كان يتوقعه ؟!...

ران الصمت على كليهما بعد عبارته ، وطال بعض الوقـت ، قبل أن يقول الرئيس فى حزم :

ـ متى يصل وزير الدفاع ؟!..

أجابه مدير المخابرات :

ـ إنه فى الطريق إلى هنا ... كان عليه أن يتواجد فى غرفة العمليات الرئيسية ، فور وقوع الهجوم .

صمت الرئيس لحظات أخرى ، ثم قال فى صرامة :

ـ لقد كنت أعنى كل كلمة قلتها للسفير ... هم الذين سيخسرون بسبب هذا .

غمغم مدير المخابرات :

ـ بالتأكيد .

ثم أضاف ، وهو يلتفت إلى الرئيس :

ـ ولكن خبرتنا مع الأمريكيين ، تؤكد أنهم لن يكتفوا بهـذا ، ولن يتوقفوا عن التهديد .

التفت إليه الرئيس بدوره ، يسأله فى اهتمام وقلق :

ـ ماذا تتوقع أن يفعلوا ؟!..

أجابه فى حزم :

ـ عملية مخابرات .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول مرددًا :

ـ عملية مخابرات .

واصل مدير المخابرات فى حزم :

ـ سيسعون بكل السبل ، لمعرفة موقع المركبة الفضائية ، ثم سيعدون خطة انتحارية للاستيلاء عليها .

تساءل الرئيس :

ـ من داخل حدودنا ؟!..

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ربما كان الهجوم الإسرائيلى مجرد تحويل انتبـاه ، عـن الهدف الفعلى ، أو ...

ارتفع رنين هاتفه الخاص فى هذه اللحظة ، فبتر عبارته ، وقال :

ـ هل تأذن لى يا سيادة الرئيس ... هذه الهاتف لا يتصل به أحد ، إلا عند حدوث أمر جلل .

أشار إليه الرئيس أن يجيب الهاتف ، فالتقطه فـى سـرعة ، واستمع إلى محدثه فى اهتمام ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شـدة وتوتر ، سرعان ما انتقلا إلى الرئيس نفسه ...

هذا لأن انفعاله كان يعنى أن ما يتلقاه أمر بالغ الخطورة ... إلى أقصى حد .

* * *

لم يشعر (جو) ، فى حياته كلها بالغضب ، مثلما شعر به فى تلك اللحظة ، وهو يجلس أمام رجل الأمــن ، الــذى يــرفض ، وبإصرار ، فكرة إحضار الخريطة الفلكية لذلك الكائن ، القادم من أعماق الكون ...

وبكل غضبه هذا ، وجد نفسه يهتف فى حدة :

ــ ما تفعله يتعارض تمامًا مع الأمن القومى .

ارتسمت على شفتى الرجل ابتسامة ساخرة ، وتراجــع فــى مقعده ، قائلاً فى لهجة ، حملت الكثير من ابتسامته :

ــ وما أدراك أنت بالأمن القومى ؟!..

أجابه بنفس الحدة :

ــ ما أعلمه هو أن ضرورات الأمن القومى ... أى أمن قومى ، هى حماية المجتمع ، وتأمين الأفضل له .

مط الرجل شفتيه ، وقال :

ــ مفهوم ساذج محدود .

تابع (جو) ، متجاهلاً تعليقه المستفز :

ــ وعدم تعريض البلاد للخطر .

انعقد حاجبا الرجل ، وزالت ابتسامته الساخرة ، واعتدل مائلاً نحو (جو) ، فى حركة حادة ، وهو يقول فى غلظة :

ــ ما تطلبه أنت ، هو ما يعرض البلاد للخطر .

هتف (جو) فى ثورة :

ــ هذا ما تراه بعيون الأمن العمياء.

بدا الرجل لحظة ، وكأنه سينفجر فى وجهه ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع فى بطء ، وهو يقول فى صرامة :

ــ دعنى أتفق معك على أن عيون الأمن عمياء ، لأنها لا ترى سوى الحقيقة ، ولا شىء سواها ... تمامًا مثــل ذلــك الرمــز الأمريكى للعدالة العمياء ، وهو يعنى لديهم أن القانون لا يفــرق بين البشر ... كلهم عنده سواء .

واصل (جو) حديثه بنفس الحدة :

ــ أما أنتم فعيونكم عمياء ؛لأنكم لا ترون الــدنيا إلا بمنظــور أمنى بحت ... وحتى فى هذا ، لا تحسنون منظوركم ، فــالأمن ليس قوة وسيطرة فحسب ... الأمن هو خدمة وحماية أيضًا كما يقــول الأمريكيــون ، وكمــا يؤكد دستورنا هنا فى (مصر) ،

ولكنكم مصابون بلوثة أمنية ، تجعلكم فـى حالـة دائمـة مـن الوسواس القهرى ، تكاد تبلغ حد الهلوسة .

قال الرجل فى صرامة شديدة :

ــ احترس لما تقوله يا هذا .

ولكن (جو) واصل على النحو نفسه ، غير مبال بما سمعه :

ــ لقد أخرستم داخلكم صـوت العلم والمنطق تمامًا ، وصرتم تتعاملون بتشنج عجيب ، وكأن كل من يحيطون بكم من الأعـداء ، حتى نسيتم أنكم جزء من هذا الشعب ، و ...

قاطعه الرجل بمنتهى الصرامة ، وهو يرفع راحته فى وجهه :

ــ كفى .

ثم تراجع فى مقعده أكثر ، وظل يحدق فى وجهـه لحظـات ، قبل أن يسأله فى صرامة :

ــ لماذا فى رأيك يطلب هذا الشىء خريطة كونية ؟!..

أجابه فى سرعة ولهفة :

ــ ليحدد لنا موقع كوكبه على الأرجح .

عاد حاجبا الرجل ينعقدانِ بعض الوقت ، فى تفكير عميق هذه المرة ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى حزم :

ــ لابد من تأكيد هذا الرأى .

قال (جو) فى حماس :

ــ أنا واثق منه تمامًا ، وما سجله الجهاز يقول :

قاطعه الرجل فى صرامة :

ــ نحتاج إلى تأكيد آخر .

تراجع (جو) فى توتر ، وهو يقول :

ــ يمكننى أن أطرح عليه السؤال مرة أخرى .

مال الرجل نحوه كثيرًا هذه المرة ، وقال فى صرامة أكبر :

ــ عندما قلت : إننا نحتاج إلى تأكيد آخر ، كنت أعنى مصدرًا آخر .

سأله (جو) ، وقد بدأ يستعيد عصبيته :

ــ مثل ماذا ؟!..

ضرب الرجـل سطح المكتب الذى يفصلهما بقبضته ، وهو يجيب فى حزم :

ــ بل مثل من ..

ثم عاد يعتدل ، مضيفًا فى قوة :

ــ نحتاج إلى مصدر علمى موثوق به .

شعر (جو) بشىء من الإهانة فى العبارة ، ولكنه ابتلعهـا ، وهو يقول فى توتر :

ــ من تقترح ؟!..

أجابه فى سرعة ، توحى بأن الجواب حاضر لديه منذ البداية :

ــ دكتور (أحمد زهير) ... المستشار العلمى لسيادة الرئيس

تضاعف توتر (جو) ، وهو يقول :

ــ الدكتور (زهير) شخصية عالمية معروفة ، ولكنه لـيس عالمًا فلكيًا .

أجابه الرجل فى صرامة :

ــ ولا أنت كذلك .

ثم عاد يميل ، مضيفًا فى حزم :

ــ ولكنه المستشار العلمى للرئيس ، وهو الذى اقترح اسـمك فى البداية ، وقراره وحده ، يمكن أن يحسم هذا الأمر .

وعلى الرغم مــن التوتر الشديد ، الذى يشعر به (جــو) ، أو بسببه ، صمت بضع لحظات طوال ، وهو يتطلع إلى الرجل ، قبـل أن يقول فى خفوت ، وهو يبذل جهدًا خارقًا ، للسيطرة على توتره :

ــ ومتى يمكن هذا ؟!..

هز الرجل كتفيه ، قائلاً :

ــ وما وجه السرعة ؟

جاء الدور على حاجبى (جــو) ، لينعقـدا فى قـوة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ وتقول إن أقصى ما يهمك هو الأمن القومى ؟!

تراجع الرجل فى حركة عجيبة ، وكأنه تلقى إهانة عنيفة ، فى حين واصل (جو) غاضبًا :

ــ إنك حتى لا تتبع أبسط قواعد الحفاظ على الأمن القـومى ، الذى تدعى فهمك له .

هتف الرجل فى غضب :

ــ احترس يا هذا .

ولكن (جو) تابع ، وغضبه يتزايد حدة :

ـ هل تعتقد أيها العبقرى ، أن مكان كهذا يمكن أن يخفى سرًا بالغ الخطورة ، مثل سقوط مركبة فضائية ، وأسر مخلوق حــى منها ؟!... هل تعتقد أن هذا قد يحدث طويلاً ، بما يكفى لإضاعة الوقت ؟!..

قال الرجل فى صرامة غاضبة حادة :

ـ أنت لا تعرف أى مكان هذا ؟!..

صاح فيه (جو) فى غضب :

ـ وأنت لا تعلم ما الذى يمكن أن تفعله أية دولة ، للفوز بمــا تحتفظون به هنا ؟!..

لوح الرجل بقبضته فى وجه (جو) ، هاتفًا :

ـ أتحداك أن ...

قبل أن يتم عبارته ، دوت فجأة صفارات إنذار قوية فى المكان ، وأضيئت حواف السقف كلها بلون أحمر ، على نحــو متقطــع ، وارتفع صوت خشن ، يهتف :

ـ إنذار عام ... إنذار عام ... المكان يتعرض للهجوم ... إنــذار عام ...

بدا (جو) شديد الغضب والانفعال ، وهو يهتف :

ـ فى أى شىء كنت تتحدانى ..

هب الرجل من مقعده ، وألقى عليه نظرة عصبية ، ثم وثــب نحوه ، وجذبه من مقعده ، هاتفًا :

ـ أسرع .

راح (جو) يعدو خلفه ، دون أن يعلم ماذا سيحدث ، ولكنــه هتف فى جزع :

ـ وماذا عن (موجال) ؟!..

هتف الرجل ، دون أن يلتفت إليه :

ـ من ؟!..

أجابه فى ارتياع :

ـ ذلك الكائن القادم من (ميروز) ... هل سنتركه هنا خلفنا ؟!..

صاح الرجل ، وهو يجذبه إلى ما بدا أشبه بمصعد كبير :

كلا بالطبع ... سيلحق بنا .

صرخ (جو) ، وهو يدلف معه إلى المصعد :

ـ كيف ؟!

صاح الرجل ، فى لهجة تشف عن شدة توتر وحساسية الموقف :

ـ اترك هذا لنا .

ومع آخر كلماته ، سمع (جو) دوى الانفجار ...

وارتجفت كل خلية فى جسده ...
بمنتهى العنف .

* * *

8 ـ البديل ..

بدا وجه مدير المخابرات شاحبًا للغاية ، وهو يمسك سماعة الهاتف فى قوة تشفَ عن مدى خطورة ما تلقاه عبرها ...

وبكل التوتر ، هتف به الرئيس :

ماذا هناك يا رجل ؟!

استدار مدير المخابرات محدقًا فيه لحظة ، قبل أن ينتفض وكأنه ينتزع نفسه من صدمة عنيفة شفت عن نفسها فى صوته الشديد التوتر وهو يقول :

ـ مقر الطوارئ السرى .

خَفَتَ صوت الرئيس وهو يسأله :

ـ ماذا عنه ؟!

ازدرد مدير المخابرات لعابه فى صعوبة قبل أن يجيب :

ـ إنهم يقتحمونه .

ارتد الرئيس المصدوم وهو يهتف مستنكرًا :

ـ يقتحمونه ؟!.. من ؟!.. وكيف ؟!

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

ـ الإسرائيليون .

ثم تراجع فى سرعة أكبر مستدركًا :

ـ وربما الأمريكيون .

اتسعت عينا الرئيس ، وهو يغمغم :

ـ مستحيل !

ثم استحالت دهشته إلى غضب شديد ، وهو يستطرد هاتفًا :

ـ أيا كانت ماهيتهم ؛ فهذا أمر شديد الخطورة إلى أقصى حد يا مدير المخابرات ...

غمغم مدير المخابرات فى توتر شديد :

ـ أعلم هذا يا سيادة الرئيس .

ولكن الرئيس واصل وكأنه لم يسمعه :

ـ إننا نتحدث عن مقر الطوارئ السرى .. أعظم سر فى أية دولة .. المقر الذى ينبغى أن يلجأ إليه النظام كله ، فى حالات الطوارئ القصوى .. المقر الذى كان يمكن أن أكون فيه أنا الآن ، لو حدث هجوم شامل على (مصر) .

اعتدل مدير المخابرات وهو يقول فى حزم :

ـ هناك حل بديل يا سيادة الرئيس .

صاح الرئيس فى غضب :

ـ ليست هذه هى المشكلة .. المشكلة الرئيسية والأساسية والأكثر خطورة هى أنهم يعلمون أين هو المقر السرى .. هذا يعنى أن هناك اختراقًا داخليًا ، وعلى أعلى المستويات يا مدير المخابرات .. اختراق كشف أدق وأخطر أسرار الدولة كلها .

انعقدا حاجبا مدير المخابرات فى شدة ، وشد قامته فى وقفة عسكرية صارمة اعتادها منذ زمن طويل وهو يقول فى حزم عسكرى :

ـ سيدى الرئيس إننى أتقدم باستقالتى فورًا و ...

صاح فيه الرئيس فى غضب :

ـ ليس فى مثل هذا الموقف .

ازداد انعقاد حاجبى مدير المخابرات ، ومط شفتيه فى توتر وأسف ؛ فى حين عقد الرئيس كفيه خلف ظهره وشد قامته بدوره ، وقال فى صرامة قائد يقود معركة شديدة الخطورة :

ـ إننا نواجه حربًا مزدوجة الآن تقودها أكبر دولة فى العالم ، مستعينة بترسانتها العسكرية الجبارة وتكنولوجيتها التى لا ينافسها فيها أحد ومخلبها المتمثل فى (إسرائيل) ، وكل من يتعاون معها ، وعلينا أن نواجه هذه الحرب التى امتدت على



الرغم منا ، وربما منهم أيضًا إلى الجبهة الداخلية .

غمغم مدير المخابرات :

ــ مقر الطوارئ خارج الحدود السكنية يا سيادة الرئيس .

أجابه الرئيس فى صرامة :

ــ ولكنه فى عمق (مصر) .

وصمت لحظات بعدها فلاذ مدير المخابرات بالــصمت بــدوره ليمنح الرئيس فرصة التفكير واتخاذ القرار ، وطــال صــمتهما قرابة الدقيقتين قبل أن يلتفت إليه الرئيس ، قائلاً فى حزم :

ــ مادامت الحرب فسننتقل حالاً وفورًا إلى غرفة العمليــات ، وسننضم إلى وزير الدفاع والقادة لنواجه معهم ذلك الخطر الذى يواجه مصرنا .

قال مدير المخابرات فى سرعة وحزم :

ــ فورًا يا سيادة الرئيس .

ثم تردد لحظة قبل أن يستطرد :

ــ ولكننى ما زلت أطرح السؤال نفسه ..

واقترب خطوتين من الرئيس قبل أن يضيف :

ــ هل يستحق الأمر كل هذا ؟!

« بالطبع .. »

هتف رجل الأمن بالكلمــة وهو يعــدو مع (جو) عبر ممــر طويل ، ثم أضاف وقد بدأ يلهث من فرط الانفعال :

ــ صحيح أن هذا المكان يعد من أخطر أسرار الدولة ؛ ولكنــه ليس آخر محطة سرية هنا .

هتف (جو) فى انفعال أكثر ولهث أكثر :

ــ ولكنهم يقتحمونه ، وهذا يعنى أنهم توصلوا إليه فكيف يكون أخطر أسرار الدولة ؟!

انعقد حاجبا الرجل فى توتر وهو يقول :

ــ لديهم حتمًا تكنولوجيا شديدة التطور يمكنها عبــر أقمــارهم الصناعية سبر أغوار الأرض

توقف (جو) دفعة واحدة حتى إنه كاد يسقط على وجهه ويقول :

ــ أغوار الأرض ؟!.. هل تعنى أننا هنا فى ..

قاطعه الرجل فى صرامة وهو يجذبه إلى ممر جانبى آخر :

ــ إنك تلقى الكثير من الأسئلة .

قال (جو) :

ــ لست العدو .. العدو هناك .. يقتحم المكان .

بدا صوت الرجل شديد الغضب وهو يقول :

ــ إنه يسعى خلف ذلك الكائن الفضائى .

اتسعت عينا (جو) وعاد يتوقف دفعة واحدة وهو يهتـف فـى عصبية ملتاعة :

ـ وتركناه خلفنا ؟!

صاح به الرجل وهو يجذبه مرة أخرى نحو ذلك الممر الجانبى :

ـ لا تقلق نفسك بشأنه .

جذب (جو) يده فى حدة وهو يصرخ :

ـ هل جننت ؟

ثم استدار يعدو عائدًا وهوَ يواصل صراخه :

ـ لن نتركه خلفنا أبدًا ... أبدًا .

صرخ الرجل خلفه فى صرامة غاضبة :

ـ إياك أن تفعلها .

كان (جو) يعدو بكل قوته عبر الممر ولكـن رجـلان قويـان اعترضا طريقه وحاول هو تفاديهما ولكنهما كبلا حركته فى قوة وهتف الرجل الأول فى غضب صارم :

ـ أعيداه إلى هنا .

راح (جو) يقاومهما فى عنف وهو يصرخ :

ـ لا .. لا ينبغى أن نتخلى عنه .. إنه أكبر اكتشاف علمى فى التاريخ .

أجابه الرجل فى صرامة وهو يستقل عربة أشبه بعربات ملاعب رياضة الجولف :

ـ إنه أكبر كارثة عرفتها مصر .

قال (جو) وهم يضعونه داخل العربة بالقوة :

ـ وهل تعتقد أنهم سيفعلون كل هذا للفوز بكارثة ؟!.. إنه يحمل لنا من التكنولوجيا ما يسمح لنا بالتفوق عليهم يا هـذا ، وهـذا بالضبط ما يسعون لمنعنا من الوصول إليه .

انطلق الرجال بالعربة ورجل الأمن يقول فى صرامة :

ـ يمكنهم الحصول عليه .

اتسعت عينا (جو) فى ذهول وهو يهتف :

ـ ماذا تقول يا هذا ؟!

صمت الرجل لحظات وهو ينطلق بالعربة فى سرعة تفوق ضعف سرعة مثيلاتها عبر الممر الطويل ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـ ولكنهم لن يحصلوا على أى شىء منه .

وانعقد حاجباه فى شدة مع إضافته الصارمة :

ـ أى شىء .

اتسعت عينا (جو) أكثر للعبارة فهتف وهو يرتجف انفعالاً :

ـ لماذا ؟! .. لماذا لن يحصلوا منه على أى شىء ؟!

تجاهل الرجل سؤاله تمامًا وهو يضغط أزرار شاشة صــغيرة فى لوحة قيادة العربة فهتف (جو) بكل توتر الدنيا :

ـ لماذا يا هذا ؟!

مع آخر حروف كلمته الأخيرة دوى من خلفه انفجار قوى ... انفجار دفع العربة كلها إلى الأمام لتتجاوز الممــر إلــى ســاحة واسعة لها نفس تكوين تلك القاعة القديمة ...

وبكل ذعره التفت (جو) خلفه ..

ورأى ..

وانتفض فى قوة ..

لقد كان الممر الذى تجاوزوه على التو ينهار ويحترق ...

وعلى نحو بشع مخيف ..

ولقد واصل الرجل انطلاقه بالعربة متجــاوزًا تلــك الــساحة الواسعة إلى ممر آخر أغلق خلفهم فور عبورهم فاتسعت عينــا (جو) مرة أخرى وهو يغمغم فى ذهول :

ـ أأنت واثق فى أنه لدينا هذا فى (مصر) ؟!

أجابه الرجل فى صرامة وهو يخفض سرعة العربة :

ـ التكنولوجيا متاحة لكل من يمكنه دفع ثمنها .

حدق فيه (جو) لحظة محاولاً استيعاب الأمر ثم لم يلبــث أن هز رأسه فى قوة ، ثم عاد يسأل فى إلحاح :

ـ لماذا لن يحصلوا منه على شىء ؟!

أوقف الرجل السيارة والتفت إليه قائلاً فى حزم :

ـ لا أحد يمكنه الحصول على شىء .

ثم مال نحو (جو) مضيفًا :

ـ من جثة .

وانتفض جسد (جو) انتفاضة قوية عنيفة ، وهو يحدق فيه بعينين بلغتا أقصى اتساعهما ..

فما سمعه كان صدمة ..

صدمة مدمرة ..

جــدًا .

* * *

انتفض جسد (إيناس) فى عنف شديد ، مع دوى الانفجـار الثانى ، وتضاعف انهمار الدموع من عينيها ، وهى تسأل الرجل ، الذى يقود عربتهما الصغيرة ، عبر ممر طويل :

ـ ماذا حدث ؟!... ماذا أصاب (جو) ؟!..

كان الرجل يبدو متوترًا ، وهو يجيب :

ـ اطمئنى ... كل شىء تحت السيطرة .

هتفت منهارة :

ـ أية سيطرة ؟!... إنه الانفجار الثانى ، والكل يعدو مبتعدًا ، والخطر يحفر ملامحه فى وضوح ، على وجوه الجميع ، وأولهم أنت ، فكيف يتفق هذا مع كلمة سيطرة ؟!..

بدا أكثر صرامة ، وهو يقول :

ـ لا تجعلى المظاهر تخدعك يا سيدتى ... الأمور بالفعل تحت السيطرة .

سألته ، فى لهجة أشبه بالضراعة :

ـ وماذا عن (جو) ؟!

سألها ، مستعيدًا توتره :

ـ ماذا عنه ؟!

انهمرت الدموع من عينيها ، وهى تسأله ، وقد خفت صـوتها ، وكأنها تخشى الإفصاح عما بها :

ـ أهو بخير ؟!..

صمت الرجل لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ أنا واثق من أنه كذلك .

سألته بلهجة باكية :

ـ ومن أين تستمد ثقتك هذه ؟!

أجاب فى سرعة هذه المرة :

ـ لأنه يمثل أهمية كبيرة لنا ، وفـى هـذه الحالـة ، تكـون الأولوية لحمايته ، والحفاظ على حياته .

غمغمت مرتجفة :

ـ ولكنهم يقتحمون المكان .

أجاب فى صرامة :

ـ هذا لا يهم .

قالت فى توتر أكثر :

ـ ولكنك أخبرتنى أنه أكثر الأماكن أمنًا فى (مصر)

أجاب فى حزم وحسم وثقة :

ـ إنه كذلك .

رمقته بنظرة شك كبيرة ، فلم يزد عن أنه قال فى حزم أكبر :

ـ اطمئنى .

« وكيف أطمئن ؟!... »

ألقى رئيس الجمهورية السؤال ، فشد مدير المخابرات قامته ، وقال :

ـ على الرغم من أن ما حدث كان مفاجأة يا سيادة الرئيس ، وعلى الرغم من أن ذلك الهجوم يخالف كل القوانين والأعـراف الدولية ، إلا أنه من العسير القول بأنه لم يكن متوقعًا .

التقى حاجبا الرئيس ، وهو يسأله :

ـ وهل كنتم تتوقعونه ؟!

هز الرجل كتفيه ، مجيبًا :

ـ لم يكن احتمالاً قريبًا ، إلا أننا وكعادتنا فى جهاز المخـابرات ، نضع دومًا سيناريوهات مسبقة ، لكل الاحتمالات ، حتى النـادر والضعيف منها .

سأله الرئيس فى توتر :

ـ كنتم تضعون سيناريو لهذا إذن ؟!

أومأ مدير المخابرات برأسه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس ... سيناريو الهجوم على المقـر السرى الاحتياطى موضوع ، من أيام الرئيس السابق .

تطلع إليه الرئيس لحظات فى صمت ، ثم اتجه إلى مكتبـه ، وجلس خلفه ، يسأله فى صرامة :

ـ ولماذا لم يتم إطلاعى عليه مسبقًا ؟!...

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

ـ لقد أكدنا لفخامتكم أن المقر السرى آمن تمامًا ، ولم نـرد إرهاق ذهنكم بالتفاصيل ، فنحن نعرف مدى مشغولياتكم الدائمة .



صمت الرئيس لحظات ؛ لاستيعاب الأمر ، ثم عاد يسأل فـى اهتمام صارم :

ـ ماذا سيحدث الآن إذن ؟!..

أجابه فى حزم ، وهو يشد قامته أكثر :

ـ سيتم الانتقال إلى مقر سرى بديل فورًا .

مال الرئيس إلى الأمام ، وسأل :

ـ وماذا عنه ؟!..

مال مدير المخابرات برأسه جانبًا ، وعينـاه تحمـلان نظـرة متسائلة ، فتابع الرئيس فى صرامة :

ـ ماذا عن ذلك الكائن ؟!..

قال مدير المخابرات فى حذر :

ـ لقد شنوا الهجوم من أجله .

سأله الرئيس ، فى صرامة أكثر :

ـ وهل سيحصلون عليه ؟!..

أومأ مدير المخابرات برأسه ، مجيبًا :

ـ بالتأكيد .

تراجـع الرئيس بحـركة حـادة مستنكرة ، فاستدرك مـدير المخابرات فى سرعة كبيرة :

ـ ولكن جثة هامدة .

اتسعت عينا الرئيس ، وهتف مستنكرًا :

ـ بعد كل هذا ؟!

تراقصت ابتسامة باهتة ، على ركن شفتى مدير المخـابرات ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا سيادة الرئيس .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حسم :

ـ كل شىء تحت السيطرة .

« إذن فقد نجحتم ... »

ألقى الرئيس الأمريكى السؤال فى اهتمام بالغ ، عبـر جهـاز اتصال فائق التطور ، فأجابه رئيس فريق الاقتحام ، من داخـل المقر السرى :

ـ بالطبع يا سيادة الرئيس ... تكنولوجيتنا تفوق كل ما لديهم من تكنولوجيا ألف مرة على الأقل ... أقمارنا الصناعية الاستكشافية حددت الفراغ تحت رمال الصحراء فى وضوح ، وأساليب التعمية والشوشرة جعلتنا نفاجئهم بالهجوم ، وأسلحتنا ...

قاطعه الرئيس الأمريكى بنفاد صبر :

ـ أعرف كل هذه التفاصيل يا رجل ... الـــسؤال هـــو : هـــل حصلتم على ما نبتغيه من وراء كل هذا .

وقف رئيس فريق الاقتحام يتأمل الشظايا الكبيرة ، التى انتشرت على مساحة واسعة ، داخل تلك القاعة نصف المتهدمة ، وقـــال فى غضب واضح :

ـ من الجلى أنهم قد نسفوا المركبة الفضائية مع الاقتحام ... حماقتهم جعلتهم يفضلون تدميرها ، على وقوعها فى قبضتنا .

هتف الرئيس الأمريكى فى حنق :

ـ أغبياء .

ثم حاول تمالك أعصابه ، وهو يستطرد :

ـ وماذا عن ذلك الكائن الفضائى ؟!..

أدار رئيس الفريق عينيه فى المكان ، توقف بصره عند كومة شبه بشرية ، داخل ما بدا وكأنه بقايا قفص زجاجى ، وغمغم فى توتر :

ـ إنه هنا .

ثم تقدم نحو بقايا القفص الزجاجى فى خطوات سريعة ، قبـــل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويقول فى عصبية :

ـ ولكنه ...

لم يتم عبارته ، فهتف به الرئيس الأمريكـــى ، عبـــر جهـــاز الاتصال الفائق :

ـ ولكنه ماذا ؟!..

مضت لحظات من الصمت ، ثم أجاب الرجـــل ، فـــى مـــرارة عصبية :

ـ ولكنه جثة هامدة .

بدا الرئيس الأمريكى كالمصعوق ، وهو يهتف :

ــ جثة ماذا ؟!..

انحنى رئيس فريق الاقتحام يفحص جثة الكـائن الفـضائى ، وهو يقول فى غضب :

ــ من الواضح أنه كائن غير أرضى ، ومن الواضح أن ذلـك الانفجار ، الذى نسف المركبة الفضائية ، قد أطاح به أيضًا .

بدا الرئيس الأمريكى شديد الغضب ، وهو يقول :

ــ أية حماقة هذه ؟!... يدمرون أعظـم اكتـشافات القـرن ، خوفًا من وقوعها فى أيدينا ؟!..

غمغم رئيس فريق الاقتحام ، وهو يلتقط بضعة صور لجثة الكائن الفضائى ، ويرسلها عبر جهاز الاتصال نفسه إلى الرئيس :

ــ كان ينبغى أن نتوقع هـذا ، مـن قـوم يجهلـون قيمـة التكنولوجيا والكشوف الحديثة ، و ...

لم يستطع إتمام عبارته ، مع ذلك الدوار الذى شعر به ، فصمت لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

ــ شىء ما يحدث هنا يا رجل .

قالها ، وهو يستدير إلى رجاله ، قبل أن ينتفض جسده ، وتتسع عيناه عن آخرهما ...

فما رآه أمامه ، لم يكن أبدًا ما يتوقعه ، أو حتى يتخيله ...

أبـدًا ..

* * *

9 ـ أســرى ...

على عكس موقفه السابق ، بدا السفير الأمريكى شديد التوتر والعصبية ، وهو يجلس فى انتظار مقابلة الرئيس هذه المرة ...

ولقد طال انتظاره لساعة كاملة ، بلغ خلالها تــوتر أعــصابه مبلغه ، حتى أنه تجاوز حدوده الديبلوماسية ، وسأل مدير مكتب الرئيس فى عصبية :

ـ هل سأنتظر طويلاً ؟!..

أجابه مدير مكتب الرئيس فى صرامة :

ـ حتى يأمر فخامة الرئيس بدخولك .

سأله السفير فى عصبية :

ـ ومتى يفترض أن يحدث هذا ؟!..

أجابه مدير المكتب ، فى صرامة أكثر مكررًا :

ـ عندما يأمر فخامة الرئيس .

فقد السفير أعصابه ، على عكس ما تقتضيه الديبلومـاسـيـة ، وقال فى شىء من الحدة والتوتر :

ـ لقد طلب منى الرئيس الأمريكى ..

قاطعه مدير مكتب الرئيس ، فى صرامة قاسية هذه المرة :

ـ أنت هنا فى مكتب الرئيس المصرى .

أطبق السفير شفتيه ، فور سماعه العبارة ، وغمغم فى خفوت :

ـ مع احترامى لفخامة الرئيس ، ولكنكم تعلمــون أن الأمــر عاجل .

أبعد مدير المكتب بصره عنه ، وقال بنفس الصرامة :

ـ عليك أن تصبر ، حتى يأمر فخامة الرئيس .

عض السفير الأمريكى شفتيه ، فى محاولة للــسيطرة علــى توتره ، وهو يغمغم :

ـ فليكن ... سأصبر .

مضت سبع دقائق أخرى ، قبل أن يرتفع أزيز جهاز الاتــصال الخاص ، أمام مدير المكتب ، الذى التقطه فى ســرعة ، وهــو يقول :

ـ أوامرك يا فخامة الرئيس .

انتبه السفير فى توتر ، فى حين استمع مدير المكتب لحظات ، ثم أشار إليه ، قائلاً :

ـ تفضل ... سيستقبلك فخامة الرئيس الآن .

نهض السفير فى سرعة ، وعدل ملابسه فى عجالة ، وهـو يندفع نحو مكتب الرئيس ، ولم يكد يعبر بابه ، حتى توقف فـى توتر مضاعف ، يتطلع إلى مدير المخابرات فى قلق ، فابتسم هذا الأخير ، وقال :

ـ تفضل يا سيادة السفير .

رفع الرئيس عينيه إلى السفير ، وقال فى صرامة :

ـ أتيت بشأن رجالكم ... أليس كذلك ؟!..

كان السفير يشعر بتوتر شديد ، وهو يقول :

ـ لا يوجد رسميًّا ما يثبت أنهم رجالنا يا سيادة الرئيس .

تراجع الرئيس فى مقعده ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!..

قال السفير ، فى توتر أكبر :

ـ لست أظنهم يرتدون الزى الرسمى لقواتنا ، ولا يحملـون أية أوراق ، تثبت أنهم ...

قاطعه الرئيس فى صرامة :

ـ فليكن ... لقد هاجمونا ، وأمكننا أسرهم ، وربمـا قـضوا نحبهم ، أثناء محاولة إلقاء القبض عليهم .

هتف السفير مذعورًا :

ـ هل أعدمتموهم ؟!..

أجابه مدير المخابرات هذه المرة :

ـ ماداموا ليسوا رجالكم ، فلا شأن لكم بهذا .

قال السفير فى عصبية :

ـ ولكن معاهدة (جينيف) للأسرى ، تحتم ألا ...

قاطعه الرئيس فى صرامة قاسية :

ـ لا يوجد ما يثبت أنهم قد وصلوا إلى أرضنا .

ثم مال إلى الأمام فى حركة حادة ، مستطردًا :

ـ أليس كذلك أيها السفير ؟!..

نقل السفير بصره ، فى توتر بالغ ، بـين الـرئيس ومـدير المخابرات ، قبل أن يقول ، فى انكسار واضح :

ـ لقد أوقفنا الهجوم الإسرائيلى ، دلالة على حسن النوايا .

أشار الرئيس إلى مدير المخابرات ، الذى قال فى صرامة :

ـ قدرتكم على إيقاف الهجوم ، تعنى قدرتكم على إشـعاله ، وكان ينبغى أن تدركوا أن (مصر) قادرة علـى صـد هجـوم الإسرائيليين ، وأن شعبها ليس مستعدًا لفقدان شبر واحـد مـن أرضه مرة أخرى ، وسيدافع عن كيانه ، مهما كانت التضحيات .

نظر إليه السفير لحظات فى مقت ، ثم التفت إلـى الـرئيس ، قائلاً بكل توتر الدنيا :

ـ سيادة الرئيس ... لقد فهمت الرسالة ، وسأعاود الحـوار بأوراق مكشوفة ودون مواربة هذه المرة .

أشار إليه الرئيس ، قائلاً :

ـ هات ما عندك .

سأله السفير فى توتر :

ـ دعنى أطمئن أولاً على أحوال رجالنا .

انعقد حاجبا الرئيس فى صرامة ، وهو يقول :

ـ تعترف إذن أنهم رجالكم .

شد السفير قامته وقال ، دون أن يفارقه توتره :

ـ وعدت أن أتعامل بأوراق مكشوفة يا سيادة الرئيس .

ابتسم مدير المخابرات فى ظفر ، وشـد قامتـه علـى نحـو عسكرى ، وقال فى حزم :

ـ رجالكم بخير ... لقد اقتحمـوا أحـد مواقعنـا الـسرية ، وحاولوا العبث بأمننا القومى ، ولكننا ، على عكس توقعـاتهم ، كنا نتوقع هذا ، بل وننتظر حدوثه ..

سأله السفير ، بنفاد صبر :

ـ ماذا أصابهم ؟!..

صمت مدير المخابرات لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم ظافر :

ـ فقدوا وعيهم .

تراجع السفير كالمصعوق ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ رجالنا ؟!..

تابع مدير المخابرات ، وكأنه لم يسمعه :

ـ خدرناهم داخل المقر ، بغاز عديم اللون والرائحة ... غــاز استنشقوه ، دون حتى أن يشعروا بهذا .

أشار إليه الرئيس ، فابتسم ، متابعًا :

ـ ومازلنا نحتفظ بذلك الفيلم ، الذى نقل لنا ذهول قائــدهم ، عندما استدار ؛ ليجدهم فاقدى الوعى ... ومن حسن حظــه أن ذهوله لم يستغرق كثيرًا ، فقد لحق بهم بعد لحظات قليلة .

مال السفير الأمريكى نحوه ، محاولاً بث شىء من الحزم فــى صوته ، وهو يقول :

ـ ليس قبل أن يخبرنا بما فعلتموه .

صمت مدير المخابرات والرئيس لحظات ، ثم كان الرئيس هو من تحدث ، قائلاً :

ـ ربما لم نحسب قدراته جيدًا .

استعاد السفير شيئًا من الحزم ، وهو يقول :

ـ هذا مؤكد .

ثم شد قامته ، مستطردًا :

ـ ولقد علمنا أنكم قررتم ألا يحصل أحد علــى ذلــك الكنــز الفضائى ، بعد أن عجزتم عن حمايته ، و ... ونسفتموه .

غمغم مدير المخابرات :

ـ لم يكن أمامنا سوى هذا .

لم يستطع السفير كتمان غضبه ، وهو يقول :

ـ لا تدركون أيةَ حم ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، قبل أن يستطرد :

ـ أية خسارة خسرتموها ... ذلك الشىء كان سيدفع بالعــالم عشر خطوات إلى الأمام على الأقل .

تمتم مدير المخابرات :

ـ العالم أم أنتم ؟!..

هتف السفير فى عصبية :

ـ ومن سوانا يمكن أن يستوعب تكنولوجيا متقدمة كهــذه ؟!.. من سوانا كان يمكنه استخدامها ؛ لتطوير برنامج فضائى ، تكلف مليارات المليارات ؟!..

قال الرئيس فى صرامة :

ـ وبرنامج تسليح ، تكلف أكثر من هذا .

قال السفير ، فى شىء من الحدة :

ـ وماذا فى هذا ؟!... حتى القانون الدولى لا يمنع أية دولة ، من السعى لتقوية تسليحها .

ضرب الرئيس سطح مكتبه بقبضته ، وهو يقول فى غضب :

ـ باحتلال أراضى الغير ؟!..

احتقن وجه السفير ، وأشاح به ، وهو يجيب فى عصبية :

ـ لم تتركوا لنا من سبيل سوى هذا .

قال الرئيس فى صرامة :

ـ وكذلك أنتم .

التقط السفير نفسًا عميقًا ؛ فى محاولة للسيطرة على أعـــصابه ، قبل أن يتساءل فى خفوت :

ـ والآن ، ماذا سنفعل ؟!..

« ستواصل عملك ... »

قالها رجل الأمن فى حزم ، عندما ألقى (جو) سؤالاً مماثلاً ، فسأله هذا الأخير فى توتر :

ـ كيف ؟!... قلت لى إن الأمريكيين يعلمـــون أنكـــم نـــسفتم المركبة الفضائية ، وقتلتم الكائن الــــ ...

قاطعه الرجل فى صرامة :

ـ هذا ما يعلمونه .

سأله فى توتر أكثر :

ـ ما الذى تشير إليه بالضبط ؟!..

أخرج الرجل بطاقة معدنية ، دسها فى تجويف جدار آخر لامع ، وهو يقول :

الأمر ليس صعبًا كما تتصور .

انفتح الجدار منزلقًا فى نعومة ، وتعلق بصر (جو) بما خلفه ، و ...

وعلى الرغم منه ، انتفض جسده كله ، واتسعت عيناه عـــن آخرهما ...

فخلف هذا الجدار اللامع ، كانت تنتظره مفاجأة ... مذهلة .

* * *

استمع الرئيس الأمريكى إلى سفير بلاده فى القـــاهرة ، فـــى اهتمام ، عبر جهاز اتصال رقمى خاص مؤمن ، قبل أن يتنهـــد فى توتر ، قائلاً :

ــ من الواضح أننا قد أسأنا إدارة هذه الأزمة ، على نحو كبير .

أجابه سفيره من (القاهرة) :

ــ هذا صحيح يا سيادة الرئيس ... منطق القوة لم يفلح هذه المرة مع المصريين ... لقد دفعنا الإسرائيليين إلى اقتحام (سيناء) بالقوة ، وكسر معاهدة (كامب ديفيد) ، وتجاوزنا كل المواثيق الدولية ، وهاجمنا الأراضى المصرية ، واقتحمنا مقارهم السرية ، واستخدمنا أحدث أسلحتنا وتكنولوجيتنا ، ووسائلنا للرصد الجوى والفضائى ؛ حتى يمكننا الاستيلاء على المركبة الفضائية وذلـــك الكائن ، ولكن المصريين كانوا أكثر حنكة وخبثًا .

زفر الرئيس الأمريكى فى توتر ، وغمغم :

ــ نسفوا المركبة ، وقتلوا الكائن ، وخدروا وأسروا رجالنا .

أضاف السفير ، فى شىء من العصبية :

ــ وأجبرونا على إيقاف القتال ، ودفع الإسرائيليين للانسحاب الفورى ، وتقديم اعتذار رسمى أيضًا .

قال الرئيس الأمريكى بنفس التوتر :

ــ الإسرائيليون أنفسهم كانوا يتمنون حدوث هذا .

وصمت لحظات ، قبل أن يسأل ، فى توتر أكثر :

ــ وماذا عن رجالنا ؟!..

أجابه السفير محنقًا :

ــ سيعيدونهم إلى الديار ، فور اكتمال انسحاب الإسرائيليين ، وإعلان اعتذارهم الرسمى .

غمغم الرئيس الأمريكى :

ــ وكيف سيتم تبرير الأمر للمصريين ؟!... أقصد الشعب وليس الحكومة .

صمت السفير لحظات ، ثم أجاب فى خفوت :

ـ حكومتهم لديها أساليب عديدة لطمس الحقائق .

بدا صوت الرئيس الأمريكى أشبه بالزمجرة ، وهو يجيب :

ـ كل الحكومات لديها وسائل مشابهة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ تختلف فى سبلها فحسب .

تمتم السفير فى توتر :

ـ بالضبط يا سيادة الرئيس ... بالضبط .

جمعت بينهما لحظة من الصمت ، وكأن كل منهما يعيد ترتيب أفكاره ، أو كأنهما يبحثان عن وسيلة لإدارة دفة الحديث ، قبـل أن يقول الرئيس ، فى لهجة حملت الكثير من الغضب والغيظ :

ـ ما يدهشنى حقًا هو ما فعلوه ... كيف يدمرون كشفًا علميًا عظيمًا كهذا ؟!... كيف ؟!..

« سنكون حمقى حقًا ، لو كنا قد فعلنا ... »

نطق رجل الأمن العبارة فى ثقة ، مع ابتسامة كبيرة ، جعلت (جو) يهتف فى انبهار :

ـ إذن فقد كان الأمر كله ...

قاطعه رجل الأمن ، مكملاً عبارته :

ـ خدعة ... بالضبط ... لقد رتبنا الأمر منذ البداية ... كنـا نعلم أنهم لن يتورعوا عن فعل أى شىء فى سبيل الحـصول على تلك الطفــرة التكنولوجية الهائلة ، الهابطة من الفضاء ، لذا فقد وضعنا أحد أكثر سيناريوهاتنا تعقيدًا ... نقلنا ذلك الكـائن ومركبته إلى هنا ، وسربنا إليهم هــذا ، بل وجازفنا بتسريب موقع مقر الطوارئ السرى إليهم ، على نحو جعلهم يتصورون أن شراء ذمم رجال الأمن هنا ، ليس بالأمر العسير ، ولأنهم يعيشون غطرسة القوة ، منذ سقوط الاتحاد السوفيتى ، فقـد راحوا يرصدون الموقع الذى أخبرناهم به ، أو سربناه إليهم ، بأقمارهم الصناعية ، المختصة بالأبحاث الجيولوجية ، والتى نعلم أنها قادرة على كشف ما فى أعماق الأرض ، ولكى نقودهم إلينا فى سهولة ، رفعنا الحاجز المانع للاختراق ، من سـطح المقر ، وهكذا أمكنهم رصده.

ارتفع حاجبا (جو) فى انبهار ، وهو يقول :

ـ وخاطرتم بجلبهم إلى هنا ؟!...

رفع الرجل سبابته ، قائلاً فى حزم :

ـ عندما أكمل ، ستدرك أنه سيناريو عبقرى .

أشار إليه (جو) فى لهفة ، قائلاً :

ـ أكمل .

تنحنح الرجل ، وقال ، مواصلاً حديثه السابق :

ـ فى نفس الوقت ، استعددنا لاستقبالهم ، ولنقل كـل شـىء إلى المقر الاحتياطى ، الذى تربطه بالمقر الأول شبكة من ممرات تحت أرضية معقدة ، معدة بحيث يتم نسفها ، وإخفـاء معالمهـا تمامًا ، عقب مرور آخر شخص منها ، وهذا ما شاهدته بنفسك .

سأله (جو) بأنفاس مبهورة :

ـ إذن فقد كنتم قادرين على منعهم ؟!..

أشار الرجل بسبابته مرة أخرى ، قائلاً :

ـ ومنذ اللحظة الأولى .

بدت دهشة عارمة على وجه (جو) ، وهو يسأله :

ـ لماذا تركتموهم ينسفون كل شىء إذن ؟!...

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يجيبه :

ـ هذا هو الجزء الأساسى من الخطة .

ثم مال نحو (جو) ، متابعًا فى نشوة ظافرة :

ـ لقد اقتحموا المكان ، وكلهم ثقـة فـى قـوتهم وبأسـهم وتكنولوجيتهم ، وسمعوا بعد اقتحامهم انفجارات مدويـة ، ثـم عثروا على شظايا المركبة المنفجـرة ، وجثـة الكـائن ، فمـا المفترض أن ينقلوه إلى قيادتهم فورًا ؟!..

تألقت عينا (جو) فى انبهار ، وهو يهتف فى حماس :

ـ أنكم ، فى غمرة إحساسكم بالهزيمة ، نسفتم كل شـىء ، واتخذتم خيار (شمشون)[*] .

هتف الرجل ، مشيرًا إليه :

ـ بالضبط ... ولقد انتظرنا هذه اللحظة بالتحديد ، التى أبلغوا فيها قيادتهم ، بأننا قد ضحينا بكل شىء وبعدها أفقدناهم وعيهم ، وأسقطناهم فى أسرنا ... هل فهمت اللعبة ؟!..

(*) خيار (شمشون) : مصطلح يطلق على مرحلة يطلق عليهـا اسـم التضحية بالجميع ، وهو مأخوذ من قـصة (شمـشون) ، الـذى أفقدتـه (دليلة) فى التوراة قوته ، عن طريق قص شعره ، فطلب من الله أن يعيد إليه قوته لحظة ، هدم خلالها المعبد ، على رأسه وعلى من أسـروه ، وهتف بعبارته الشهيرة (علىَّ وعلى أعدائى) .

ظل (جو) يحدق فيه بضع لحظات مبهورًا ، قبل أن يغمغم فى صوت مبحوح ، من فرط الانبهار :

ـ لعبة ... ما فعلتموه ليس لعبة .

ثم ارتفع صوته ، وهو يكمل هاتفًا :

ـ إنها عبقرية !..

ابتسم الرجل ثانية ، وهو يقول :

ـ ألم أقل لك ؟!..

ظل (جو) يهز رأسه لحظات ، عاجزًا عن النطق ، قبل أن يهتف :

ـ الشظايا يمكننى فهمها ؛ فهى مجرد شظايا ، ولكن كيف يمكنكم خداعهم بشأن كائن غير أرضى ؟!...

أشار رجل الأمن ، إلى القاعة ، التى هى نسخة طبق الأصل من القاعة السابقة ، حيث تسبح مركبة الفضاء فى منتصفها ، وحولها طاقم العلماء نفسه ، فى حين يوجد ذلك الكائن الفضائى داخل قفص زجاجى مماثل فى نهايتها ، وقال مفسرًا :

ـ عندما سقطت المركبة ، كان فيها ثلاثة كائنات ، اثنان لقيا حتفهما مع الاصطدام ، والثالث هو ما كنت تتحدث إليه منذ البداية .

انعقد حاجبا (جو) ، وهو يندفع نحو الكائن ، قائلاً :

ـ من كنت أتحدث إليه يا رجل ... من وليس ما ... إنه عاقل مثلى ومثلك .

وتوقف عندما بلغ جدار ذلك القفص الزجاجى ، وهو يلهث من فرط الانفعال ، مكملاً :

ـ بل ربما كان أكثر عقلاً منا .

اعتدل الكائن فى لهفة واضحة ، عندما رآه ، واتجه فى سرعة إلى الجدار الزجاجى من ناحيته ، ولمسه بأطراف أصابعه ، و(جو) يضيف ، ولهاثه يتصاعد مع انفعاله :

ـ بكثير .

ـ بدت نظرة مودة وارتياح واضحة ، فى عينى الكائن ، وغمغم بكلمات خافتة ، فابتسم (جو) ، وقال فى حنان عجيب ، وكأنه يحدث ابنه .

ـ (موجال) .. كم أصابنى القلق والحزن بشأنك .

كان من الواضح أن الكائن لم يستطع فهم كلماته ، ولكنه استوعب ملامحه وانفعاله ، وذلك الدفء فى صوته ، فلم يزد عن أن قال :

ـ (جو) .... (جو) ...

انعقد حاجبا رجل الأمن ، وقال فى توتر :

ـ لقد تعرفك ! ...

أجابه (جو) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ إنه كائن عاقل ... وذكى ... للغاية .

لم يحاول رجل الأمن التعليق على العبارة ، وخاصــة عنــدما أشار (موجال) إلى أجهزة ، تشبه تمامًا الأجهــزة الــسابقة ، وكأنه يطلب من (جو) استخدامها ، فابتسم (جو) وأضاف فى خفوت :

ـ ألم أقل لك ... إنه يفهمنا .

واتجه نحو الأجهزة البديلة ، وهو يسأل فى اهتمام :

ـ ماذا عن الخريطة الفلكية ؟!..

تنحنح رجل الأمن ، وقال فى حزم :

ـ هذا يتوقف على رأى الخبير الثانى .

التفت إليه (جو) فى دهشة ، متسائلاً :

ـ أى خبير ثان ؟!...

وعندما أخبره رجل الأمن ، ارتفع حاجباه ، واتــسعت عينــاه عن آخرهما ...

فهذا آخر ما يمكنه أن يتوقعه ...

على الإطلاق .

* * *

10 ـ حـــوار ...

اتسعت عينا (إيناس) فى دهشة بالغة ، وهى تحدق فى وجه الرجل الواقف أمامها ، قبل أن تسأله فى انفعال :

ـ أتعنى أن كل ما حدث لم ...

قاطعها فى حزم :

ـ ثقى يا سيدتى فى أن (مصر) مازالت تحكم قبضتها علـى الموقف ، على عكس ما يتراءى خارجيًا .

غمغمت ذاهلة :

ـ إذن فكل هذا كان مجرد خدعة !!..

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ وكل شىء يسير على ما يرام .

هتفت :

ـ ولماذا كل هذا ؟!..

صمت طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ سيدتى ... أنت تعلمين الكثير بالفعل ، حتى هذه اللحظة ... وربما أكثر مما ينبغى ...

ارتجفت شفتاها ، ولاذت بالصمت بـضع لحظـات ، قبـل أن تتساءل فى خفوت ، وفى لهجة عالية التأثر :

ـ هل لى على الأقل أن أطمئن إلى أن (جو) ...

قاطعها مرة أخرى ، قبل أن تكمل سؤالها :

ـ بخير حال ... الجميع على ما يرام .

تنهدت فى ارتياح ، وأغمضت عينيها ، متمتمة :

ـ شكرًا للرب .

ثم عادت تفتحهما ، وهى تتساءل فى حذر :

ـ وأين هو الآن ؟!...

شد الرجل قامته ، وصمت لحظة ، ثم أجاب فى حزم وصرامة :

ـ يؤدى واجبه .

سرت فى جسدها ارتجافة سريعة ، عندما سـمعت إجابتـه ، وعادت تغمض عينيها .

ولم تعلق بحرف واحد ...

أى حرف ...

* * *

« خطتكم كانت عبقرية .. »

نقلت الأجهزة الحديثة العبـارة ، أو ترجمتهـا عـن كلمـات (موجال) ، فحدق (جو) فى الشاشة ذاهلاً ، على نحو جعـل رجل الأمن يتجه إليه فى سرعة ، متسائلاً :

ـ ماذا يقول ؟!..

أجابه (جو) ، فى صوت خافت منفعل :

ـ يتحدث عن خطتكم ..

سرى توتر عنيف فى جسد الرجل ، وسأل فى عصبية :

ـ وماذا يعرف عن خطتنا ؟!..

نقل (جو) التساؤل فى سرعة ، عبر الأجهزة نفسها ، إلـى الكائن ، فبدت على شفتى هذا الأخير ابتسامة باهتة ، وراح يتحدث فى لهجة شبه حماسية ، دون أن يرفع عينيه عن رجل الأمـن ، وكأنه يوجه حديثه إليه مباشرة ، فى حين راح (جـو) يبـذل جهـدًا مضاعفًا ، فى محاولة لتفسير وترجمـة تلك الإشـارات والترددات ، التى راحت تتراص على الشاشة فى سرعة ، ممـا جعل لهجته مضطربة ، وهو ينقلها إلى رجل الأمن :

ـ الأمر كان واضحًا ... أعداؤكم هاجموكم ... خدعتموهم ... نقلتم كل شىء ... مركبتنا ...أنا ... خدعتموهم .

اتسعت عينا رجل الأمن فى صدمة ، ثم انعقد حاجباه فوقهما ، وهو يتمتم فى عصبية شديدة الوضوح :

ـ يعرف كل هذا ؟!..

غمغم (جو) فى توتر ، وهو مازال يحاول فهم الإشـارات ، التى راحت تتوالى فى سرعة أكبر ، وتتشابك على نحـو فـاق قدرته على استيعابها ، و(موجال) ، الكائن الفـضائى يواصـل حديثه فى حماس ، ملوحًا بيديه معًا :

ـ إنه عبقرى ، كما يبدو واضحًا .

ازداد انعقاد حاجب رجل الأمن ، وهو يغمغم فى عصبية أكثر :

ــ بل هو شديد الخطورة .

التفت إليه (جو) فى دهشة مستنكرة ، قائلاً :

ــ الخطورة ؟!...

أجابه الرجل فى حدة :

ــ بالطبع ... كيف تصف كائنًا ، يجهل كل اللغـــات الأرضـيـة المعروفة ... القديمة منها والحديثة ، ويمكنه اســتيعاب خطــة معقدة بهذا الوضوح ؟!...

قال (جو) فى حدة :

ــ بالعبقرية ؟!..

هز الرجل رأسه نفيًا فى حدة ، وقال فى صرامة عصبية :

ــ العبقرية وحدها لا تكفى ، فى مثل هذه الأمور ... لابد لــه من خبرة طويلة وعميقة ...

ثم ألقى نظرة حذرة على الكائن ، قبــل أن يميــل علــى أذن (جو) ، مستطردًا فى همس :

ــ خبرة أمنية .

تراجع (جو) فى دهشة مصدومة ، وهتف مستنكرًا :

ــ لعلك لا تتصور أن ...

قاطعه الرجل فى قسوة صارمة :

ــ لست أتصور شيئًا .

انعقد حاجبا (جو) فى غضب متوتر ، وانعقدت الكلمات على لسانه بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حدة :

ــ أظننا بحاجة إلى عالم آخر بالفعل .

وصمت لحظة قصيرة ، ثم أضاف فى حدة أكثر :

ــ عالم عربى .

ألقى عليه رجل الأمن نظرة صارمة ، وقال :

ــ مازلت ترفض ذلك الروسى ... أليس كذلك ؟!

أجابه (جو) فى عصبية :

ــ بل أعجز عن استيعابه ... أو بمعنــى أدق ، أعجــز عــن استيعاب أنكم قد استعنتم به .

أولاه الرجل ظهره ، وابتعد عن القفص الزجاجى ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ ماذا كنت تتوقع إذن ؟!.. (مصر) لم تدخل أبـدًا عـصر الفضاء ، ومحاولتها الوحيدة لإنتاج الصواريخ لم يكتب لهـا الاستمرار ؛ بسبب تحالف القوى العالمية ، والمخابرات الإسرائيلية ضدها(*) وليست لدينا أية خبرة عالميــة فــى مجــال ارتيــاد الفضاء أو علومه ، ... حتى قمر الاتصالات (نايل ســات) ، استعنا فيه بخبرة فرنسية ، فكيف لنا أن نتعامل مــع موقــف كهذا ، على الوجه الأمثل ، دون الاستعانة بالخبرات اللازمة ، وخاصة بعد أن اتضح موقف الأمريكيين من الأمر ؟!

قال (جو) فى توتر :

ـ ولماذا ليست خبرة فرنسية ، كما فعلنا مع (نايل سات) ؟!..

بدا رجل الأمن شديد العصبية ، وهو يقول :

ـ وما عيب (تروتسكى) ؟!..

(*) مشروع إنتاج الصواريخ المصرية (القاهر والظافر والرائد) بـدأ فـى مصر عام 1960 م ، ثم تدخلت المخابرات الإسرائيلية لمنعه ، ولكنه تواصـل ، حتى توقف العمل فيه ، عامى 1967 ـ 1968 م ، عقب نكسة يونيو 1967 م .

لوح (جو) بذراعه كلها ، وهو يحاول اللحاق به ، هاتفًا :

ـ لست أعرف (إيفان تروتسكى) هذا إلى حد انتقاده ، أو حتى الاعتراض على علمه .... إننى مندهش من الاستعانة بسوفيتى ، فى أمر شديد الحساسية والسرية كهذا .

قال رجل الأمن فى خشونة ، وهو يواصل الابتعاد :

ـ لم يعد هناك سوفيت ، بعد سقوط الاتحاد السوفيتى يا رجل ... إنه روسى ... عالم فضاء روسى ، أولى اهتمامًا كبيرًا لدراســة كيفية إجراء اتصالات ، مع مخلوقات فى كواكب أخرى ، لا تتحدث اللغات الأرضية ، وأظن هذا يتفق مع عملك ... أما بخـصوص الحساسية والسرية ، فاترك الأمر لنا ...

وزاد من سرعته لحظات ، انحرف خلالها خلف جهاز كبير ، وهو يكمل ، فى خشونة أكثر ، وصرامة أقسى :

ـ إنه عملنا .

دار(جو) حول ذلك الجهاز الكبير ليلحق به ، و ...

وفجأة ، التفت إليه رجل الأمن ، وبدا شديد الغضب والصرامة ، إلى حد مخيف ، وهو يمسك معصمه ، ويجذبه إليه فــى قــوة ،

جعلت (جو) يطلق شهقة مكتومة ، وخاصة عندما وجد وجهه على قيد سنتيمترات من وجه رجل الأمن ، الذى انعقد حاجباه فى شدة لم يشهدها من قبل قط ، وهو يقول فى عنف قاس :

ـ اسمعنى جيدًا ... أنت هنا فقط لتجد وسيلة تواصل مع ذلك الكائن ، الذى لم تتضح نواياه ، ولا نوايا من أرسلوه إلينا بعد ، حتى هذه اللحظة ، وليس لكى تناقش وتنتقد أسـاليب عملنـا ، ولا إجراءات حفظ الأمن التى نتخذها هنا ، على الأخـص لـيس أمام هذا الشىء .

امتقع وجه (جو) وصوته ، وهو يغمغم :

ـ هذا الشىء له اسم .

جذبه رجل الأمن ، فى عنف أكثر ، وهو يقول فى شراسـة ، بلغت حدًا يوحى بنفاد الصبر :

ـ هذا الشىء ، وفقًا لقواعدنا نحن ، سيعتبر شديد الخطـورة حتى يثبت العكس .

كان (جو) يرتجف ، إلا أنه قال فى عصبية :

ـ ومن سيثبت هذا ؟!... الروسى ؟!

أتاه الجواب من خلفه ، بصوت بارد ، ولغة عربية ، ذات لكنة شديدة القوة :

ـ معذرة لمقاطعتى حديثكما الودى هذا ، ولكن يبدو أن أحـدكما يشير إلى ، على نحو ما .

جذب (جو) نفسه من قبضة رجل الأمن فى حدة ، والتفـت إلى صاحب الصوت البارد واللكنة ، وارتطم بصراهما ...

وتجمد الوقف كله ...

تمامًا .

* * *

رفع الرئيس الأمريكى رأسه ، يستقبل مدير مخابراته فى مكتبه ، وانعقد حاجباه على الرغم منه ، وهو يسأله فى شىء من التوتر :

ـ ما الجديد ؟!...

وضع مدير المخابرات ملفًا صغيرًا ، أمام الرئيس الأمريكى ، وهو يقول :

ـ الرجال وضعوا نظرية جديدة ، بشأن ما حدث فى (مصر) يا سيادة الرئيس .

ازداد انعقاد حاجبى الرئيس الأمريكى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ألن تنتهى هذه القصة أبدًا ؟!..

انتقل توتره إلى مدير مخابراته ، وهو يجيب :

ـ خبراؤنا يتصورون أنه من المحتمل أن المصريين قد خدعونا .

هتف الرئيس الأمريكى فى حدة واستنكار :

ـ خدعونا ؟!... نحن ؟!...

أومأ مدير المخابرات الأمريكية برأسه إيجابًا ، ثم عاد يـــشير إلى الملف ، وهو يندفع قائلاً :

ـ قبل سقوط رجالنـــا فى قبضـــة المصريين بدقائق قليلـــة ، أبلغونا أنهم قد رصدوا شظايا المركبة الفضائية ، بعد ســـماعهم دوى انفجار عنيف ، ثم فحصوا جثة كائن غير أرضى ، فلمـــاذا هذا التوقيت بالتحديد ؟!...

أجابه الرئيس الأمريكى فى عصبية :

ـ لأن المصريين لم يمنحوهم دقيقة أخرى .

أشار مدير المخابرات بيده ، متسائلاً :

ـ ولماذا ليس قبل أن يرصدوا كل هذا ؟!..

تطلع إليه الرئيس الأمريكى لحظات فى توتر ، قبل أن يسأله :

ـ ما الذى ترمى إليه يا رجل ؟!

عاد مدير المخابرات الأمريكية يشير إلى الملف ، قائلاً :

ـ خبراؤنا يقولون إنه من المحتمل أن تكون كل هذه مجـــرد خدعة ...

هتف الرئيس الأمريكى فى استنكار :

ـ خدعة ؟!... هـــل يتصوّر خبراؤك أن المصريين سيضحون بأعظم أسرارهم ، من أجل خدعة .

مال مدير المخابرات نحوه ، حتى استند براحتيه على ســـطح مكتبه ، مجيبًا :

ـ سيفعلونها ... لو أن الأمر يستحق .

حدق الرئيس الأمريكى فى عينيه ، قائلاً :

ـ وهل يستحق هذا ؟!..

اعتدل مدير المخابرات فى حركة حادة ، مجيبًا فى حزم :

ـ بالتأكيد .

عاد حاجبا الرئيس الأمريكى ينعقدان فى توتر ، وهو يستغرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول فى شك :

ـ لست أعتقد أن المصريين قد بلغوا هذا الحد مـن الـذكاء والبراعة .

حان دور مدير المخابرات ليعقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ هذا بالضبط ما قاله الإسرائيليون ، قبيل أكتـوبر 1973م ، مباشرة .

حدق فيه الرئيس الأمريكى كالمصدوم لحظات ، ثم تنحنح فى توتر ، وسأله فى صرامة ، أراد بها أن يخفى عصبيته :

ـ ألديكم أية أدلة على هذا ؟!..

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

ثم عاد يميل على مكتب الرئيس الأمريكى ، مكملاً فى لهجـة خاصة :

ـ (إيفان تروتسكى) .

سأله الرئيس الأمريكى فى عصبية :

ـ من (تروتسكى) هذا ؟!..

اعتدل مدير المخابرات ، وقال بلهجة من ربح المعركة :

ـ عالم فضاء وفلك روسى ، تخصص فى احتمـالات الحيـاة على كواكب أخرى ، ولديه شهادة خاصة ، فـى علـم اللغـات النادرة والقديمة .

سأله الرئيس الأمريكى ، فى عصبية أكثر :

ـ وماذا عنه ؟!..

انعقد حاجبا مدير الخابرات ، وهو يجيب فى صرامة حازمة :

ـ لقد أحضروه إلى (مصر) ... وبطائرة خاصة .

اتسعت عينا الرئيس الأمريكى ، وكأنه قد استوعب الأمر ، ثم عاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يقول :

ـ وماذا يقترح خبراؤك ، فى هذا الشأن ؟!..

تنفس مدير المخابرات الامريكية الصعداء ، قبل أن يقول فـى حزم :

ـ السيطرة .

كانت كلمة موجزة ، ولكنه استغرق فى شرح مـضمونها مـا يقرب من ساعة كاملة ...

والواقع أنها كانت تعنى الكثير ...

والخطير ...

جدًا ...

* * *

« أظن أنه من الأفضل أن نتفق ... »

قالها العالم الروسى فى برود ، جعل (جو) يقول فى توتر :

ـ إننا لم نختلف .

ابتسم الروسى ابتسامة باهتة باردة ، والتفت يتطلـع إلـى (موجال) ، داخل قفصه الزجاجى ، قبل أن يقول بلكنته المستفزة :

ـ ما أقصى ما توصلت إليه معه ؟!

راقب رجل الأمن حوارهما فى اهتمام ، و(جو) يجيب ، فى لهجة أشبه بالتحدى :

ـ إننا نتحاور .

ارتفع حاجبا الروسى فى دهشة ، وهو يقول :

ـ تتحاوران ؟!... هل يتحدث إحدى اللغات المعروفة ؟!

التقط (جو) نفسًا عميقًا ، وقال فى زهو :

ـ ليست مسألة لغات .

ثم راح يشرح له ما يفعله ، من تحويـل أصـوات الفـضائى وحركات جسده ، إلى معان لغوية واضحة ، واستمع إليه الروسـى فى اهتمام شديد ، فى حيـن راح الفضـائى (موجال) يتـابع حديثهما فى قلق واضح ، وهو يرمق الروسى بنظرات لا تـشف عن أى ارتياح ، ثم لم يلبث أن يتراجع إلى الجدار ، و(جـو) ينهى حديثه ، قائلاً :

ـ إنه ذكى كما ترى .

التفت الروسى إلى (موجال) ، وحدجه بنظرة طويلة ، قبـل أن يغمغم :

ـ هذا يبدو واضحًا .

تبادل معه (موجال) نظرة عصبية ، قبل أن يشير إليه ، ثم ينظر إلى (جو) ، ويتحدث على نحو عصبى ، جعل (جو) يلتفت فـى لهفة إلى شاشات جهازه ، ورجل الأمن يسأله فى اهتمام شديد :

ـ ماذا يقول ؟!..

ترجم (جو) تلك الإشارات ، وهو يقول :

ـ قال إنه لا يشعر بالارتياح تجاهه .

قالها ، وهو يشير إلى الروسى ، الذى لم يبد أى اهتمام للأمـر ، على الرغم من فهمه للعربية ، وإنما هتف :

ـ دعه يقولها مرة أخرى .

التفت إليه (جو) فى استنكار ، قائلاً :

ـ إنه ليس مهرجًا فى سيرك فقير .

هتف به الروسى ، مكررًا فى انفعال :

ـ دعه يقولها مرة أخرى .

انعقد حاجبا (جو) فى غضب ، والتفت إلى رجل الأمن بنظرة مستاءة ، ولكن هذا الأخير قال فى اهتمام متوتر :

ـ دعه يكررها ... لن نخسر شيئًا .

أشار(جو) إلى (موجال) ، وطلب منه أن يعيد مـا قالـه ، فنقل الفضائى بصره ، بين الرجال الثلاثة فى حذر ، قبل أن يكرر ما قاله فى بطء ، فاتسعت عينا الروسى ، على نحـو عجيـب ، وهو يحدق فى الفضائى بنظرة مخيفة ، حتـى إن هـذا الأخيـر تراجع بحركة أشبه بحيوان مذعور ، والتصق بالجـدار ، وهـو يدير عينيه إلى (جو) بنظرة مستنجدة ، فقال هذا الأخيـر فـى عصبية :

ـ لم يضف شيئًا .

هتف به الروسى ، فى انفعال جارف :

ـ خطـأ .

ثم عاد يحدق فى الفضائى ، بتلك النظرة العجيبة ، مردفًا :

ـ لقد أضاف الكثير ... والكثير جدًا .

اللهجة التى نطق بها عبارته ، أثارت دهشة وقلق (جـو) ، ورجل الأمن معًا ، ولكن الأخير وحده ترجم مشاعره إلـى لغـة مسموعة ، وهو يقول :



ــ ماذا أضاف بالضبط ؟!..

أجاب الروسى بنفس الانفعال ، دون أن يرفـع عينيـه عـن الفضائى :

ــ اللغـة .

تبادل (جو) ورجل الأمن نظرة دهشة كبيرة ، ثم قـال الأول فى تردد :

ــ إنها لغة كوكبه ، و ...

قاطعه الروسى ، فى انفعال حاد :

ــ هـراء ..

ارتد (جو) فى دهشة ، فى حين هتف رجل الأمن ، فى توتر بالغ :

ــ ماذا تعنى يا رجل ؟!... أفصح عما لديك ؟!..

التفت إليهما الروسى ، وقال دون أن يفارقه انفعاله :

ــ تلك اللغة ، التى تحدث بها ، ليست لغة فضائية .

جف حلق رجل الأمن ، وهو يسأله :

ــ كيف ؟!..

ألقى (جو) السؤال ، فى الثانية التالية ، وكأنه لـم يـسمع رجل الأمن ، فتضاعف انفعال الروسى ، وهو يجيبهما :

ــ إنها لغة أرضية بالغة الندرة ... لغـة أرضـية ، وليـست فضائية ... على الإطلاق .

واتسعت عيون (جو) ورجل الأمن عن آخرهما ...

فالمفاجأة كانت قاسية ...

للغـاية .

* * *

11 ـ مشكلة لغة ...

لما يقرب من دقيقة كاملة ، ران على تلك القاعة صمت رهيب ، على الأقل فى ذلك الجزء منها ، و(جو) مع رجل الأمن يحدقان فى وجه (تروتسكى) ، الذى لم يبد أقل منهما صدمة وذهولاً ، ثم لم يلبث رجل الأمن أن اخترق هذه الصورة الصامتة ، وهـو يهتف فى انزعاج :

ـ هو ليس فضائيًا إذن ؟!...

التفت الثلاثة مع قوله إلى (موجال) ، الذى تراجع فى تـوتر ، وراح ينقل بصره بين ثلاثتهم فى عصبية ، والروسى يجيب فـى انفعال :

ـ الهيئة التى أراها أمامى ليست فضائية ... ولكنها ليـست أرضية أيضًا ... إنه يبدو أشبه بـ ... بـ ...

اندفع (جو) يكمل عبارته :

ـ بالإنسان القديم .

استدار إليه (تروتسكى) ، وهتـف فـى حمـاس ، مـشيرًا بسبابته :

ـ بالضبط .

ثم راح يحرك ذراعيه كليهما فى انفعال جارف ، وهو يكمل :

ـ إنه أشـبه بما يطـلق عليـه الجيولوجيون اسم (إنسـان نايندرثال) وهو أول مخلوق يمشى على قدميه ، تم العثور على بقاياه ، بعد انقراض الديناصورات .

انعقد حاجبا (جو) ، وهو يقول ، فى لهجة شبه حادة :

ـ التشابه لا يعنى أنه ليس فضائيًا .

أجابه (تروتسكى) بنفس الانفعال :

ـ هذا صحيح ... ذلـك الرداء الذى يرتديه لا يشـبه أرديـة أرضية معروفة ... إنه يبدو لى معدنيًا ، ولكنـه يتحـرك علـى جسده فى مرونة شديدة ... أخبرنى : هل يحوى أية أسلحة ، أو وسائل اتصال متطورة ؟!..

انعقـد حاجبا رجـل الأمن فى توتر ، والتفت إلى (موجال) بحركة حادة ، وحدق فى زيه اللامع فى عصبية ، وهو يتساءل :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابه الروسى فى سرعة وانفعال :

ــ ولِمَ لا ؟!..

ازداد انعقاد حاجبى رجل الأمن ، والتقط جهاز اتـصاله فـى عصبية بالغة ، وهو يقول عبره فى صرامة :

ــ كود (ج) .

مع قوله ، أو بعد ثوان قليلة منه ، انبعث غاز مــن فتحــات خاصة ، داخل القفص الزجاجى ، فانتفض (موجال) فى شدة ، وتلفت حوله فى ذعر ، ثم اندفع نحو الحاجز الزجــاجى ، وراح يضربه بكفيه فى انفعال ، وهو يهتف بكلمات واضحة الانزعاج ، موجهًا حديثه إلى (جو) مباشرة ، فاندفع هــذا الأخيــر نحــو أجهزته ، وهو يهتف برجل الأمن :

ــ ماذا فعلتم به ؟!..

أجابه الرجل فى صرامة :

ــ مجرد إجراء وقائى .

ألقى (جو) نظرة عصبية على شاشات الأجهزة ، ثم هتــف فى غضب :

ــ أهو غاز قاتل ؟!

أجابه الرجل بنفس الصرامة :

ــ بل غاز مخدر ... لابد من فحص ذلك الــزى ، بوســاطة خبرائنا .

قال الروسى فى حماس :

ــ إجراء سليم .

رمقه (جو) بنظرة غاضبة ، وهو يهتف فى مرارة :

ــ ولماذا لم تطلب منه نزعه فحسب ؟!..

أجابه رجل الأمن فى حزم صارم :

ــ وماذا لو استخدم أسلحته عندئذ ؟!

التفت إليه (جو) غاضبًا :

ــ أية أسلحة ؟!... لو أنه يمتلك أسلحة ، فلم لم يستخدمها ، حتى هذه اللحظة ، على الرغم من كل ما واجهه ؟!

أجابه الروسى فى حسم :

ــ لا يمكنك المخاطرة .

هتف (جو) محتدًّا :

ـ وأفقداه الوعى ... أليس مخاطرة ؟!... هل نعلم تأثير هذا الغاز على أجهزته الحيوية ؟!... هل سيثق فى تعاونه معنا بعـدها ؟!... فليجب أكثركما عبقرية ... هل سيفعل ؟!..

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، وغمغم الروسى :

ـ لست أعتقد أن ...

قاطعه رجل الأمن فى صرامة شديدة :

ـ كما سمعت من قبل ... لا يمكننا المخاطرة ... سيتم تجريـده من هذا الزى ؛ ليتم فحصه بمنتهى الدقة ، وبعدها سيعود رهـن إشارتك ، ولكن فى زى أرضى آمن .

قال (جو) فى مقت :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

ولم يجب رجل الأمن ...

بل لم يجب أيهما ...

ولا حتى بحرف واحد ...

* * *

لم ينطق الرئيس الأمريكى بحرف واحد ، وهو يـستمع إلـى خبراء المخابرات الأمريكية ، الذين يشرحون وجهـة نظـرهم ، بشأن الخدعة المصرية ، ويحاولون طرح كافة الأدلة عليها ...

وعندما انتهى الشرح ، ساد المكان صمت طويل ، بدا خلالـه الرئيس الأمريكى شديد الاستغراق فى التفكير ، والكل يتطلع إليه ، حتى تنحنح مدير المخابرات وسأله فى خفوت :

ـ والآن ماذا يا سيادة الرئيس ؟!

بدا الرئيس الأمريكى وكأنه يستيقظ من حلم ما ، وهو يرفـع عينيه إليه ، متسائلاً :

ـ ماذا تقترح أنت ؟!

أجابه مدير المخابرات فى حماس :

ـ سننتظر عودة رجالنا ، ثم ...

قاطعه الرئيس الأمريكى فى حزم صارم :

ـ ثم ماذا ؟!

صدمت لهجته مدير مخابراته ، فانخفض صوته مرة أخرى ، وقال :

ـ نضرب ضربتنا .

بدا الرئيس الامريكى شديد العصبية ، وهو يقول :

ـ أية ضربة ؟!

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بالعبارة ، إلا أنه انتفض بعدها فى غضب ، وهب من مقعده ، وهو يقول فى حدة :

ـ ما أخبرتمونى به لم يتعد استنتاجات محـضة ، ممتزجـة بغضب شخصى من انتصار المصريين فى الجولة الأولى ، ولكن القليل مما عرفته وخبرته ، عن نظم الأمن الرياسية ، فى فتـرة رياستى ، جعلنى أندهش من تصوركم أن المـصريين يمكـن أن يجازفوا بكشف أخطر أسرارهم الأمنية ، فقط من أجل خدعة .

قال مدير مخابراته ، محاولاً تهدئته :

ـ ليست مجرد خدعة ، إنها سيطرة على تكنولوجيا حديثة .

صاح الرئيس الأمريكى فى غضب :

ـ وكيف سيمكنهم الإفادة منها ، حتى لو بذلوا كل حيـاتهم ، من أجل الاحتفاظ بها ؟!... أليست تقاريركم نفسها هـى التـى أكدت ، منذ شهور قليلة ، أن العرب سيعجزون عـن اسـتخدام التكنولوجيا ، حتى لو توافرت لديهم ؛ بسبب غياب القاعدة العلميـة

فى عالمهم ، وابتعادهم عن المنطق العلمى فى التفكير ؟!... ألم تذكر لى أنت شخصيًّا ، يا مدير المخابرات ، أنك تعلم أن المصريين قد حصلوا على ثلاث قنابل ذرية ، من الاتحاد السوفيتى المنهـار ، ولكنك لا تخشى شيئًا منها ؛ لأنهم لا يمتلكون وسيلة لإطلاقهـا ؟!... ألم يكن مصدر ثقتك هذه ، كما أخبرتنـى ، أنهـم انفعـاليون ، يفتقرون إلى الفكر العلمى المنظم ؟!... كيف تعود فتخبرنى بعدها أنهم قد خدعونا بأكثر خدع التاريخ مهارة ؟!... كيف ؟!

أجابه مدير مخابراته فى توتر :

ـ لا تنس يا سيادة الرئيس ، أن الخدعة التى اسـتخدموها ، فى حرب (كيبور)[*] كانت ..

قاطعه الرئيس الأمريكى فى غضب :

ـ لا تحدثنى كل مرة عن حرب (كيبور) هذه ؛ فحديثك عنها يذكرنى دومًا بأنك تنتمى إلى قومك ، بأكثر مما تنتمى إلينا ...

احتقن وجه مدير المخابرات فى شدة ، وهو يقول :

ـ سيدى الرئيس ... ربما كنت يهودى الديانة ، ولكننى أمريكى الجنسية ، وانتمائى دومًا لوطنى .

(*) حرب (كيبور) : هـو الاسم الذى يطلقه الإسرائيليون على حرب أكتوبر 1973 م ؛ لأنها اندلعت يوم عيد الغفران لديهم ، ويطلق عليه اسم عيد (كيبور) .

مال الرئيس الأمريكى نحوه ، وهو يقول فى صرامة قاسية :

ـ أى وطن منهما ؟!

ازداد احتقان وجه مدير المخابرات الأمريكية ، وانطبقت شفتاه فى توتر شديدٍ ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها رنين هـاتف الرئيس الأمريكى المؤمَّن ، فالتقطه قائلاً ، ولم تفارقـه لهجتـه الصارمة بعد :

ـ ما الجديد ؟

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى محدثـه ، وانقلبت ملامحه على نحو عجيب ، يوحى بأن ما يسمعه أمر خطير ...

وربما لأقصى حد .

* * *

لم يشعر الرئيس المصرى بالارتياح علـى الإطـلاق ، وهـو يستقبل السفير الأمريكى فى مكتبه مرة أخرى ، ولقد بـدا هـذا واضحًا ، فى صوته ولهجته وأسلوبه ، وهو يقول فـى جفـاف شديد الوضوح :

ـ ماذا هناك هذه المرة ؟!

بدا السفير واثقًا إلى حد الغرور ، وهو يقول :

ـ لدى حكومتى مطلب خاص يا سيادة الرئيس .

ثم مال نحو الرئيس ، مضيفًا ، بلهجة لا تثير أدنى قدر مـن الارتياح :

ـ لتأكيد الصداقة بين حكومتينا .

أجابه الرئيس فى صرامة :

ـ الصداقة التى دفعتكم لمهاجمة بلدنا ؟!

اعتدل السفير بحركة حادة ، وقال فى سرعة :

ـ الصداقة التى ستعود أقوى مما كانت ، يا فخامة الرئيس .

صمت الرئيس بضع لحظات ، وتأمله خلالهـا فـى صـرامة واضحة ، قبل أن يقول :

ـ وما مطلب حكومتك بالضبط ؟!..

التقط السفير نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ قطعة .

تبادل الرئيس المصرى نظرة مع مدير مخابراته ، قبـل أن يسأل هذا الأخير ، وهو يعرف الجواب مسبقًا :

ــ قطعة من ماذا ؟!

أجاب السفير فى سرعة ، وكأنه كان ينتظر السؤال بالفعل :

ــ قطعة من مركبة الفضاء التى نسفتموها .

عاد الرئيس ومدير مخابراته يتبادلان النظـــر ، وإن حملـت نظراتهما معنى شديد الاختلاف هذه المرة ، قبل أن يقول الرئيس فى صرامة شديدة :

ــ أى مطلب هذا ؟!

أجابه السفير ، بالسرعة نفسها :

ــ مطلب علمى يا فخامة الرئيس ...

والتقط نفسًا عميقًا ؛ للسيطرة على انفعاله ، قبل أن يتابع فى رصانة ، بذل جهدًا كبيرًا لتصنعها :

ــ تلك المركبة قادمة من الفضاء السحيق على الأرجح ، وهذا يعنى رحلة فضائية طويلة ، وطاقة لا حصر لها ، ومـــن أجـل القيام برحلة كهذه ، لابد من صنع مركبة فضائية ، تجمع بـين أمرين أساسيين ... متانة هيكلها ، وخفة وزنه ، وهـذا حتمًـا يحتاج ، إما إلى سبيكة معدنية مـن نوع خاص جدًا ، أو معدن

غير معروف على الأرض ، وكلاهما أمر يمكن أن يصنع فارقًـا كبيرًا ، فى صناعة الطائرات والصواريخ .

صمت الرئيس لحظات ، ثم مال نحوه ، متسائلاً فى حزم :

ــ لو أن هذا صحيح ، فلماذا نسلمكم قطعة من المركبة ؟!

بدا السفير وقحًا إلى حد ما ، وهو يجيب :

ــ لأننا الدولة التى تمنحكم طائراتكم ، يا فخامة الرئيس .

انعقد حاجبا مدير المخابرات فى غضب ، فى حين قال الرئيس فى صرامة :

ــ تقصد تبيعوننا إياها .

اعتدل السفير فى حركة حادة ، مجيبًا :

ــ لا يوجد فــارق كبير يا فخـامة الرئيس ... أنتم تحصلون على طائراتكم منا فى كل الأحوال .

قال الرئيس فى صرامة أكثر :

ــ وكذلك الإسرائيليون .

انعقد حاجبا السفير ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا تعنى بالضبط يا فخامة الرئيس ؟!

مال الرئيس نحوه هذه المرة ، وبدا شديد الحزم والصرامة ، وهو يقول :

ـ أعنى أنكم المصدر الوحيد لطائرات الطرفين ، حتـى هـذه اللحظة ، ولكن الأمر المدهش أنكم شـديدو الحـرص علـى أن يسبقنا الإسرائيليون دومًا بخطوة أو خطـوتين ، فـى مقيـاس التسلح ، وكأنكم تحرصون على تفوقهم عسكريًا طوال الوقت .

اندفع مدير المخابرات ، يقول فى صرامة مماثلة :

ـ ولعلكم لاحظتم ، فى هجومهم الأخير هذا ، أن قوة السلاح ليست المقياس الوحيد للتفوق العسكرى ؛ فالرجال خلف السلاح هم المعيار الحقيقى .

ثم انتبه إلى اندفاعه ، فتراجع مغمغمًا :

ـ معذرة يا فخامة الرئيس .

ـ ابتسم الرئيس ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ لا عليك ... إنهم يعلمون ... حروبنا معهم جعلتهم يدركون هذا ، منذ زمن طويل .

وهز كتفيه ، وهو يشير بيده مرة أخرى ، مضيفًا :

ـ ولعل هذا ما يخيفهم منا .

بدا السفير الامريكى عصبيًا ، وهو يقول :

ـ مازلت عاجزًا عن فهم ما ترمون إليه ، يا فخامة الرئيس .

اعتدل الرئيس فى مقعده ، وقال فى صرامة :

ـ باختصار ... أية دولة فى العالم مستعدة لمنحنـا كـل مـا نبتغيه من سلاح وطائرات ، مقابل تلك القطعة التى تطالبون بها ..

احتقن وجه السفير ، وهو يقول فى حدة :

ـ أتعلم ما يعنيه أن تفعلوا هذا ، يا فخامة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس بنفس الصرامة :

ـ بكل تأكيد .

هتف فى حدة أكثر :

ـ إنه شبه إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية .



ضرب الرئيس المصرى سطح مكتبه براحته فى قوة ، وهـو يقول فى غضب :

ــ أهذا تهديد رسمى أيها السفير ؟!

تراجع السفير فى سرعة ، وهو يقول فى توتر :

ــ بل تحذير غير رسمى فحسب يا فخامة الرئيس ... ولكننى أؤكد لفخامتكم ، أن كل حرف قيل هنا ، سيتم نقله إلى الـرئيس الأمريكى ، خلال دقائق قليلة ، من مغادرتى مكتب فخامتكم .

أجابه الرئيس فى صرامة :

ــ سأنتظر رد فعله .

وصمت لحظة ، وكأنه سيكتفى بالقول ، إلا أنه أضاف ، فـى صرامة أكثر :

ــ وأخبره أن التكنولوجيا ، التى تتباهون بها ، قـد أوجـدت وسائل عديدة للاتصال المباشر ، وأننى لن أقبـل بالاتصال عبر السفراء ، فى شأن شديد الحيوية والأهمية كهذا .

تمتم السفير ، فى عصبية واضحة :

ــ سأفعل ...

وعندما غادر مكتب الرئيس ، كان وجهه شديد الاحتقان ... إلى أقصى حد ...

* * *

« إنك لم تتحدث ، منذ ما يقرب من الساعة ... »

نطقها الروسى فى هدوء بارد ، وهو يبتسم ابتسامة أكثر بـرودًا ، فالتفت إليه (جو) فى غضب ، قائلاً :

ــ وماذا تنشد من حديثى ؟!

هز (تروتسكى) كتفيه ، وقال :

ــ أن نتشاور علميًّا على الأقل .

قال (جو) فى غضب :

ــ علميًّا أم أمنيًّا ..

واصل الروسى ابتسامته الباردة ، وهو يقول :

ــ فى حالتنا هذه ، لا يوجد فارق كبير .

هتف (جو) فى حدة :

ــ من وجهة نظر من ؟!

صمت الروسى بضع لحظات ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً فـى جدية :

ـ اسمع أيها المصرى ... من الواضح أنك قد قضيت عمـرك كله فى حياة مدنية خالصة ، لم تواجـه فيها مـن المخـاطر ، إلا ما يهدد أمنك الشخصى فحسـب ، أما أنا ، فقـد نشأت فـى الاتحاد السوفيتى ، قبل انهيار الشيوعية ، وتحولنا إلى تابع غير صريح لأمريكا ، ومنذ حداثتى ، تعاملت مع مشكلات أمنية عديدة ... حتى عندما اتجهت للعلم ، كنا نتعامل معه كأمر أمنى بحت ؛ لأننا كنا دومًا فى صراع معلومات لا ينتهى ، مع أمريكا ، التى كانوا يصفونها لنا باعتبارها رمزًا للإمبريالية العالمية .

سأله (جو) فى عصبية :

ـ وما علاقة كل هذا بما نحن بصدده .

أجابه ، فى شىء من الصرامة تجاوز بروده التقليدى :

ـ علاقته أنك عاجز عن رؤية الموقف على نحو كامل أو متكامل ، على الرغم مما يحدث حولك ، فحتى هذه اللحظة ، مازلت تتعامل مع الموقف ، باعتباره أمرًا علميًا محضًا .

سأله (جو) بنفس العصبية :

ـ أوليس كذلك ؟!

تراجع الروسى فى بطء ، وهو يهز رأسه نفيًا ، قائلاً :

ـ لا ... ليس كذلك .

ثم استطرد فى حزم :

ـ ذلك الكائن ، صار سلاحًا تكنولوجيًا ، يتنافس الجميع للفوز به ، وهذا يعنى أنه لم يعد مجرد لغز علمى فحسب ، بل مشكلة أمنية ، ينبغى التعامل معها بمنتهى الحذر .

قال (جو) فى غضب :

ـ وهل سيحل تخديره المشكلة ؟!

هز (تروتسكى) كتفيه ، وأجاب :

ـ ربما لا ، ولكنه سيوضح بعض الأمور فحسب .

« هذا صحيح ... »

لم ينطق أيهما العبارة ، وإنما جاءت على لسان رجل الأمن ، الذى دخل إلى المكان ، وملامحه توحى بخطورة وأهمية ما أتى من أجله ، فالتفت إليه كلاهما ، وسأله الروسى فى لهفة :

ـ هل من جديد ؟!

لوح رجل الأمن بملف فى يده ، وهو يقول فى حزم متوتر :

ـ بل هناك مفاجأة ... مفاجأة لم تتوقعاها أبدًا ... أبدًا ...

والواقع أنه كان على حق ..

فالمفاجأة غير متوقعة ...

مطلقًا .

* * *

12 ـ المفاجأة الكبرى ..

لأكثـــر مـــن خمس دقـــائق كاملة ، لم يســتطع (جو) ، أو (تروتسكى) النطق بكلمة واحدة ، بعد أنهى رجل الأمن قـــراءة التقرير ، الذى أصدره الخبراء ، ثم لم يلبث الأول أن هز رأســه فى توتر شديد ، وكأنما يحاول أن ينفض عنه مـــا ســمعه منـذ لحظات ، وقال فى شىء من العصبية :

ـ هل يمكنك ان تعيد ما قلته مرة أخرى ؟!...

أزاح رجل الأمن التقرير جانبًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ الأمر واضح ، إلى الحد الذى تعجزان معه عن استيعابه ... ذلك الزى ، الذى كان يرتديه الكائن ، يحـــوى بالفعل أكثر بكثير مما أمكننا أن نكشـــفه فى المـــرة الأولى ... إنه ليس مجرد زى فضائى ، يمده بالهواء والغذاء ، ويضبط معدلات الضغط وقياســـاته الحيوية ... إنه يحوى أيضًا شبكة من وسائل الاتصال ، موزعة عبر نسيجه غير التقليدى ، والذى تم تصنيعه على نحـــو يصعب حتى أن تتوصل إليه أرقى تكنولوجيا ، قبل ثلاثين عامًا من العمل الدءوب على الأقل ، ثم إنه يقوم بتخزين كل هذا داخل ما يشبه

قرص التخزين المعروف لدينا ، ولكنه رخو ونـــسيجى ، بحيـث يكون جزءًا من الزى نفسه .

ثم هز رأسه فى غضب ، مستطردًا :

ـ هذا الوغد كان يجمع المعلومات عنا طوال الوقت .

هم الروسى بقول شىء ما ، ولكن (جو) اندفع يقول فى حدة :

ـ ليس بالضرورة .

التفت إليـه رجـل الأمن فى غضب شديد ، وكاد ينفجر فـى وجهه ، بمحاضرة طويلة قاسية ، عن خطأ النظر إلى كل الأمـور ، من منطلق حسن النوايا ، وعن ضرورة وضع الأمـن فـوق كـل اعتبار ، و ...

ولكن الروسى أجهض المحاضرة قبل أن تبدأ ، وهو يقول فى صرامة :

ـ وأنا أتفق معك تمامًا .

التفت إليه رجل الأمن فى دهشة مستنكرة ، فأضـاف بـنفس الصرامة :

ـ لو أنك رائد فضاء ، وتنطلق فى مهمة كونية طويلة ، فمن الطبيعى أن يحوى زيك أو مركبتك وسيلة لتسجيل كل ما تمر به ، وحفظ كل لمحة ، يمكن دراستها وتحليلها ، والإفادة منهـا بعـد عودته إلى كوكبه الأم .

اندفع (جو) يكمل فى انفعال :

ـ ثم إننا لو افترضنا أنه يرتدى هذا الزى للتجسس علينـا ، فهذا سيعنى أن سقوطه فى قبضتنا كان متعمدًا ، حتـى يمكنـه القيام بمهمته .

بدا رجل الأمن شديد الصرامة والقسوة ، وهو يجيب :

ـ ولا يمكننا استبعاد هذا الاحتمال أيضًا .

تبادل (جو) و(تروتسكى) نظرة مستنكرة ، قبل أن يقـول (جو) ، فى غضب واضح :

ـ اسمع يا هذا ... أنا كنت طيلة عمرى ، أكثر تزمتًا منـك ، فى هذه الأمور ، ولم أكن أؤمن ، ولو لحظة واحدة ، باحتمـال وجود أية مخلوقات عاقلة غيرنا فى الكون ، وكنت أستنكر بشدة أية محاولة لإقناعى بالعكس ... حتى أفلام الخيال العلمى ، التى

أشارت إلى هذا ، كنت أراها مجرد أفلام هزلية سخيفة ، ولكـن هأنذا أقف فى مواجهة كائن من عالم آخر ، كائن ذكـى ، أكثـر تطورًا وتقدمًا منا ، من الناحية التكنولوجية على الأقل ، وهـذا يعنى صدمة عنيفة ، لكل ما آمنت به طيلة عمرى ، ربما لأننـى أدركت أننى أمام أعظم كشف علمى ، منذ بدء الخليقة ، وكـان هذا يحتم على ، أن أطرح أفكارى القديمة جانبًا ، وأن أتعامل مع الأمور بفكر جديد ، وروح جديدة .

هز رجل الأمن رأسه فى عناد ، قائلاً بنفس الصرامة :

ـ هذا يتعارض تمامًا مع الأمن ، والفكر الأمنى .

قال الروسى فى برود مستفز :

ـ هراء .

التفت إله الرجل مرة أخرى ، على نحو حاد ، ولكنه استطرد بلا مبالاة :

ـ الأمن الجامد هو أمن فاشـل وعـاجز ، ويـسهل للغايـة تحطيمه واختراقه ، وإزاحته من الساحة ... الأمن الحقيقى هـو أمن التغيير ، والتطوير ، والتعامل مع كل أمر جديـد بمفهـوم جديد ، وفكر جديد .

هتف به رجل الأمن ، فى لهجة اكتسبت شيئًا مـن الـشراسة هذه المرة :

ـ إنك تتحدث عن أمن قومى يا رجل .

جاء دور (جو) ليقول فى غضب :

ـ هراء أيضًا .

بدا رجل الأمن شديد العصبية والغضب والاستنكار ، وهو ينقل بصره إليه ، ولكن (جو) تابع بنفس اللهجة :

ـ لو أن هذا القادم من كوكب آخر ، هو جاســوس ، قطـع ملايين الأميال ، عبر فضاء سرمدى لا نهائى ، فقط ليتجـسس علينا ، أو ليجمع معلومات عنا ، بغرض الاستعمار أو الاحتلال ، أو أى من تلك الأفكار الخزعبلية ، التى ملئت بها قصص الخيال العلمى رءوسكم ، فنحن حتمًا لسنا أمام مشكلة أمن قـومى ، أو حتى أمن إقليمى ... إننا أمام مشكلة أمن عالمى ... أمن يحمى البشرية كلها ، وليس مصر أو العالم العربى فحسب .

قال (تروتسكى) مكملاً :

ـ ولو أن الأمر كـذلك ، فمـن واجـبكم أن تتعاونوا مـع الأمريكيين ، ومع كل دولة فى العالم ؛ لأن الخطر يشملها كلها .

هز رجل الأمن رأسه فى عنف ، وقال فى حدة :

ـ لم نتيقن من هذا بعد .

سأله (جو) مندفعًا كعادته :

ـ وكيف ستتيقنون ؟!... هل ستستجوبون (موجال) ؟!...

انعقد حاجبا رجل الأمن ، وهو يجيب فى شراسة :

ـ ولِمَ لا ؟!

سأله (تروتسكى) :

ـ وكيف ستفعلونها ؟!..

نقل رجل الأمن بصره فى عصبية ، دون أن يجيـب ، فمـال (جو) نحوه ، وأجاب بكل صرامة :

ـ بالعلم .

بدا واضحًا ، من خلجات الرجل ، أن الموقف كله قد أصـابه بتوتر شديد ، جعله يقول فى عصبية :

ـ ما الذى ترميان إليه بالضبط ؟!

كان الروسى هو من أجابه ، ببروده المستفز :

ـ إنه لا سبيل لكم ، لبلوغ الحقائق ، سوى من خلالنا .

وأضاف (جو) مندفعًا :

ـ أم إنكم ستبحثون عن عالم ثالث ، يخبـركم مـا تريـدون سماعه بالضبط ؟!

كان من الواضح أنها مواجهة صريحة ، لم تحدث على نحـو مباشر من قبل ...

مواجهة بين فكرين ...

فكر أمنى ...

وفكر علمى ...

الفكر الأمنى ، كان يبحث حتمًا عـن أسـلوب السيطرة على الموقف ..

أيًا كان هذا الموقف ...

والفكر العلمى ، كان يبحث عما هو أرقى ...

عن المعرفة ...

والحقيقة ...

عن العلم ...

فكر يسعى للسيطرة ...

وفكر يسعى للمعرفة ...

والسؤال فى مثل هذه المواجهة، لا يكون من الأفضل ...

ولكن من الأقوى ؟!...

من يملك السلطة ؟!..

والقرار ؟!...

والاتجاه ؟!...

لذا ، فقد اعتدل رجل الأمن ، وفرد صدره ، وشد قامته ، واتخذ وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول بكل الغلظة :

ــ ستؤديان عملكما ، كما يطلب منكما .

عقد (تروتسكى) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ــ وماذا لو لم نفعل ؟!..

ساد الصمت على ثلاثتهم لحظات ، تبادلوا خلالها نظرات حادة ، ملؤها الصرامة والتحدى ، قبل أن يقول رجل الأمن ، فى لهجة عسكرية ، توحى بأنها غير قابلة للنقاش :

ــ ستنفذان الأوامر ؛ لأنكما تجهلان كافة تعقيدات الأمر.

قال (جو) ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره بدوره :

ــ المشكلة أننا لكى ننفذها ، لابد لنا من معرفة وفهم كافة تعقيدات الأمور .

نطق الجزء الأخير من العبارة ، مقلدًا أسلوب رجل الأمن ولهجته ، فاحتقن وجه هذا الأخير فى غضب ، فى حين ابتسم (تروتسكى) ابتسامة باردة ، وقال فى هدوء مستفز :

ــ يبدو أننا سنتفق على أمور كثيرة هذا المساء يا صديقى .

نقل رجل الأمن بصره بينهما فى غضب بضع لحظات ، ثم لم تلبث نظراته أن تحولت إلى صرامة شديدة ، وهو يقول فى تحد :

ــ هل تعلمان إذن ، أن كافة الخبراء ، يتفقون على أنه من المحتمل ، والمحتمل جدًا ، أن يكون كل هذا مجرد خدعة ؟!..

ابتسم (جو) فى سخرية عصبية ، وقال :

ــ إذن فقد قطع (موجال) كل هذهِ الأميال فى الفضاء ، لكى ...

قاطعه فى صرامة غاضبة :

ــ هنا تكمن الخدعة .

انعقد حاجبا (تروتسكى) وهو يسأله فى قلق :

ــ ماذا تعنى بالخدعة يا رجل ؟!

التقط رجل الأمن نفسًا عميقًا ، وبدا شديد الثقة والقوة ، وهو يجيب فى صرامة :

ــ لقد فحصنا أنسجة هذا المدعى ، وجاءت النتيجة حاسمة .

ثم مال نحوهما ، فى لهجة بدت أشبه بالتشفى :

ــ هذا المخادع بشرى ... مجرد بشرى .

وتراجع الاثنان كالمصعوقين .

لقد كانت بالفعل مفاجأة كبرى ...

جدًا ..

* * *

ران صمت مهيب على حجرة مدير المخابرات العامة المصرية ، وهو يتطلع مع عدد من كبار معاونيه ، إلى شاشة كبيرة ، تنقل إليه ما التقطته كاميرات المراقبة الثابتة ، فى صـــالة الوصـــول بمطار (القاهرة) ، ثم لم يلبث أحد معاونيه أن أشار إلى رجـــل غربى الملامح ، وهو يقول :

ــ (إيتان كرينهال) ... أسترالى ، ويعمـــل ســـرًا لحـــساب المخابرات المركزية الأمريكية ، وصل علـــى مـــتن الطـــائرة ، القادمة من (بلغاريا) ، حاملاً جواز سفره الأسترالى ، وفحص حقائبه يؤكد أنه لا يحمل أية أسلحة .

ثم أشار إلى آخر ، مكملاً :

ــ (ريكاردو لوبيز) ... برازيلى ، قاتل محترف لحساب قسم التصفيات ، بالمخابرات الإسرائيلية ، وصل على مـــتن الطـــائرة القادمة من (النرويج) ...

قال مدير المخابرات ، فى تفكير عميق :

ــ هذا يجعلهم خمسة أفراد .

أومأ معاون آخر برأسه ، قائلاً :

ـ بالضبط ، وملفاتهم كلهم تشير إلى أنهم يعملون من خلــف الستار ، إما لحساب المخابرات الأمريكيــة ، أو الإســرائيلية ، وكلهم لم يحملوا أية أسلحة .

أشار مدير المخابرات بيده ، قائلاً :

ـ الأسلحة ليست مشكلة ، فكل سفارة تقريبًا تنقل إليها بعض الأسلحة للحماية ، عبر الحقائب الدبلوماسية ، التــى لا يجــوز تفتيشها ... حتى نحن نفعل هذا ، ورجالنا فى عملياتهم الخارجية ، يحصلون على أسلحتهم ، عبر هذا السبيل .

قال معاون ثالث فى اهتمام :

ـ وصولهم على هذا النسق المتزامن ، يؤكد أنهم هنا لأمر ما .

وافقه مدير المخابرات بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ ووصولهم فى هذا التوقيت بالتحديد ، يجعلنا نتوقــع هــذا الأمر .

سأله المعاون الأول :

ـ ولكن ماذا يستطيعون فعله ، فى أمر نحيطــه بكــل هــذه السرية ، وبكل وسائل الأمن والتأمين الممكنة .

صمت مدير المخابرات بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هم سيحملون الجواب إلينا .

ثم اعتدل فى مقعده ، واستطرد بلهجة قائد حاسم :

ـ سنضع خمستهم تحت رقابة دائمة ، وسنتبعهم كظلهم ... أريد تسجيل كل محادثتهم ، وحواراتهم ، وحتى همسات نــومهم ... والأهم ألا ينتبه أحدهم لحظة واحدة ، إلى أننا نفعل هذا .

وعاد يتراجع فى مقعده ، ويحك ذقنــه بأصــابعه ، مكمــلاً ، وكأنه يحادث نفسه :

ـ لابد وأن نعلم لماذا أتوا ، ولأى شىء يخططون .. لابد .

ولم ينطق أحد معاونيه بحرف واحد ...

على الإطلاق ...

* * *

ساعة كاملة ، قضاها (جو) و(تروتــسكى) ، يتفحــصان نتائج تلك الفحوص المدهشة ...

ساعة كاملة ، راجعا فيها كل ما درساه عن هدفهما ...

وكل ما عرفاه منذ مولدهما ...

راجعا الدراسات التشريحية ...

والبيولوجية ...

وعلوم الإنسان ...

وعلم الخلايا ...

والجينات ...

وحتى أمراض الدم ...

وطوال تلك الساعة ، لم يتفوه رجل الأمن بحرف واحد ...

لقد لاذ بصمت عجيب ...

صمت كامل تام ، لم ينبس خلاله ببنت شفة ...

ولكن عيناه تابعتهما ، بمنتهى الدقة ...

وأذناه أنصتتا لكل حرف نطقاه ...

ولو يحاول مقاطعتهما قط ...

ولا حتى بحرف واحد ...

وفى النهاية ، أطلق (تروتسكى) زفرة طويلة ، وهو يقول :

ـ إنه بشرى بالفعل .

وهنا فقط ، حل رجل الأمن عقدة ساعديه ، وهو يسأل متوترًا :

ـ حقًّا ؟!...

أشار (جو) بسبابته ، قائلاً :

ـ مع فارق جوهرى .

نهض رجل الأمن ، يسأله فى صرامة :

ـ أى فارق ؟!..

أجابه الروسى فى اندفاع :

ـ إنه لا يتفق مع بشر هذا الزمان .

انعقد حاجبا رجل الأمن فى شدة ، وهو ينقل بصره بينهما فى عصبية ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!...

أجابه الروسى فى حماس :

ــ حتى الجينات الوراثية تتطور مع الزمن ، فهنـاك صـفات تكتسب ، وتنتقل إلى الأجيال التالية ، بحكـم سلـسلة التطـور الطبيعية ، وجينات هذا الكائن بشرية بالفعل ، ولكنها تبدو أشبه بجينات الإنسان الأول ، من حيث سماتها الوراثية .

سأله رجل الأمن ، فى توتر ملحوظ :

ــ من أى جانب ؟!

تبادلا نظرة صامتة ، ثم أجاب (جو) فى خفوت :

ــ نفضل أن نضع هذا فى تقرير رسمى ؛ لأنه ليس أمرًا سهل الاستيعاب .

بدا الغضب على وجه رجل الأمن ، وهو ينقل بصره بينهمـا مرة أخرى ، قبـل أن يقـول فى صرامة ، لم تنجح فى إخفـاء غضبه :

ــ لن تقولا إنه جاء عبر الزمن ، أليس كذلك ؟!

تبادل (جو) و(تروتسكى) نظرة أخرى ، قبل أن يقول الأخير :

ــ إنه احتمال ليس مستبعدًا ، نظرًا للتشابه الوراثى ، والتـشابه الشكلى أيضًا .

هم رجل الأمن بقول شىء ما ، ولكن (جو) اندفع يضيف :

ــ ولكنه ليس ما نعتقده .

سأله رجل الأمن فى عصبية :

ــ وما الذى تعتقدونه ؟!

قال (جو) فى حزم :

ــ الأمر لا يتوقف على ما نعتقده ، وإنما على ما نريده .

سأله فى عصبية أكثر :

ــ وماذا تريدان ؟!..

أجابه (تروتسكى) هذه المرة فى حزم :

ــ خريطة فلكية .

ابتسم (جو) ابتسامة شاحبة ، فى حين احتقن وجـه رجـل الأمن ، بمزيج من الدهشة والغضب والاستنكار ، وقال فى حدة :

ــ هل سنعود إلى هذا الحديث ؟!

أجابه (جو) فى تحد :

ــ إننا لم نتجاوزه أبدًا .

شعر الروسى أن الأمور ستتوتر ، فضغط على يد (جـــو) ، محاولاً تهدئته ، وقال لرجل الأمن :

ــ مهما كانت تصوراتكم ، فذلك الكائن ، أيًّا كانت ماهيته ، لن يحتاج إلى الخريطة لتحديد موقعنا ، ببساطة لأنه هنا بالفعـــل ، وكان يمكنه إرسال إشارة تحديد موقع ، عبر زيه شديد التطور ، والذى يحوى كل ما أشرت إليه .

بدت علامات التفكير على وجه رجل الأمن ، فى حين أضـــاف (جو) ولهجته مازالت تحمل تلك الرنة العصبية :

ــ إنه يحتاج إليها حتمًا ، ليرشدنا إلى المكان الذى جاء منه .

عاد حاجبا رجـــل الأمـــن ينعقـــدان ، فـــى تفكيـــر عميـــق ، و(تروتسكى) يقول :

ــ وهذا حتمًا سيصنع فارقًا كبيرًا .

نقل رجل الأمن بصره بينهما ، فى شك حذر ، ثم قال فى بطء :

ــ الأمر يحتاج إلى قرار ، من جهة أكبر :

سأله (جو) :

ــ هل ستعود إلى رؤسائك ؟!

أجابه فى سرعة :

ــ بالتأكيد .

قال (جو) فى بطء :

ــ عظيم ... لدى فى هذه الحالة رسالة ، أريدك أن تبلغهم إياها .

سأله رجل الأمن فى اهتمام :

ــ وما هى ؟!

مال (جو) نحوه ، وقال فى حدة :

ــ أخبرهم أن أفضل وسيلة ، لضمان فشل أية دراسة علمية ، هى أن تضعها فى يد الأمن .

احتقن وجه رجل الأمـــن ، وهـــو يتراجـــع بحركـــة حـــادة كالمصعوق ، وتابع (جو) ، وحدته تتصاعد :

ــ وأن الولايات المتحدة نفسها ، كادت تفقد تفوقها النووى ، عندما وضعت أحد جنرالاتها على رأس المشروع[*] ازداد احتقان وجه رجل الأمن ، وكاد يهم بالهجوم على (جو) ، لولا ما حدث ...

(*) حقيقـــة .

لقد ألصق (موجال) وجهه بالزجاج ، وقال شيئًا ما ، وهـــو ينقل بصره بين ثلاثتهم ...

ونقلت الأجهزة المتطورة ما قاله إلى الشاشات ...

واتسعت عينا (جو) فى ذهول ، وهو يقرأ ما تعنيه الكلمات ...

والواقع أن الأمر كان يستحق منه هذا الذهول ...

بكل معنى الكلمة .

* * *

13ـ عبر الكون ..

على الرغم من حالة التوتر ، التى سادت المكان ، مع انفعـــال (جو) ، لم يستطع هذا الأخير ، لأكثر من دقيقة كاملة ، إجابـــة تساؤلات (تروتسكى) ورجل الأمن ، حول مـــا شـــاهده علـــى الشاشة ...

كان الأمر بالنسبة إليه مذهلاً ...

بحق ...

وعندما نجح أخيرًا ، فى تجاوز هذه الحالة ، التفـــت إليهمـــا بوجه شاحب ، وهو يغمغم :

ـ لن تصدقا هذا !.

زادتهما عبارته انفعالاً ، فتساءل (تروتسكى) فى لهفة :

ـ ماذا قال بالضبط ؟!..

أما رجل الأمن ، فقد بدا عصبيًّا ، على نحو يخـــالف المعتـــاد منه ، وهو يمسك ذراع (جو) فى قسوة ، قائلاً فـــى عـــصبية صارمة :

ـ ما الذى أذهلك إلى هذا الحد ؟!

عاد (جو) يلتفت إلى (موجال) ، الذى تراجع فى ثقة عجيبة ، فعاد (جو) بعينيه إلى الرجلين ، قائلاً :

ـ كان يتحدث عنا .

انعقد حاجبا رجل الأمن فى شراسة ، وأمسك مـسدسه علـى نحو غريزى ، قائلاً فى عصبية :

ـ عنا ؟!

أومأ (جو) برأسه إيجابًا ، وقال بصوت متهدج :

ـ لقد سألنى : أأنت رجل أمن ، ونحن عالمان ؟!

اتسعت عينا الروسى فى انبهار ، والتفت إلى (موجال) بحركـة حادة ، مغمغمًا فى دهشة :

ـ حقًا ؟!

أما رجل الأمن ، فقد ازداد انعقاد حاجبيه ، وبدا أكثر شراسـة ، وهو يسحب مسدسه ، قائلاً فى حدة :

ـ قال : إننى رجل أمن ؟!

بدا (جو) غاضبًا ، وهو يهتف به :

ـ هل ستطلق عليه النار ؟!..

صوب رجل الأمن مسدسه إلى الحاجز الزجاجى ، مجيبًا فـى قسوة :

ـ لو اقتضى الأمر ...

أمسك الروسى معصم رجل الأمن ، وهو يقول :

ـ لست أظنك سترتكب هذه الحماقة .

ولكن رد فعل رجل الأمن جاء سريعًا ..

وعنيفًا ...

لقد سحب معصمه من يد (تروتسكى) فى عنف ، ثم دفع هذا الأخير فى صدره بمنتهى القـوة ، ووثب إلى الخلف ، مصـوبًا مسدسه إليه ، وصارخًا :

ـ إياك أن تفعلها مرة أخرى .

سقط الروسى أرضًا ، وحدق فيه لحظات فى دهشة ، ثم نهض ، قائلاً فى غضب :

ــ إياك أنت أن تكررها .

بدا الأمر لحظة ، وكأنهما سيشتبكان معًا ، لولا أن حدث أمــر عجيب ...

لقد تحدث ذلك الفضائى مرة أخرى ...

تحدث فى هدوء عجيب ، وهو يشير إلى مسدس رجل الأمن ...

وعلى شفتيه بدت ابتسامة ...

أو هو شبح ابتسامة ...

وبكل عصبية الدنيا ، التفت إليه رجل الأمن ...

أما (جو) و(تروتسكى) ، فقد اندفعا نحو الــشاشات فــى لهفة ...

وبينما يصوب رجل الأمن مسدسه إلى الكائن فــى غــضب ، ترجم (جو) الرسالة ، وهو يقول فى انفعال :

ــ أهذا السلاح البدائى ما يستخدم رجال الأمن هنا ؟!..

لم يكد رجل الأمن يسمع العبارة ، حتى قال فى غضب :

ــ بدائى ؟!... هل يصف مسدسى بأنه بدائى ؟!..

لم يبد على (موجال) أدنى تأثر ، من المسدس المصوب إليه ، فى حين قال (جو) فى توتر :

ــ ربما هو كذلك ، من حيث أتى !

لوح رجل الأمن بالمسدس ، وهو يقول فى غضب :

ــ أخبره أن هذا السلاح البدائى ، قادر على قتله فــى لحظــة واحدة ، برصاصة بدائية بسيطة.

قال (تروتسكى) فى قلق ، وهو ينقل بصره بــين الفــضائى ورجل الأمن :

ــ من المؤكد أنه لا يقصد السخرية منك .

صاح به رجل الأمن فى حدة :

ــ انقل إليه ما قلته .

قال (جو) فى عناد :

ــ اخفض المسدس أولاً .

صاح رجل الأمن فى غضب صارم ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

ــ انقل إليه ما قلته ... الآن .

بذل (جو) جهدًا حقيقيًا ؛ للسيطرة على توتره ، وهو ينقـل العبارة للكائن ...

ولدهشة الجميع ، ابتسم (موجال) ...

ابتسم وكأنه يسخر مما سمعه ...

وبنظرة تنافس ابتسامة سخرية ، تطلع إلى المسدس ، ثم رفع بصره إلى رجل الأمن ، الذى احتقن وجهه بشدة ، وغمغم فـى غضب :

ـ أيها الوغد ..

نطق (موجال) شيئًا آخر ، ترجمه (جو) فى سرعة وتوتر :

ـ هذا حال رجال الأمن دومًا ... حتى فى وطنى كانوا كذلك .

غمغم (تروتسكى) فى اهتمام :

ـ كانوا ؟!..

أجاب (موجال) ، عبر شاشات الترجمة :

ـ كانوا مغترين بقوتهم ، متغطرسين بـسطوتهم ، متعـالين بأسلحتهم ، ولكن الشعب طور وسيلة للقضاء على كل هذا .

لم يكد (جو) ينقل العبارة ، حتى قال رجل الأمن فى غـضب حاد :

ـ أخبره أننى سأطلق النار على فمه ، لو نطق بحرف آخر .

قال (جو) فى حدة :

ـ وتخسر كل ما فعله رؤساؤك ، للحفاظ عليه ؟!

لم يجبه رجل الأمن ، ولكنه صوب مسدسه إلى (موجال) فى إحكام شديد ، فى حين واصل هذا الأخير نظرته اللا مبالية ، وإن بدا بصره شديد التركيز على زناد المسدس ...

وفجأة ، احتقن وجه رجل الأمن ...

احتقن على نحو مباغت ...

وراح يحتقن ...

ويحتقن ...

ويحتقن ...

أما يده الممسكة بالمسدس ، فقد ارتجفت على نحو عجيب ...

ارتجفت مرة ...

وثانية ...

ثالثة ...

وفى كل مرة ، كانت الارتجافة أكثر عنفًا ....

وقوة ...

وسرعة ...

ثم أخيرًا ، أفلت مسدسه ، وكأنه لم يعد قادرًا على الإمساك به ، وهو يهتف فى عصبية بالغة :

ــ أيها الوغد .

سقط مسدسه أرضًا ، فتألقت عينا (موجال) لحظة ، ثم خبتا ، وهو يتراجع فى هــدوء ، مع ابتسامة ظافرة ، فى حــين بــدت دهشـــة عارمة ، على وجهى (جـــو) و(تروتسكى) ، قبل أن يهتف الأخير برجل الأمن :

ــ ماذا حدث ؟!..

صرخ رجل الأمن ، فى عصبية شديدة ، وهو ينحنى ليلـــتقط سلاحه :

ــ أخبرنى أنت .

كان يلمس سلاحه فى حذر شديد ، وكأنه يخشى شيئًا ما به ، ثم لم يلبث أن أطمئن إليه لسبب ما ، فالتقطه بحركـــة حــادة ، و(جو) يسأله :

ــ ماذا أصاب سلاحك ؟!...

قال رجل الأمن ، وهو يعتدل فى تحفز :

ــ ذلك الوغد فعل به شيئًا ما .

سأله (جو) :

ــ مثل ماذا ؟!..

أجابه فى حدة :

ــ أشعله .

تساءل (تروتسكى) مندهشًا :

ــ أشعله ... أشعل ماذا ؟!...

بدا رجل الأمن شديد العصبية ، وهو يجيب :

ــ لقد ارتفعت درجة حرارته ، حتى لــم أعد قـادرًا علــى الإمساك به .

ثم هتف مستطردًا :

ـ لقد فعلها بوسيلة ما .

هتف (جو) مبهورًا :

ـ كيف ؟!..

صرخ رجل الأمن ، وهو يلوّح بمسدسه فى وجه (موجال) :

ـ سله .

حدق فيه (جو) لحظات فى دهشة ، ثـم أدار عينيـه إلـى موجال ، الذى بدا شديد الصرامة ، وهو يقول شىء ما ...

جملة قصيرة ، قالها فى حزم صارم ، ثم تراجع إلى الجـدار فى بطء ...

وبسرعة ، نقل (جو) بصره إلى الشاشات ...

ثم ارتجف جسده فى عنف ....

فقد كانت الترجمة تعنى عبارة قصيرة ...

ومخيفة ...

« سيفنى كوكبكم ... »

وكانت العبارة تكفى ليرتجف الثلاثة على الرغم منهم ... فى عنف .

* * *

بدا غضب واضح ، على وجه رئيس الجمهورية ، وهو يتابع تلك الأفلام والصور التى التقطتها كاميرات المخـابرات العامـة المصرية سرًا ، ومدير المخابرات إلى جواره ، يقول :

ـ ذلك الذى يسلمهم الأسلحة ، موظف فى السفارة الأمريكية فى (مصر) ، ويحمل جواز سفر ديبلوماسى .

غمغم الرئيس ، وصوته مع لهجته يشفان عن ذلك الغضب فى أعماقه :

ـ كلهم كذلك .

ثم اعتدل فى مجلسه ، وسأل مدير المخابرات فى حزم :

ـ هل تبينتم هدفهم ؟!..

أومأ مدير المخابرات برأسه مجيبًا :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .

ثم اتخذ وقفة عسكرية ، على نحو غريزى ، اعتاده من عمله السابق ، وهو يضيف فى اهتمام :

ـ إنهم يستهدفون ذلك الفضائى .

انعقد حاجبا الرئيس فى شدة ، وهو يتساءل فى توتر :

ـ وكيف يمكنهم معرفة مكانه ، أو حتى إنه على قيد الحياة ؟!..

قال مدير المخابرات فى سرعة :

ـ الأمريكيون ليسوا هينين يا سيادة الرئيس .

أومأ الرئيس برأسه ، وغمغم فــى خفــوت ، شــف عــن الاستغراق فى التفكير :

ـ نحن أيضًا لسنا كذلك .

استغرق فى التفكير بضع لحظات ، لاذ خلالها مدير المخابرات بالصمت التام ، ثم لم يلبث أن تمتم فى حذر :

ـ إننا نتابع خطواتهم ، ونحكم سيطرتنا عليهم ، و ...

رفع الرئيس عينيه إليه فجأة ، وهو يقول فى حزم :

ـ كــلا .

تراجع مدير المخابرات خطوة فى دهشة ، فمال الرئيس نحــوه ، مكملاً فى حزم أكبر :

ـ لن نسمح لهم بالعمل على أرضنا على هذا النحو .

تردد مدير المخابرات ، قبل أن يقول :

ـ لابد لنا من أدلة كافية يا سيادة الرئيس ، قبل أن نوقفهم ، فكما يعلم سيادتكم ، توجيه الاتهام إلى جهاز مخابرات ، يعنــى توجيه الاتهام بالتبعية إلى دولة كاملة ، يعمل جهاز المخــابرات عبرها ، واتهام دولى كهذا يحتاج إلى أدلة قوية حاسمة .

سأله الرئيس :

ـ وماذا عن حملهم أسلحة غير شرعية ؟!

تردد مدير المخابرات لحظة أخرى ، ثم أجاب فى حذر :

ـ ليست بالتهمة الكافية .

أشار الرئيس بسبابته ، مجيبًا :

ـ يمكننا أن نعتبرها مجرد بداية .

غمغم مدير المخابرات :

ــ بداية ؟!

أجابه الرئيس فى صرامة :

ــ عندما يصبحون فى قبضتنا ، سأجرى اتــصالى بــالرئيس الأمريكى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى صرامة ، امتزجت بالكثير من الغضب :

ــ وسيكون اتصالاً حاسمًا ... للغاية .

واعتدل مدير المخابرات مرة أخرى ...

وتألقت عيناه ...

فى شدة ...

* * *

لدقيقة كاملة أو يزيد ، ران على تلك القاعة صمت رهيــب ، والرجال الثلاثة يحدقون فى ذلك الفضائى ، بعيون اتسعت عــن آخرها ...

عين تحمل ذلك المزيج العجيب من الدهشة ...

والفزع ...

والخوف ...

والتوتر ...

وبشدة ...

أما (موجال) نفسه ، فقد بدا هادئًا أكثر مما ينبغى ، وهــو ينقل بصره بين ثلاثتهم فى بساطة ، كما لو أنه قد ألقى عبــارة عادية للغاية ...

« إنه جاسوس ... تمامًا كما توقعت ... »

هتف رجل الأمن بالعبارة ، وهو يلوح بمــسدسه فــى وجــه (موجال) فى عصبية شديدة ، فقال الروسى فى توتر :

ــ اخفض هذا السلاح ... إنك تزيد من توتر الموقف كله .

وهم (جو) بقول شىء ما ، ولكن الفضائى أشار إلى رجــل الأمن ، وهو يقول عبارة أخرى صارمة ، جعلت (جو) يبقــى كلماته فى حلقه ، ويلتفت فى لهفة إلى شاشات الأجهزة ، وهــو يقول فى انفعال ، مترجمًا العبارة :

ــ هكذا سيفنى كوكبكم .

قال رجل الأمن فى عصبية ، وهو يواصل التلويح بمسدسه :

– ماذا يقصد بقوله هذا ؟!... ماذا ؟!...

لم يبال (جو) ، وهو يسأل (موجال) ، عبر الأجهزة :

– ماذا تقصد بقولك هذا ؟!..

بدا الفضائى صارمًا ، وهو يشير إلى رجل الأمن ، قائلاً :

– أمثاله أفنوا كوكبى .

ثم التفت إلى (جو) ، مستطردًا فى لهجة ، بدت مريرة للغاية :

– وسيفنون كوكبكم أيضًا .

ترجم (جو) العبارات ، فاتسعت عينـا (تروتـسكى) فـى انبهار ، فى حين قال رجل الأمن فى عصبية :

– ماذا يعنى بأمثالنا ؟!... ماذا يعنى ؟!

غمغم (تروتسكى) ، وصوته مازال يحمل ذلك الانبهار :

– رجال الأمن .

التفت إليه رجل الأمن بحركة حادة ، وارتفع حاجباه فى لحظـة ، ثم عادا ينخفضان مع مسدسه ، وهو يتمتم ، وقد انكسر صوته على نحو ملحوظ :

– نحن ... نحن سنفنى كوكبنا .

تابع (موجال) حديثه فى حزم عجيب ، يمتزج برنة غضب ، وراح (جو) يترجم كلماته فى انفعال :

– إنهم يبدءون بفكرة الحفاظ على الأمن ، تمامًا كما فعلوا فى عالمى ، ثم يصابون بعدها بحالـة مـن الوسـواس القهـرى ، فيتعاملون مع كل ما حولهم باعتباره مسألة أمنية ، ويبالغون فى هذا المنظور رويدًا رويدًا ، حتى يصابوا بلوثة أمنية ، تجعلهـم يسعون لمنع أى شىء وكل شىء ، خشية أن يكون فيه خطر ما ، ومع هذه اللوثة تتوقف كل معايير الحياة ، أو تسير فى بطء قاتل ، حتى المشكلات الكبيرة ، لا يتم حسمها بالسرعة الكافيـة ؛ لأن الأمن يحكم كل شىء .

صمت ليلتقط أنفاسه ، ولهث (جو) بدوره ، مع شدة انفعالـه ، فى حين غمغم (تروتسكى) ، وانبهاره يتصاعد :

– رباه ! ... إنه صاحب فكر ثورى .

أدار الفضائى عينيه إلى رجل الأمن فى مقت ، قبل أن يتابع :

– على كوكبى ، تفاقمت لوثتهم الأمنية يومًا بعد يوم ، وصار كل شىء بالنسبة لهم عدوًا ، حتى الهواء الذى يتنفسونه ، حتى لم

يعد قومى يحتملون هذه اللوثة ، فبدأت الاضـرابات والثـورات والانقلابات ، وأريقت الدماء أنهارًا ، وسادت الفوضى العالم كله ، وصار العدو الأول هو رجال الأمن ، الذين لم يستوعبوا الموقف كعادتهم ، وتعاملوا معه بنفس المنظور الأمنى الهستيرى ، ثـم انتبهوا ، بعد فوات الأوان ، إلى أنهم وفقًا للتعداد ، أقلية ، مهما كان لديها من وسائل القمع والبطش ... وقبـل أن يـستوعبوا الدرس ، كانوا قد انسحقوا وبادوا ، وتصاعدت الفوضى إلى حد يستحيل قمعه أو السيطرة عليه ، فى غياب الأمن .

صمت (موجال) لحظات أخرى ، فهتف الروسى فى حمـاس وانفعال :

ـ إنه ثورى بحق ... رباه !... يالها من نظريـة اجتماعيـة مدهشة .

أما رجل الأمن ، فلم ينطق بحرف واحد ، وإن خفض يده أكثر ، حتى صار مسدسه محاذيًا لامتداد ذراعه وساقيه ، وبدا مصدومًا ، وهو يغمغم :

ـ الأمن ؟!

بدا (جو) شديد الانفعال ، وهـو يواصـل ترجمـة كلمـات (موجال) ، الذى عاود حديثه ، فى مرارة واضحة :

ـ من تبقوا على كوكبى ، أدركوا أنها النهاية ، فمولوا هـذه الرحلة ، حتى يعثروا على كوكب آخر ، يمكن الحياة على سطحه ، وخاصة بعد أن بدأ الفوضويون فى استخدام أسلحة شـاملة ، تدمر كل شىء .

سأله (تروتسكى) فى انفعال :

ـ وهل كان هذا الكوكب قريبًا ؟!..

زفر الفضائى فى توتر ، عندما ترجم له (جـو) العبـارة ، وأجاب فى مرارة شديدة :

ـ كان المفترض أنه أقرب كوكب إلينا ، ولم تنشأ الحياة عليه بعد ، وكان المفترض أن نصل إليه خلال شهور قليلـة ... كنـا سبع مركبات ، وفور خروجنا من كوكبى ، شـاهدنا انفجـارات رهيبة على سطحه ...

وخفض عينيه ، وحمل صوته كل مرارة الدنيا ، وهو يتابع :

ـ انفجارات تكفى لإفناء الحياة على سطحه تمامًا .

ران على الجميع صمت مهيب بعد أن ترجم (جو) العبـارة الأخيرة ، وعلى عكس كل التوقعات ، كان رجل الأمن هـو أول من تحدث ، متمتمًا فى صوت كسير وكأنمـا أصـابته قـصة الفضائى بطعنة مؤلمة :

ـ ألم تجدوا ذلك الكوكب صالحًا للحياة ؟!..

ترجم (جو) العبارة ، فهز (موجال) رأسه ، وأجاب فى أسى :

ـ لست أدرى ... لقد كانت مركبتنا الأخيرة فى الركب ، وذلك الانفجار أحدث ظاهرة عجيبة ...

راح يحرك كفيه وذراعيه على نحو انفعالى ، وكأنـه يـصف أمرًا مخيفًا ، ويقول فى انفعال شديد :

فقاعة كبيرة ، بدت وكأنها تطارد الركـب الفـضائى ، ولقـد حاولنا الفرار منها ، ولكنها أحاطت بنا ، و ...

صمت ، ولهث معه الجميع تقريبًا ، قبل أن يكمل فى مرارة :

ـ ووجدنا أنفسنا هنا ... وأنتم تطاردوننا .

غمغم (تروتسكى) فى انبهار شديد :

ـ فجوة زمنية مكانية .

تمتم (جو) :

ـ أو فجوة بين الأبعاد .

لم يستوعب رجل الأمن هذا أو ذاك ، فنقل بصره بينهما ، قبل أن يسأل فى خفوت ، لا يتناسب مع شخصيته :

ـ ما تفسير ما قاله بالضبط ؟!

تمتم (تروتسكى) مبهورًا :

ـ من الصعب حسم الأمر .

وأضاف (جو) :

ـ إلا إذا اتخذنا خطوة حاسمة .

سأله رجل الأمن فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

أجابه (جو) فى حزم :

ـ أحضر خريطة فلكية .

وفى هذه المرة ، لم يعترض رجل الأمن ...

على الإطلاق .

* * *

14 ـ هـزيمـة ..

فركت (إيناس) كفيها بمنتهى التوتر ، وهـى تتحـرك فـى عصبية ، داخل تلك الحجرة ، التى وضعوها داخلها ، منذ انتقلت إلى هذا المكان ...

كانت الحجرة شديدة الأناقة ، جيدة التهوية والتأثيث ، وعلـى الرغم من هذا لم تشعر داخلها بأدنى قدر من الارتياح ...

هذا لأنها ، من وجهة نظرها ، مجرد محبس ...

سجن ...

وبالنسبة لامرأة مثلها ، فالسجن ، حتى ولو كان مـن ذهـب خالص ، هو سجن ...

مكان لا يمكنها أن تغادره ...

أو تتجاوز حدوده ...

أضف إلى هذا أنه مكان مجهول تمامًا ...

بالنسبة إليها على الأقل ...

مكان لا تدرى أين هو بالضبط ؟!...

أين يقع ، على خارطة (مصر) ؟!..

بل وهل يقع بالفعل ، ضمن حدودها ؟!..

كان هذا الغموض يزيدها عصبية ، حتى إنها توقفت بحركـة حادة ، وصرخت وسط الحجرة :

ــ ماذا تفعلون بنا ؟!

لم تتلق جوابًا بالطبع ، فكررت فى عصبية شديدة :

ــ أخبرونى أين نحن ، وماذا تفعلون بنا بالضبط ؟!

لم يمض على تكرار صرختها دقيقة واحدة ، حتى لنفتح الباب ، ودخل منه ذلك الهادئ ، وهو يقول :

ــ ماذا أصابك سيدتى ؟!

صرخت فى وجهه بكل عصبيتها :

ــ لماذا تسجنوننا هنا ؟!

ارتفع حاجباه فى دهشة حقيقية ، وهو يقول :

ــ نسجنكم ؟!... من أعطاك هذه الفكرة العجيبة ؟!

هتفت فى عصبية أكثر :

ـ أية فكرة عجيبة ؟!... إننى محتجزة هنا ، فماذا تسمى هــذا ، إن لم يكن سجنًا ؟!

استمرت دهشته تغمر ملامحه ، وهو يجلس على مقعد مجاور للباب ، قائلاً :

ـ أسميه أسلوب حماية .

صرخت :

ـ من ماذا ؟!..

تطلع إليها الرجل لحظات فى صمت ، دون أن يفارقه هدوءه ، ثم قال :

ـ سيدتى ... هل يمكنك الجلوس قليلاً ؟!

أجابته فى عناد ، وهى تعقد ساعديها أمام صدرها :

ـ ليس قبل أن تشرح لى ما يحدث .

أشار بيده ، قائلاً بنفس الهدوء :

ـ ليس بإمكانى أن أشرح لك كافة التفاصـيل يـا سـيدتى ؛ فمعظمها يندرج تحت قائمة سرى للغاية ، وهى سرية مطلقــة ؛ لأنها تتعلق بالأمن القومى المصرى .

صرخت وتوترها يتضاعف :

ـ لقد سئمت هذه العبارات .

انعقد حاجباه فجأة ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ اجلسى يا سيدتى .

وعلى الرغم من توترها الشديد ، وجدت نفسها تطيعــه بــلا مناقشة ، وتجلس على مقعد فى مواجهته ، وأدهشها أن انخفض صوتها ، واكتسب نبرة أشبه بالضراعة ، وهى تقول :

ـ أخبرنى .... أرجوك .

ابتسم الرجل ابتسامة هادئة ، أزالت الكثير مــن صــرامته ، واستعادت ملامحه هدوء صوته ، وهو يقول :

ـ سأخبرك يا سيدتى ... سأخبرك كل ما فى استطاعتى.

التقطت أنفاسها ، محاولة السيطرة على مشاعرها ، فى حين مال نحوها ، وراح يخبرها ...

بكل ما فى استطاعته ...

* * *

بدا الرئيس الأمريكى شديد التوتر والعصبية ، وهو يـستقبل مدير مخابراته فى مكتبه البيضاوى فى البيت الأبيض ، ويـشير إليه ، قائلاً :

ـ لقد أنهيت لتوى محادثة سـرية خاصـة ، مـع الـرئيس المصرى ، ولم يرق لى معظم ما تبادلناه خلالها .

انعقد حاجبا مدير المخابرات الأمريكى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كيف يجرءون ؟!... يمكننا أن نوقـف صـفقات الأسـلحة الجيدة لهم ، و ...

قاطعه الرئيس الأمريكى ، فى عصبية أكثر :

ـ لقد ألقوا القبض على فريقك .

احتقن وجه مدير المخابرات ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يهتف فى صوت مختنق :

ـ ماذا ؟!... مستحيل ؟!... ومتى حدث هذا ؟!... لقد أرسلوا تقريرًا عبر الأقمار الصناعية ، منذ أقل من ...

قاطعه الرئيس الأمريكى ، مكملاً :

ـ اثنتى عشرة دقيقة .

غمغم مدير المخابرات الأمريكية ، وقد عقدت الدهشة لسانه :

ـ بالضبط .

مال الرئيس الأمريكى نحوه ، وقال فى غضب :

ـ يبدو أنه من الضرورى أن تراجعوا ما لديكم من معلومات ، عن قدرات المصريين ، وعن قدراتكم أيضًا ؛ ففى الأيام الأخيرة ، بدا لى أن (مصر) أشبه بفخ جرذان كبير ، كلما أرسلنا إليهـا رجالنا ، وحتى أفضل العناصر منهم ، كان علينـا أن نتفـاوض ونتنازل لاستعادتهم .

لم تحتمل ساقا مدير المخابرات الأمريكى حمله ، فترك جسده يسقط على أقرب مقعد إليه ، وهو يسأل فى صوت مختنق :

ـ ماذا طلب المصريون ؟!

أجابه الرئيس الأمريكى فى عصبية :

ـ أن نكف عن التدخل فى شئونهم .

غمغم مدير المخابرات :

ـ فقـط ؟!..

هتف الرئيس الأمريكى فى حدة :

ـ أكنت تريد ما هو أكثر من هذا ؟

صمت مدير المخابرات الأمريكى لحظات ، ثم غمغم فى توتر :

ـ لو أننا فى مكانهم لفعلنا .

غمغم الرئيس الأمريكى فى إحباط :

ـ بالتأكيد .

حاول مدير المخابرات الأمريكية أن يستعيد حبل الثقة ، وهو يقول :

ـ مازال بإمكاننا أن نمنع صفقات الأسلحة الجديدة عنهم .

أشار الرئيس الأمريكى بيده ، قائلاً فى حدة :

ـ هراء .

احتقن وجه مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ ولِمَ لا ؟!..

أجابه الرئيس فى حدة :

ـ لأن الصينيين ينتظرون هـذه الفرصة ، ويطمحون لهـا ، ولو توقفنا مرة واحدة عن تزويد (مصر) بصفقات الأسلحة المتفق عليها ، سيهرع الصينيون لمنحهم أضعافها ، وربما بلا مقابل أيضًا ، فقط ليربحوا ما سنخسره نحن بحركة حمقاء كهذه .

تراجع مدير المخابرات الامريكى كالمصعوق ، وهو يقول :

ـ حمقاء ؟!

أجابه الرئيس الأمريكى فى صرامة غاضبة :

ـ بالتأكيد ... فعلناها مـرة ، عنـدما سحبنا تمويل مشروع السد العالى ، فانقض السوفيت متلهفين ، وغاصوا فى المجتمع المصرى لسنوات ، ربحوا خلالها المنطقة كلها تقريبًا(*) . وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يميل نحو مدير المخابرات ، مستطردًا :

ـ هل ترغب فى تكرار هذا مع الصينيين ؟!

أجابه مدير مخابراته فى عصبية :

ـ مطلقًا بالتأكيد .

صمت لحظات فى إحباط ، ثم عاد يرفع عينيه إلى الرئيس ، قائلاً :

ـ لكن ، أيعنى هذا أننا سنتخلى عن تلك العملية ؟

(*) السد العالى : أكبر سدود (أفريقيا) يوجد جنوبى (أسوان) ، لتخزين الماء ، وموازنة الفيضانات المرتفعة والمنخفضة ، وتوليد الكهرباء ، وتحسين الملاحة فى النيل ، وضع الرئيس (جمال عبد الناصر) حجر الأساس له فى 19 يناير 1960م ، وبلغت تكاليف بنائه 213 مليون جنيه ، والتكاليف الإجمالية لما يترتب عليه 415 مليون جنيه .



زفر الرئيس الأمريكى فى ضيق ، وقال :

ــ يبدو أننا قد أسأنا التصرف فى هذا الموقف كله منذ البداية .

سأله مدير مخابراته فى دهشة :

ــ وكيف هذا ؟!

لوح الرئيس الأمريكى بيده ، مجيبًا :

ــ لقد استخدمنا غطرسة القوة ، منذ اللحظة الأولى ، ولم نحاول استخدام لغة العقل والتفاهم لحظة واحدة ... المصريون لا خبرة لديهم بشئون الفضاء ، ولكن تلك المركبة سقطت عندهم ، ونحن خبراء فى هذا المضمار ، ولكن المركبة لم تسقط عندنا ، وفى موقف كهذا ، كان ينبغى أن نلجأ إلى وسيلة واحدة .

ومال نحو مدير مخابراته أكثر ، وهو يضيف فى حزم :

ــ التعاون ... التعاون السلمى الإيجابى .

مضت لحظات من التعنت ، قبل أن يومئ مدير المخابرات الأمريكى برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

ــ هذا صحيح .

تراجع الرئيس الأمريكى فى ضيق ، فى حين تمتم مدير مخابراته مكملاً :

ــ ولكن السؤال الآن هو : ماذا يفعل المصريون الآن بما لديهم ؟!

وكان هذا هو السؤال بالفعل ...

ماذا يفعلون الآن ؟!...

ماذا ؟!

* * *

لم يتمالك (جو) نفسه من الارتجاف فى انفعال ، عندما أحضر رجل الأمن تلك الأسطوانة ، التى تحوى الخريطة الفلكية الرقمية ...

كانت خريطة ثلاثية الأبعاد ، يمكنك أن تتجول عبرها ، باستخدام منظار خاص ، وكأنك داخل مركبة فضائية ، تجوب عباب الكون ...

والأهم ، أنك تستطيع رؤية كل ما فيها ، من أية زاوية تشاء ...

وفى حالتهم هذه ، كان هذا شديد الأهمية ...

إلى حد لا يمكن تصوره ...

فذلك الفضائى جاء من كوكب آخر ...

وربما من مجرة أخرى ...

ووفقًا لما رواه ، هناك احتمال أن يكون قد أتى من بعد آخر ...

أو ربما حتى من زمن آخر !!..

والوسيلة الوحيدة ، لحسم هذا الأمر ، هى تلك الخريطة ...

وفى انفعال ، هتف (جو) :

ـ دعنا نريه إياها فورًا .

غمغم (تروتسكى) :

ـ لست أظن هذا سهلاً .

التفت إليه (جو) ، يسأله فى انفعال :

ـ ولم لا ؟!

أجابه فى حزم بارد :

ـ لأنه حتمًا لا يفهم أجهزة الكمبيوتر فى عالمنا ، فكيف سيمكنه التعامل معها ؟

انعقد حاجبا رجل الأمن ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ولم تنتبها إلى هذا سوى الآن ؟!..

غمغم (جو) فى توتر :

ـ هناك حتمًا وسيلة ما .

قال رجل الأمن ، وعصبيته تتزايد :

ـ اسمعا ... لقـد اتخذت هذا الإجراء على مسئوليتى الخاصة ، و...

قبل أن يكمل عبارته ، قاطعه (موجال) بعبارة ما ...

عبارة بدت هادئة ...

حاسمة ...

وحازمة ...

وفى عصبية ، هتف رجل الأمن :

ـ ماذا يريد هذا الشىء ؟!

انتقل (جو) فى سرعة إلى الشاشات ، وترجم فى دهشة :

ـ لماذا لا تشركوننى فيما تتجادلون فيه ؟!..

هتف (تروتسكى) ، فى دهشة وانفعال

ــ هل يريد أن يشترك معنا ؟!

وهتف رجل الأمن فى حدة :

ــ مستحيل !

أحنقه أن تجاهله (جو) و(تروتسكى) تمامًا ، والأول يقــول ، عبر الأجهزة المتطورة :

ــ لدينا مشكلة خاصة بنظم التشغيل .

أشار الفضائى إلى الأسطوانة ، التى يحملها (جو) ، وتساءل فى اهتمام :

ــ أهذه الأسطوانة البدائية ، تحوى المعلومات المطلوبة ؟

قال (تروتسكى) فى دهشة :

ــ بدائية ؟!

ثم بدا شديد اللهفة والحماس ، وهو يستطرد :

ــ ما الذى يستخدمونه إذن فى كوكبه ؟!

نقل (جو) السؤال إلى (موجال) ، الذى أجاب فى سرعة :

ــ نوع من الجيلاتين الحيوى ... علماؤنا كشفوا أن ســرعة انتقال البيانات ، عبر الخلايا الحيوية ، أسرع بألفى ضعف علــى الأقل ، من انتقالها عبر الجوامد[*] .

كان الانبهار يبدو واضحًا ، على وجهى (جو) و(تروتسكى) ، فهتف رجل الأمن فى توتر غاضب :

ــ هل سيستخدم البرنامج الفلكى أم لا ؟!

لم يترجم (جو) هذه العبارة ، أو لم يمهله (موجال) وقتًــا لترجمتها ، وهو ينظر إلى رجل الأمن ، قائلاً :

ــ أخبر رجل أمنك أننى قد درست كيفية التعامل ، مــع تلــك الأشياء البدائية .

ثم استطرد ، وملامحه تحمل لمحة ساخرة :

ــ رجال الأمن لا يختلفون فى طبيعتهم ، مهما اختلفت عوالمهم .

لم يحاول (جو) ترجمة العبارة ، وهو يعاون بعض الرجال فــى المكان ، على نقل شاشة كبيرة ، مع جهاز كمبيوتر حديث ، إلى قفص (موجال) الزجاجى ، وترك الأسطوانة أمامه ، وهو يقول :

ــ أتعشم أن تفيدنا .

(*) حقيقــة .

ربما لم يفهم الفضائى العبارة جيدًا ...

أو لم يستوعبها ...

أو ربما تجاهلها تمامًا ...

ولكنه ، وفى كل الأحـــوال ، تحسس الأسطوانة فى حذر ، ثم التقطها ، ووقف يتأمل جهـــاز الكمبيوتر قليـــلاً ، فى شىء من الامتعاض ، قبل أن يسأل :

ــ أيها زر التشغيل بالضبط ؟!

أرشده (جو) إلى كيفية ومكان وضع الأسطوانة ، وهو يغمغم :

ــ بعد إدخالها ، سيقوم الكمبيوتر بالعمل كله .

بدأ البرنامج عمله تلقائيًا بالفعل ، وارتسمت الخريطة الفلكية الرقمية على شاشة الكمبيوتر الكبيرة ...

ولثوان ، بدا الفضائى مندهشًا لرؤيتهـــا ، ثـــم لـــم يلبـــث أن تحسس أزرار الكمبيوتر فى حذر ، ثم راح يـــستخدمها لتحريـــك المشهد ، والغوص عبره ...

ولقد بدا ، فى تلك اللحظات ، شديد الذكاء بالفعل ...

فعلى الرغم من أنه يتعامل مع جهاز ينتمى إلى كوكب آخـــر ، وحضارة أخرى ، فقد نجح فى فهمه واستيعابه ، فى سرعة كبيرة .

وبسرعة ، اكتسبت أصابعه الثقة ...

والمهارة ...

وفى صمت تام ، راح الرجال الثلاثة يتابعونـــه ، ويتـــابعون شاشة الكمبيوتر الكبيرة ، وحركة الفضائى عبر الكواكب ...

والمجرات ...

والفضاء ...

ولقد بدا ، وهو يفعل هذا ، شديد التوتر ...

شديد الارتباك ...

وشديد العصبية ...

ثم فجأة ، وبكل انفعاله ، التفت إلى (جو) ، متسائلاً :

ــ أين كوكبك هنا ؟!

ترجم (جو) العبارة ، فهتف رجل الأمن فى صرامة :

ــ إياك أن تخبره .

ولكن (تروتسكى) قال فى سرعة :

ــ هل ترى ذلك النجم فى الركن ؟!... إننا ثالث كوكب يدور حوله .

هتف رجل الأمن فى غضب :

ـ أيها الأحمق !

قال (جو) فى عصبية :

ـ أتظنه يجهل هذا ؟!

صاح رجل الأمن فى حدة :

ـ لقد سأل أيها العبقريان .

كانت صيحته مثيرة للاهتمام بالفعل ...

لقد سأل (موجال) عن موضع الأرض ، وكأنه يجهله ...

أو كأنه يريد التيقن من شىء ما ...

وهذا بالفعل مثير للاهتمام ...

إلى أقصى حد ...

ولكن المثير للاهتمام أكثر ، هو رد فعل الفضائى ...

لقد حدق فى الأرض ، على تلك الخريطة الرقمية الفضائية ، لبضع لحظات ، حملت ملامحه خلالها مزيجًا عجيبًا ، من الدهشة والاستنكار ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

بدا (تروتسكى) شديد الاهتمام ، وهو يسأل :

ـ ولماذا مستحيل ؟!

واصل الفضائى دهشته واستنكاره لبضع لحظـات ، قبـل أن يقول فى عصبية واضحة :

ـ إننى أحفظ تلك الخريطة عن ظهر قلب .

سأله (جو) :

ـ وماذا فى هذا ؟!

عاد (موجال) يهز رأسه فى حدة ، وهو يقول :

ـ لا توجد أية حياة عاقلة ، على ذلك الكوكب ، الذى تشيرون إليه .

قال (جو) فى دهشة :

ـ بِمَ تصفنا إذن ؟!

التفت إليه الفضائى فى اضطراب شديد ، وعـاد يحـدق فـى الخريطة الفلكية على الشاشة ، ويقول ، وكأنما يحادث نفسه :

ـ إننى أعرفه جيدًا ... أعرفه منذ طفولتى ... هنـــاك فقـط مخلوقات ضخمة ، وطبيعة ثائرة غير مستقرة .

غمغم رجل الأمن ، فى عصبية شديدة :

ـ أى قول أحمق هذا ؟!

أجاب (جو) ، ما بين الدهشة والانبهار :

ـ إنه يصف كوكب الأرض ، كما كان منذ ملايين السنين !

قال رجل الأمن ، فى عصبية أشد :

ـ هذا مستحيل !

وهنا قال (تروتسكى) :

ـ بل إنه منطقى تمامًا ... ولدى تفسير علمى له أيضًا .

والتفت إليه (جو) ورجل الأمن فى سرعة ...

فقد كانت عبارته مدهشة ...

بحق ..

* * *

15 ـ من هناك جاء ..

علت ابتسامة واثقة شفتى مدير المخابرات المصرية ، وهـو يقول لرئيس الجمهورية :

ـ أظنها أسرع عملية كبيرة فى تاريخنا ، يا سيادة الرئيس .

وافقه الرئيس المصرى بإيماءة من رأسه ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ لم يكن ذلك سهلاً .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس ... أحداث عديدة توالـت ، فـى وقت قصير للغاية ، حتى أن معظم المواطنين قد لا يشعرون حتى بحدوثها ، ولقد أصدرنا بيانات رسمية ، تتوافق مع الأحـداث ، وعلى نحو قادر على خداع الصحافة نفسها .

سأله الرئيس فى اهتمام :

ـ وماذا عن الهجوم الإسرائيلى ؟!

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

ـ البيان الرسمى قال إنها تحركـــات إســرائيلية محــدودة ؛ لمطاردة بعض الفدائيين الفلسطينيين ، وحدث خلالهــا تجــاوز للحدود المصرية الفاصلة .

قال الرئيس :

ـ ولقد أرسلنا برقية احتجاج رسمية للإسرائيليين .

أومأ مدير المخابرات برأسه ، قائلاً :

ـ هذا ما تضمنه البيان الرسمى أيضًا يا سيادة الرئيس .

هز الرئيس رأسه فى ارتياح ، ثم استعاد شيئًا مــن تــوتره ، وهو يقول :

ـ فى حديثى مع الرئيس الأمريكى ، أخبرنى أن مخابراته قد أبلغته معلومة مؤكدة ، تقول : إننا لم نــتخلص مــن الفــضائى والمركبة الفضائية حقًا ، ولكننا مازلنا نحتفظ بهما .

سأله مدير المخابرات فى قلق :

ـ وبِمَ أجبته يا سيادة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس ، مشيرًا بيده :

ـ لم أجب بأى شىء ... فقط طلبت منه فى غضب أن يكفــوا عن دس أنفهم فى شئوننا .

قال مدير المخابرات :

ـ هذا قد يعنى ردًّا بالإيجاب .

أجابه الرئيس فى صرامة :

ـ أو ردًّا بالسلب أيضًا .

غمغم مدير المخابرات :

ـ بالتأكيد .

ثم شد قامته ، وهو يضيف فى حزم :

ـ ولكن هذا يعنى إغلاق الموقف ... مؤقتًا على الأقل .

اعتدل الرئيس ، ومال نحوه ، يسأله :

ـ ولكن ماذا عن رجالنا ؟!... ما الذى توصلوا إليه ، بـشأن تلك المشكلة الفضائية ؟!..

التقط مدير المخابرات نفسًا عميقًا ، وأجاب :

ـ وفقًا لآخر ما بلغنى من معلومات ، يبدو أننا نوشك علــى تلقى مفاجأة يا سيادة الرئيس ... مفاجأة لم نتوقعها ... أبدًا .

« هذا الفضائى أتى إلينا ، من كوكب يبعد عنا ملايين السنوات الضوئية ... »

ألقى (تروتسكى) العبارة فى ثقة ، فى تلك اللحظة نفـسها ، فحدق فيه (جو) ورجل الأمن فى دهشة ، وقال الأول :

ـ أى قول عجيب هذا ؟!... السنة الضوئية هى مقـدار مـا يقطعه الضوء فى سنة كاملة ، ولو علمنا أن المسافة التى يقطعهـا الضوء ، فى الدقيقة الواحدة هى 299792458 مترًا ، فما بالـك بما يقطعه فى الساعة الواحدة ، أو اليوم الواحد ... هل يمكنـك والحال هكذا ، أن تتخيل المسافة التى يقطعها خلال عام كامل ؟!

أجابه (تروتسكى) ، فى لهجة تفوح برائحة التحدى :

ـ وهل يمكنك أنت أن تتخيل ، أن تلك الفقاعة ، التى تحَـدث عنها هذا الكائن ، قد نقلته عبر الزمان والمكان إلينا .

قال (جو) ، فى تحد مماثل :

ـ وحتى لو افترضنا هذا ، فكيف تفسر رصده لكوكبنا ، ووصفه له على نحو ، انتهى منذ ملايين السنين ؟!

هز (تروتسكى) رأسه فى وقار ، وقال :

ـ لاحظ أنهم على كوكبه ، كانوا يرصدون الصور التى تصلهم ، عبر عدة سنوات ضوئية ، أى أنهم فى الواقع ، يـرون عنـدهم ما خرج من الأرض منذ ملايين السنين ، ومن الطبيعى أن هـذا ما يرصدونه ، فى هذه الحالة .

كان التفسير علميًا تمامًا ، ولكن رجـل الأمـن عجـز عـن استيعابه ، فقال فى عصبية :

ـ أريد تفسيرًا يمكننى أن أورده فى تقريرى

التفت إليه الاثنان فى آن واحد ، وهتفا فى حدة :

ـ هذا ما ينبغى أن توردە فى تقريرك .

قال رجل الأمن فى صرامة :

ـ تقاريرنا لا تحوى استنباطات واستنتاجات ... إنها تحـوى الحقائق فقط .

أشار (جو) بسبابته ، قائلاً :

ـ وهذا ما نحاول التوصل إليه .

عقد (تروتسكى) كفيه خلف ظهره ، وقال فى حزم :

ـ إنه الحقيقة .... خذها منى واثقًا .

كان الفضائى ينقل بصره بينهما طوال حديثهما ، فـى تـوتر ملحوظ ، ثم لم يلبث أن تدخل قائلاً فى حزم :

ـ لماذا لا تشركوننى فى محاوراتكم ؟!..

ترجم (جو) العبارة ، ثم قال فى توتر

ـ أظنه على حق .

بدا رجل الأمن شديد التوتر والعصبية ، وهو يقول :

ـ هل سنستعين به ؟!

سأله (تروتسكى) :

ـ ولِمَ لا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ لأنه الـــ ...

بتَر عبارته دفعة واحدة ، وانعقد حاجباه فى شـــدة ، فأكمـــل (جو) فى عصبية وضيق :

ـ لأنه الخصم .... أليس كذلك ؟!

أشاح رجل الأمن بوجهه فى عصبية ، فى حين قال (تروتسكى) فى دهشة :

ـ خصم ؟! .. .. المفترض أنه لا خصوم هنا .

أجابه (جو) ، وهو يرمق رجل الأمن بنظرة مقت :

ـ هكذا رجال الأمن دومًا ... من لا يعمل لحسابهم فهو خصم ، فما بالك بكائن قادم من الفضاء الخارجى .

قال (تروتسكى) فى حدة :

ـ هذا تفكير مرضى .

بدا رجل الأمن محنقًا ، وهو يلتفت إليهما ، قائلاً فى حدة :

ـ هل سنواصل الحديث فحسب ، أم سنفعل شـيئًا فـــى هـــذا الشأن ؟!

تبادل (جو) و (تروتسكى) نظرة صامتة ، ثم قال الأول فى حزم :

ـ لقد أخبرك زميلى أنه من المفترض ألا يوجد خصوم هنا .

سأله رجل الأمن فى توتر :

ـ ماذا تعنى بهذا ؟!

أجابه بنفس الحزم :

ـ أن نستعين بصديق .

وقبل أن يستوعب الرجل ما يعنيه (جو) ، كان هذا الأخيـــر يقول للفضائى ، عبر وسائل الاتصال :

ـ زميلى لديه تفسير لموقفك ، أردت أن أعرفه حيث

والعجيب أن رجل الأمن لم يعترض ، و(جو) يشرح للفضائى نظرية (تروتسكى) ، و(موجال) يستمع إليه فى انتباه واهتمـام شديدين ، ثم لم يلبث أن هـز رأسه نفيًا ، فى قـوة وعصبية ، فغمغم رجل الأمن ، فى لهجة أقرب إلى الشماتة والسخرية :

ـ يبدو أنه يرفض نظريتك .

قال الروسى فى عصبية :

ـ إنها التفسير الوحيد .

ولكن (موجال) كان يتحدث على نحو عجيب فى هذه اللحظة ...

كان يتحدث فى انفعال ...

وفى عصبية ...

وكان من الواضح أن ما سمعه قد أثاره بشدة ...

وأنه ينفيه أيضًا ...

وبمنتهى الشدة ...

وفى اهتمام قلق ، سأله (جو) :

ـ ما تفسير ما رصدته فى كوكبك البعيد إذن ؟!

هز الفضائى رأسه نفيًا فى قوة ، وهتف :

ـ كوكبى ليس بعيدًا كما تتصورون .

انعقد حاجبا (تروتسكى) فى شدة ، وتساءل فى شىء من العصبية :

ـ هل تعنى أن كوكبك قريب منا ؟!

ترجم (جو) الكلمات للفضائى ، فأجاب فى عصبية :

ـ لقد أثارنى هذا وأدهشنى ، مثلما أثاركم وأدهشكم ، فقد كنت مثلكم ، أتصور أن كوكبى بعيد للغاية عنكم ، خاصة وأنكم أول وجود عاقل نرصده ، ولكن تلك الخريطة أصابتنى بارتباك شديد ، فكوكبى فى الواقع هو هذا .

قالها ، وهو يشير بسبابته إلى كوكب ما ...

وبمنتهى اللهفة ، اتجهت كل العيون إلى حيث أشار ...

ثم اتسعت عن آخرها فى ذهول ...

فقد كان من المستحيل تمامًا أن يأتى من ذلك الكوكب ، الـذى أشار إليه ...

من المستحيل تمامًا ...

تمامًا ...

* * *

« مستحيل !! ... »

هتف (تروتسكى) بالعبارة فى ذهول مستنكر ، وهو يحدق فى ذلك الكوكب ، الذى أشار إليه (موجال) ، فى حين اتسعت عينا (جو) عن آخرهما ، وهو يغمغم فى انبهار :

ـ المريخ ؟!..

هز رجل الأمن رأسه نفيًا فى عصبية ، وهو يقول :

ـ كاذب ... لا توجد حياة عاقلة على المريخ ... هذا ما أثبتته كل الدراسات .

غمغم (تروتسكى) ، ولم يفارقه ذهوله بعد :

ـ فى أى زمن ؟!..

التفت إليه رجل الأمن فى حركة حادة ، ولكن (جو) قال ، وكأنه يحدث نفسه الذاهلة :

ـ المريخ ... (مارس) كما يسميه القدامى ... أو (ميروز) كما أسماه هو ... المريخ الذى رصده راصدوه تمثال لوجه شبه بشرى على سطحه ، والذى تشير قنواته إلى أنه كان يومًا مأهولاً بمخلوقات عاقلة ، لم يكتب لها الاستمرار(*) غمغم (تروتسكى) مضيفًا :

(*) حقيقة علمية .

ـ أقرب الكواكب إلينا ، فى مجموعتنا الشمسية .

كان من الواضح أن (موجال) يتابع حديثهما ، ويستوعب جزءًا كبيرًا منه ، فقد قال عبر أجهزة الاتصال :

ـ عندما خرجت بعثة الإعمار من كوكبى ، كانت تستهدف كوكبكم ، باعتباره أقرب الكواكب إلينا ، وكانت لدينا خطة لجعله صالحًا لحياتنا ، خاصة وأنه كان يبرد تدريجيًا ، ويحوى غلافًا جويًا مناسبًا .

قال (تروتسكى) يحاوره :

ـ ولكن تلك الفقاعة الزمنية المكانية ، قفزت بكم ملايين السنين إلى المستقبل .

تمتم (جو) مضيفًا :

ـ إلى حاضرنا .

أشار (تروتسكى) بيده مكملاً :

ـ ولكن المركبات الباقية وصلت إلى الأرض

بدا (جـو) محتقن الوجـه ، وراح عرق بارد يتصبب على وجهه ، وهو يقول ، فى كلمات مرتجفة :

ـ من هنا كان التشابه ، بينك وبين ما وصفناه بالإنسان الأول على الأرض ... وتشابه صفاتك الجينية ، مع الصفات البشرية القديمة .

بدا رجل الأمن شديد الاضطراب ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! ... ما تقولانه مستحيل ! ... الحياة على الأرض لم تأت من كواكب أخرى .

أجابه (جو) كالحالم :

ـ ولكنها امتزجت بحياة من كواكب أخرى .

هتف رجل الأمن فى عصبية :

ـ لا يوجد دليل واحد على هذا .

أشار (تروتسكى) إلى (موجال) ، وقال :

ـ وماذا عن هذا الواقف أمامك ؟!

تضاعف اضطراب رجل الأمن وتوتره ، وهـو يحـدق فـى (موجال) ، قائلاً :

ـ لا يمكننى أن أورد هذا فى تقريرى .

قال (جو) فى خفوت :

ـ أهذا كل ما يهمك ؟!..

تمتم رجل الأمن ، وقد بدا كرجل بائس ضائع :

ـ لن يصدقنى أحد .

غمغم (تروتسكى) :

ـ هذه مشكلتهم .

ولم يجب رجل الأمن هذه المرة ...

فقط اتسعت عيناه عن آخرهما ...

وجف حلقه فى شدة ...

وسرت برودة قاسية فى أطرافه ...

ولما يزيد عن دقيقة كاملة ، بدا كالتمثال الرخـامى البـارد ، وهو يحدق فى (موجال) ، ويتساءل فى أعماقه :

ـ أهذا ممكن ؟!...

وظل تساؤله حائرًا فى أعماقه طويلاً ...

بلا جواب ...

* * *

« ومن يمكن أن يصدق هذا ... »

غمغم بها مدير المخـــابرات المصـــرية ، فى حضـــرة رئيس الجمهورية ، الذى هز رأسه ، قائلاً :

ـ وأنا الذى كنت أتصور أننى قد واجهت كل عجائب الحياة .

أشار مدير المخابرات بيده ، قائلاً :

ـ من الواضح أن الحياة لن تكف عن إدهاشنا أبدًا يا ســيادة الرئيس .

أومأ الرئيس برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .

ثم اعتدل يسأل مدير المخايرات فى اهتمام :

ـ ولكن ماذا سنفعل بذلك الفضائى ؟!

أجابه مدير المخابرات فى سرعة ، وكأنه أعد الجواب مسبقًا :

ـ من الواضح ، شئنا أم أبينا ، أنه أحـــد أســـلافنا ، وعلـــى الرغم من هذا ، فنحن مضطرون إلى إخفـــاء هـــذه الحقيقـــة ، وكتمانها عن الجميع بلا استثناء .

قال الرئيس فى حزم :

ـ هذا لا يجيب سؤالى ... ماذا سنفعل به ؟!..

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم أجاب فى بطء :

ـ سنحتفظ به .

اعتدل الرئيس ، يسأله فى صرامة :

ـ أتعنى أن نعتقله ؟!..

تردد مدير المخابرات لحظة ، ثم قال :

ـ ليس اعتقالاً بالمعنى المعروف ، ولكنه سيتعاون مع فريق من كبار العلماء ؛ لينقل إليهم كل معلوماته ، وكل ما يعرفه عن زمنه ، وتاريخه ، وتكنولوجيا عصره ... وحتى عـــن كوكبـــه ، قبل أن يصيبه ما أصابه .

لوح الرئيس بيده ، قائلاً :

ـ وما سيصيبنا ، لو واصلنا التفكير بهذا الأسلوب .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا فى صرامة :

ـ أليس هذا ما حذرنا منه ؟!..

صمت مدير المخابرات طويلاً ، قبل أن يجيب فى بطء :

ــ حتى لو علمنا يا سيادة الرئيس ، فمع التحديات والمخـــاطر ، التى تحيط بنا ، لست أظننا نمتلك الخيـــار ... لا ســـبيل أمامنـــا سوى مواصلة أسلوبنا ، بغض النظر عما قد يقودنا إليه .

زفر الرئيس فى توتر ، وهز رأسه ، وكأنه مضطر لقبول هذا الجواب ، ثم عاد يسأل فى اهتمام :

ــ وماذا عن أولئك المدنيين الذين استعنا بهم ؟!..

أجابه مدير المخابرات فى حسم :

ــ لقد وقعوا إقرارًا ، يمنعهم من البوح بحرف واحد يا سيادة الرئيس .

قال الرئيس فى ضيق :

ــ المدنيون لا يجيدون كتمان الأسرار .

قال مدير المخابرات فى حزم :

ــ وحتى لو باحوا يا سيادة الرئيس

صمت لحظة ، ثم أضاف بابتسامة هادئة واثقة :

ــ فمن سيصدقهم ؟!..

قالها ، واتسعت ابتسامته ...

كثيرًا ...

* * *

ثلاثة شهور مرت على ذلك اليوم ، عندما سارت (إينـــاس) مع (جو) فى شوارع مدينة (الرحاب) ، وهى تتأبط ذراعه ، وتتشبث به فى قوة ، وكأنها تخشى أن تفقده ، ولاذ هو بصمت تام ، وهو يسير معها إلى منطقة المطاعم ، حيث جلـــس لفيـــف من أصدقائهما يتسامرون ...

وفور رؤيتهما ، هتف أحد الأصدقاء فى ترحاب :

ــ (جو) ... (إيناس) ... أين أنتما ؟!... افتقدناكما كثيـــرًا فى الفترة الماضية ... هل سافرتما إلى مكان ما أم ماذا ؟!...

لم تجب (إيناس) ، وهى تزداد تشبثًا بــ (جو) الذى غمغم :

ــ تقريبًا .

كانت أول مرة ينضمان فيها إلى أصدقائهما ، فى تلك النزهات الليلية ، منذ عادا من ذلك الموقف ، ولقد لاذ كلاهما بصمت تـــام ، حتى بعد حضور (عماد) و(أشرف) اللذين شاركاهما صحبتهما ،

فى حين راح الآخرون يضحكون ويتسامرون كالمعتـاد ، حتـى هتفت إحدى الصديقات فى حماس :

ــ انظروا ... إنه شهاب كبير ... والدتى أخبرتنى أن أتمنـى أمنية ، كلما رأيت واحدًا .

أطلق صديق آخر ضحكة كبيرة ، وقال :

ــ وماذا لو أنهم غزاة من كوكب آخر ؟!... ألم تشاهدى فيلم يوم الاستقلال ... أو حربَ الكواكب .

انفجر الجميع ضاحكين لدعابته ، فيما عدا (جو) و(إيناس) ، و(عماد) و(أشرف) .

فقط أربعتهم تبادلوا نظرة صامتة متوترة ، وفى عقل كل منهم يدور سؤال واحد فى إلحاح ...

تُرى هل هناك من يمكن أن يصدق روايتهم ؟!...

هل ؟!...

* * *

(تمت بحمد الله)



رد ... ووسيلة .... وانطلاق

أصدقائى .... أصدقاء الورق ...

للموسم الثانى ، أجريت (مسابقة د. نبيل فاروق لأدب الخيال العلمى للشباب) ....

وللموسم الثانى ، كانت ناجحة ...

والمسابقة هى تعبير منى عن رد الجميل ، لكل من ساعد على نشر روايات الخيال العلمى فى المنطقة العربية ، وعلى كل مـــن شجّعها بالقراءة والمتابعة والاهتمام ....

وهى فى الوقت نفسه وسيلة ...

وسيلة ؛ لخلق جيل جديد من الشباب ، المهتم بكتابات الخيال العلمى ، والموهوب فى هذا المضمار ، والذى يبحث عن فرصة لإبراز موهبته وصقلها ، ونشرها ليقرأها الجميع ...

وهى فى النهاية نقطة ...

نقطة انطلاق لمستقبل ...

مستقبل للشباب ....

وللخيال العلمى ...

ولمصر ...

كما دومًا أتمنى . د. نبيل فاروق

الفائزون فى الموسم الثانى

من مسابقة دكتور نبيل فاروق لأدب الخيال العلمى للشباب

أصدقائى ....

الواقـــع أنه ، وكالمعتـــاد ، لم يكن الأمـــر ســـهلاً ، ولم يكن الاختيار بسيطًا ....

الأعمال كانت ، فى معظمها جيّدة ، والاختيار بينها كان عسيرًا .. لذا كان على هيئـــة التحكيم أن تضع بعض القواعد للاختيار ....

ودون الدخول فى التفاصيل ، فالأعمال التى فازت هذه المرة ، كانت مختلفة ... مختلفة فى أسلوبها ، وأفكارها ، ومضمونها ...

شكرًا خاصًا للأستاذين الأديبين (محمد فتحى) و(د. تامر إبراهيم) ، اللّذين اقتطعا من وقتهما ما جعلهما ، أفضل محكّمين لهذا الموسم من المسابقة ....

وشكرًا خاصًا لـــ (إيناس سامى) و(محمد عبد الرحمن) ، على تعاونهما الدائم المثمر ...

وشكرًا لكل من ساهم بأعماله فى الموســم الثــانى للمسابقة ، وتمنياتى للجميع بفوز قادم إن شاء الله ....

وتهنئة من القلب ، للفائزين فى الموسم الثانى للمسابقة .... مبروك ....

الفائز الأول : عبد الصــمد الغزوانى (المغرب) عن قصة : (كهف حر) .

الفائز الثانى : إسلام مصباح عبد المحسن (مصر) عن قصة : (بذرة الحياة) .

الفائز الثالث : محمود محمد محمود عبد الحليم (مصر) عن قصة : (١٩٤٥) .

الأعمال الفائزة

كهفٌ حرّ :

* * * *

نتحدث عن المستقبل ، عن زمــن تحــول كــل شىء فيه إلى اللون الرمادى المتألق ، الإشارات والحركات فيه بصوت الأزيز ، بشكل الأرقام ، وبوتيرة سريعــة جــدًا . أما البشر ، فيلبسون أشياء غريبة براقة ويسيرون هنا وهناك عند ذلك الشارع الأغرب ، شارع به أشياء بحجم السيارات ولكنها تختلف عنها كليا ، ألوانها البراقــة ، سرعاتهــا ، أشكالهــا ، بل حتى فى مساراتها الغريبة ، لكنها كلها كانت تشترك مع بعضها فى صفة واحدة .. التألق . كما أن وراءها نظــامًا إلكترونيًا محكمًا ، وهذا ما يفسر تلك السرعة الفائقة التى تسير بها ، وتلك المسارات الشديدة العشوائية .

نحن نتحدث إذن عن عام : 2182 م ، زمن صارت فيه للآلات والأرقام الكلمة العليا على كــل جوانب الحياة ، حتى على العقول !

* * * *

سيارة تسير بسرعة كبيرة جـدًا فى ذلك الشـــارع الطويل ، تستدير عند منعطف هناك ، فترى سيارة أخرى آتية من الاتجاه المعاكس ، تريد الاســتدارة مـــن نفس المنعطف هى الأخرى ، ليخيل إليك بعدها وكأن السيارة الأولى ستصدم الثانية وتنفجرا إلى شظايا ، ولكن كلا السيارتين توقفتا فورًا ، وتنافرتا بزاوية تقترب من القائمة ثم استأنفتا المسير بعد ذلك .

هكذا هى الأنظمة الطرقية لهذا الزمن ، نظام تم ابتكاره بعد دراسات مكثفة لنظام سير النمل فى ممالكهم .

تستمر السيارة بالمسير بسرعتها القصوى ، تمرق إلى جوار سيارتين أخريين ثم تخترق الشارع بشكل عرضى وتتوقف أمام ذلك المبنى الفضى البراق الشهير ، مبنى الجريدة الرئيسى فى البلاد .. (جريدة الحرية) .

كان المبنى فريدا من نوعه ، فقد كان عبارة عن طابق فى الأسفل على شكل مستطيل ، يعلوه طابق آخر ضخم يأخذ شكل حرف ح يتمايل مع نسمات الرياح التى تهب عليه من حين لآخر .

(جريدة الحرية) .. الجريدة الأشهر فى البلاد ، ذلك أنها متعددة التخصصات ـــ إن صح هذا التعبير ـــ المرئى والمسموع

والمكتوب . أروقة الجريدة مكيفة بشكل جيد وتتفجر فيها أضواء زرقاء وبيضاء مريحة . تلج إلى الداخل ، فتجد الغرفة الزرقاء المستديرة ، تجول ببصرك فيها بسرعة ، فتلاحظ عند أطرافها ، عددا من المواضع المستديرة الفضية تمتد الأرضية عندها لأعلى قليلاً ببضعة سنتيمترات ، تعلو كل واحـد منها ، عند السقف ، دائرة تضىء باللون الأحمر . أما بالنسبة للسقف ككل ، فقد كان يتموج كله كسطح بحر . تلك المواضع على الأرضية مع الدوائر التى تعلوها تشكل وسائل انتقال آنى نحو الأعلى حيث توجد مكاتب الموظفين . تحدق بتمعن أكثر ، فتلاحظ فى صدر المكان ، على الحائط الذى يواجهك ، حـــواف باب غيـــر مرئى ، تضىء بلون برتقالى . إنه الباب الذى يفضى إلى وسيلة الانتقال الآنى الخاصة بمدير الجريدة شخصيًا . تقترب من ذلك الباب ، تلاحظ أن حوافه البرتقالية شرعت تمتد للباب نفسه كما لو كانت تلتهمه لتبدو وراءه حجرة تكسوها إضاءة برتقالية دافئة ، تتسع لشخصين أو ثلاثة . تقف فوق ذلك البروز فى وسط المكان فتشعر به وقد انضغط لأسفل كزر ضخم ، تنتظر قليلاً فتشعر ببرودة وانتعاش غريبين يقترنان لدى كل من يغوص تحت سطح البحر ، تنتهى بقشعريرة باردة تشمل جسدك كله فتشعر بعدها

بنشاط غامر . إنه بروتوكول متبع فى كل أمكنة العمل تقريبًا فى هذا الزمن ، والغرض منه إزالة أى أثر للتعب من لدى العاملين .

أنت الآن فى حجرة مكتب مدير الجريدة ، كانت مظلمة تمامًا . تسير ببطء على أرضية الحجرة قليلاً فتشعر بقدميك وكأن هناك من يقوم بتدليكهما ، لتشعر بعدها بانتعاش غامر يمتد من أطراف أصابعك وصولا إلى قمة رأسك . فجأة ينحسر شعورك بنفسك لسطوع ذلك الضوء ، تلتفت إليها فتجد عندها وجه رجل اشتعل رأسه شيبًا ، دون الحجرة التى مازالت تغرق فى الظلام . تحملق فى وجهه فتتوتر لنظرة عينيه التى تنكمش لها جبهته . كان وجه مدير الجريدة ، كان يطالع ورقة ما أمامه ، و يبدو أنه غاضب من شىء ما . كانت ورقة خاصة من أوراق هذا الزمن ، تجمع فى خواصها رقائق إلكترونية مجهرية ، تجعلها قابلة لأن تتفاعل مع العديد من الأجهزة الإلكترونية .

تتوقف ببصرك عند تلك الورقة وهى بين يدى المدير ، الذى حدق فيها للحظة فى اهتمام مشوب بقلق خفى ، ثم لم يلبث أن أزاح أصابعه وترك الورقة واقفة فى الفراغ قبل أن يضربها برفق بأنامله فنزلت بانسياب وسلاسة والإضاءة تنتقل معها إلى أن

وصلت إلى رزمة من أوراق شبيهة بها فوق المكتب ، واستقرت فوقها ، فيما بدت على تعابير وجه المدير نظرة تمزج بين الغموض .. والغضب !

* * * *

كنا نسير بخطوات سريعة قاصدين الغرفة الزرقاء فى الجريدة التى تقع أسفل مكاتب الموظفين ، أنا و(عفاف) خطيبتى وزميلتى فى العمل . أرسلت لها فـكرة مفـادها ــ لا تقلقى ، عقولنا فى أمان ــ فارتاحت ثم قالت :

ــ « لذلك أرتاح حينما أحادثك .. »

قلت لها معاتبًا :

ــ « فقط أيتها البراجماتية ؟! »

لكزتنى بمرفقها وقالت :

ــ « هناك سبب آخر ، ولكنى لن أخبرك به أبدًا .. »

ابتسمت وأرادت أن أعلق على كلامها إلا أنها توقفت فجأة وقالت :

ــ « بالمناسبة ما تنـوى الإقـدام عليـه بالغ الخطورة ، بل وأعتبره بالغ الحماقة أيضًا .. »

قلت :

ـ « عزيزتى .. الأمر قـد أنجز بالفعـل ، تنقصه فقط بعض التفصيلات البسيطة لننتقل إلى المرحلة الأخيرة .. »

استأنفت (عفاف) مسيرها وهتفت ولكنة غضب بدأت تتسرب إلى صوتها :

ـ « منذ أن عرفتك وأنت بهذا التهور وهذه الحماقة ، لا تقدر عواقب ما تنـوى فعله ، لا تفـكر أنك تغـامر بنفسـك وبوظيفتك و ... وبى .. »

قالت كلمتها الأخيرة بصوت متهدج فأجبتها بلهجة هامسة :

ـ « صدقينى يا (عفاف) ، أنا أفعل كل هذا من أجلك ، ما قيمة كلينا فى هذا الجو المقبض ؟ لن يسعدك أن يتربى أولادنا فى سجن أليس كذلك ؟.. »

لم تجب .. فقلت :

ـ « ثم إنه ما قيمة وظيفتى لو لم أؤدها كما يجب ، أشعر وأنا أكبت ما بداخلى وكأننى أنافقها وأخدعها وأتلاعب بمبادئى وأراوغها .. »

قالت :

ـ « (جواد) ، أنت تعلم أن نظام الشرائح المعمم علينا هو سبب ما نحن فيه . أنت لا تستطيع أن تعلن ما تريد إذن فلا ذنب لك فيه !.. »

أجبتها :

ـ « لذلك تحدثت عن سجن عام ، وكالعادة لم يسلم منه سوى ذوى الأوداج المنتفخة ! .. »

قالت بلهجة مترددة متوقعة منى ألا أغفل ما سوف تقول :

ـ « ولكن لا تنس برامج الحماية ، هناك خصوصيات لا يمكن لأحد الاطلاع عليها .. »

لم أجب ، فقط شرعت أتطلع إليها وابتسامة واسـعة تغـزو محياى فأشاحت بوجهها عنى وأنا أقول ضاحكًا :

ـ « أنت نفسك غير مقتنعة بهـذا ، ما من برنامج إلا ولديه برنامج مضاد وأنت تعرفين هذا جيدًا . هؤلاء فى الأعلى يعرفون أننا نعرف بل وينتشون بذلك ، لأنهم يعلمون أننا لن نجرؤ على تحديهم .. »

تطلعت لى بعينين بهما نظرة ـ ربما عجز أو ضعف لا أدرى ـ وقالت بصوت خفيض :

ـ « وأنت تريد أن تتحداهم ؟.. »

أجبتها :

ـ « لست وحدى .. »

قالت :

ـ « وماذا لو أدركوا ما تنوى القيام به ؟.. »

أجبتها :

ـ « قلت لك لست وحدى ، هناك بؤر عديدة .. »

كنا قد وصلنا إلى الغرفة الزرقاء فوقف كل منا فى موضعه ، وقبل أن تومض الدائرة فوق رأسينا ليحدث الانتقال قالت دون أن تحدق فى وجهى :

ـ « إذن أنت تصر على ما تود فعله ؟.. »

قلت :

ـ « ليس لدى خيار .. »

تطلعت إلى عينى ، تطلعت إلى عينيهـا ، ثم حدث الانتقـال وظهر كل منا فى ذلك الفراغ المستدير بجانب مكتبه والذى يعلوه جزء بارز من الحائط يعلو بدوره رأس الواقف أسفله ، فاندفعت إلى مكتبى واندفعت هى إلى مكتبها دون أن يضيف أحدنا كلمة واحدة أمام أعين بعض الصحفيين الوقحة . كانت غاضبة منى ، أعرفها ، ولكنها تحبنى وأحبها ، كلانا يعلم ذلك ولكن خشيتها المبالغة على تدفعها دائمًا إلى إبعادى عن كل ما يمكن أن يثير أية مشاكل فى حياتى ، خصوصًا أنها تعلم أننى من ذلك النوع الذى لا يهمد أبدًا ، يتمرد على كل شىء يحيط به ، رغم أنها اعترفت ذات يوم أن تمردى ذاك هو سر جاذبية شخصيتى لأنه يضفى على نوعًا من الصلابة .

وصلت إلى مكتبى فى تلك اللحظة فانزاح مقعده جانبًا ، أردت الجلوس ، ولكن صوتـا هادئـا انبعث فى أرجـاء الغرفـة يقول :

ـ « المرجو من السيد (جواد موعود) التوجه إلى غرفة المدير .. »

شعرت ببعض التوتر ، رفعت رأسى إلى حيث (عفاف) فبادلتنى نفس النظرة القلقة . المدير يريدنى ، غالبًا ما يقترن استدعاؤه لى بالمتاعب ، أية مشكلة يخبئها لى هذه المرة ؟

* * * *

أنت و للمرة الثانية تلج حجرة مدير الجريدة ، لم تكن مظلمة هذه المرة ، بل كانت مختلفة تمامًا ، كانت شاسعة !! نعـم ، فالحجرة مزودة بتكنولوجيا خاصة تجعلك تراها دون حدود ، يبدو الأفق من بعيد عند طرفها المقابل لك ، آخذا لونًا أزرق ضبابيًا . والحيز من ورائك من حيث دخلت ، يبدو متألقًا بإضاءة بيضاء عند حوافه الأربع باديًا على شــكل باب مستطيل غير مرئى . إنه اللاحدود الذى يعنى اللاقيود .. كل موظفى الجريدة يعرفون هذا .

تجول ببصرك فى فضاء الحجــرة ، تجدنى واقفًا قبالة مكتب المدير ، الذى يعلو أرضية الحجــرة المضاءة بإضاءة فيروزية شاحبة ، كنت أشعر بتلك النسمات الهادئة تهب على وجهى أشعرنى بكثير من الانتعاش ، لكن هذا لم يدم إلا لحظة واحدة ، إذ فجأة ، اختفى ذلك النسيم ، وحصل ركود مقبض فى جو الحجرة ، فشعرت بتوتر يغزو أوصالى وبانقباض يجثم على روحى . تقدمت من المكتب الأبيض الذى تشع جوانبه المستديرة بلون مذهب من حين لآخر ، بحثت عن المدير وهلة من الوقت ، فبدأ لى قادمًا من بعيد فى الأفق الأزرق وكأنه يسيل ، رغم أن ساقيه كانتا تتحركان نحو الأمام . راقبته وهو يقترب من مكتبه ،

تطلعت إلى مقعده الفضى الخفى الذى برز من الفراغ ، ثم ثبت نظرى عليه وهو يجلس فى مقعده إياه قبل أن يتطلع إلى وجهى بشىء من الحدة وعبوس خفيف يصبغ ملامح وجهه . هتف :

ـ « ما الذى تخفيه بالضبط يا .. سيد (جواد) ؟.. »

لا يوجد أى تمهيد ، توقعت هذا . أجبته بهدوء :

ـ « لم أفهم قصدك يا سيدى ؟.. »

هتف وهو يلوح بكف يده اليسرى باتجاه كومة من الأوراق متراصة أمامه وباتجاهى فى نفس الوقت :

ـ « هذه الصورة المجهولة المصدر وصلت مكتبى منذ قليل . طالعها وستفهم ما أعنيه .. »

تزحزحت لتلويحة يده ورقة من مكانها وتوجهت بشكل متموج نحوى وبالضبط نحو أصابع يدى التى يغلفها قفازًا استشعاريًا خاصًا ، ولم تكد تصلها حتى اتخذت الوضعية المناسبة التى تجعلنى أمسكها رغمًا عنى . تطلعت إلى عينى المدير لحظات قبل أن أرفع الورقة الملتصقة بيدى ببطء وأطالع الصورة التى فيها مع عدة أسطر مكتوبة أسفلها . بعد هنيهة ، رسمت على وجهى نظرة باردة تطلعت بها إلى وجه المدير وقلت له :

ـ « لم أفهم ماذا تقصد بهذا يا سيدى .. »

اعتدل المدير بشكل عاصف حتى أن موجة ساخنة هبت علىّ من جهته وهو يهتف فى غضب :

ـ « ألم تفهم يا سيد (جواد) أن تلك الورقة تتحدث عن تنظيم سرى مهمته التمرد على نظام حماية العقول ؟ ألم تقرأ أن الورقة بها عدة دلائل تشير إلى تورطك أنت فى هذا الأمر ؟ هل ينبغى أن أقرأ أمامك الورقة كلها كى تفهم هذا ؟.. »

أجبتـــه :

ـ « سيدى ، ليست لدى أية صلة بــهذا الأمر الذى تتحدث عنه ، تلك الصورة الإلكترونية فى الورقة لا شأن لها بى ، ولا أظنكم ستتخذون من مجرد صورة قابلة للتزوير دليلاً ملموسا ضدى .. »

بهدوء عاد المدير إلى مقعده ، وبهدوء قال :

ـ « هذا يعنى أنك لا تمانع فى أن تخضع لعملية مسح عقلى !.. »

هذه المرة أنا من كست تعابير الغضب وجهه وأنا أقول ويداى تتحركان فى كل صوب :

ـ « هل ستخضعون صحفيًا فى أكبر وأشهر جريدة فى البلاد لأخطر عملية استجواب بما يتطلبه ذلك من فضح لكل أسراره

الشخصية ، فقط لمجرد شكوك لا تؤيدها سوى صورة لا أساس لها من الصحة ، ولا أساس قانونى لها ؟.. »

هتف المدير :

ـ « نحن نتحدث عن تنظيم ضد النظام ، هل تفهم ؟ ضد النظام ، وحينما تتوفر معلومات تفيد بوجود شىء يحاك ضده فنحن لا نلتفت إلى قانونية تلك المعلومات بقدر ما نلتفت إلى مدى صحتها .. »

الوغد .. أنه مصر . قلت :

ـ « قلت إننى لن أخضع لهذا المسح مهما حدث ، تحرى عن مصدر تلك الصورة وذلك التقرير السخيف المرفق بها وعن مدى قانونيتها أولاً ثم تحدث عن النظام الحاكم .. »

أراد أن يزيد من إصراره ، أراد أن يستخدم سلطته لإضفاء شرعية ما على ما يقودنى إليه ، إلا أننى أضفت فى خبث حاد :

ـ « ماذا لو اتضح مثلا أن هناك جهة ما متورطة فى التجسس على صحفى فى جريدتك ، ألن تكون أنت وقتها فى موقف حرج باعتبارك المسئول الأول عن أمن وخصوصيات موظفيك ؟.. »

شحب وجهه قليلاً وشعرت بهواء الحجرة يتذبذب حولى لوهلة وأنا أضيف :

ــ « ائتونى بأدلة أقوى من مجرد صورة سخيفة ، وساعتها لو ثبتت صحتها أنا أوافق على إجراء أية عملية تشاءون ، فلست ممن يرتجفون ذعرًا من مجرد تهمة باطلة فقط لأنها مقترنة بالنظام الحاكم .. »

قلتها وانصرفت من المكان تاركا المدير جالسًا وراء مكتبه بنفس الهدوء وتلك الصورة الإلكترونية مازالت عالقة فى ذهنى . كيف حصل هؤلاء الأوغاد على صورة كهاته ؟ لحسن الحظ أنه حتى الصور الإلكترونية فى هذا الزمن ورغم مزجها بخواص الورق مازالت قابلة للتزوير ، وإلا كان موقفى مستحيلا ! كيف استطاع أولئك الأوغاد تصوير ما يدور فى خلدى ؟ أنا أنوى فعلاً أن ألتقى بأعضاء المنظمة قريبًا ! من يا ترى صور هذا اللقاء فى عقلى قبل أن يقع ؟ من المحظور على أحد ــ ظاهريا على الأقل ــ أن يتجسس على موظفى الجريدة ، إذن من فعلها ؟! من الذى تجرأ وتجسس على عقلى ؟

* * * *

قبل أن يدور عقلك وأنت تحاول عبثًا فهم ما هنالك ، لابد من وضعك فى جو القصة أولاً ، وهذا يتطلب العودة قليلاً إلى الوراء للإحاطة بكل حيثيات ما نحن بصدده .

فمنذ خمسة وثلاثين عاما أى منذ عام 2147 م ، توصل عالمان عربيان صديقان ، أحدهما عالم نفسى وآخر عالم فى الإلكترونيات إلى اختراع يقضى بزرع شرائح ميكروسكوبية خاصة فى المخ البشرى تساعد على القضاء على كل الأمراض النفسية تقريبًا . وسادت أغلب الأوساط العلمية العالمية موجة من التفاؤل قابلت هذا الاختراع العربى العظيم . ومضت بضع سنوات هادئة من تطوير الاختراع ، وتم نشر الاختراع على مدى واسع فى العالم ، وظل كل شىء يسير على ما يرام طوال كل هذه المدة ، لكن فجأة بدأ مسار الاختراع ينحرف إلى جانب خطير جدًا ، جانب يمس أكثر الأعضاء حساسية لدى الإنسان .. أنه المخ . صحيح أن مجالاً جديدًا سمى بـ (الإلكتروعقليات) قد ظهر وانضاف لمجالات العلوم المعروفة ، لكن الهدف من ظهور الاختراع تغير تمامًا . فقد تحولت الشرائح المزروعة فى المخ إلى وسائل للمراقبة والتعدى على خصوصياته . ومع توالى السنوات ، تطورت تلك الشرائح المزروعة أكثر ، فتطورت معها وسائل مراقبة المخ أكثر بأن أضيفت إليها وسائل تعذيب مبتكرة تجاه كل من تجول فى تلابيب مخه فكرة لا تروق للنظام الحاكم ، هذه الوسائل تطورت أكثر فأكثر فأضيفت الشرائح نفسها قنابل

مكروسكوبية خاصة صنعت بتكنولوجيا النانو ، يتم تفجيرها من قبل خبراء جهاز (الإلكتروعقليات) الذى يسهر على مراقبة كل العقول ، وتحليل كل الأفكار التى ترده منها .

هكذا صارت أفكار الفرد تراقب وهى فى مهدها حتى قبل أن تخرج ، إذ كان يكفى لمن يتمرد على وضعه هذا ، أن يتم استجلاب أكثر شىء يثير رعبه من أعماق عقله وطرحه أمامه على شكل صورة إلكتروعقلية تثير فى نفسه أقسى درجات الرعب التى قد تصيبه بالجنون ، أو حتى تودى بحياته ، فيكون عبرة – لنفسه أولاً أن ظل حيًا – ولكل من تسول له نفسه أن يتمادى فى أية أفكار سوداوية مستقبلاً !!

لكن ، وككل نظام غير مرغوب فيـــه كان لابد من تمرد يشتعل هنا أو هناك من حين لآخر ، انتهت أغلبها بفقد أصحابها عقولهم وتلف أمخاخهم وازدياد القبضة الحديدية اعتصارا . إلى أن ظهرت تلك الفكرة !

شرطى مرور بسيط يدعى (سفيان أبو حماد) بينما كان يؤدى عمله الروتينى جالسًا فوق مقعد هوائى على الطريق يراقب السيارات المتدفقة أمامه ، إذ تهادى بتفكيره وراح يتأمل

فى تلك المنظومة المحكمة التى تسير عليها الخريطة الطرقية . تأمل فى تلك العقول البشرية الغائصة فى كل سيارة وفى ارتباطها ببعضها بشكل غير مباشر لارتباط السيارات مع بعضها البعض . ودون وعى منه سرح تفكيره إلى تخيل شبكة مشابهة تربط كل العقول البشرية على غرار شبكة الإنترنت التى امتدت إليها يد البشر وسيطرت عليها بمجموعة من القوانين كما سبق لها وأن سيطرت على حياة البشر بسن شبكات معقدة من القوانين المتعسفة أحالت كل شىء فى حياتهم إلى جحيم .

وعندما وصل بتفكيره إلى هذا الحد ، تساءل وقتها .. « ماذا لو أحدثت شبكة إنترنت عقلية ربطت كل العقول ببعضها البعض ؟ ألن يتسبب هذا فى انهيار مشروع حماية العقول ؟.. » ثم شرع يحلم بنظام إلكترونى متشعب ، يربط كل العقول بشبكة اتصالات متفرعة من عقل إلى عقل ، فتسهل نتيجة لذلك عملية انتقال المعلومات بينها ، فينتج عن ذلك انهيار لنظام حماية العقول تمامًا ، لاستحالة مراقبة تدفق المعلومات وقتها بين العقول وهى تتدفق بهذا الشكل المذهل . لكن أفكاره تلك تم التقاطها من قبل مركز (إلكتروعقلى) قريب وتم التحقيق معه بعدها ليجدوا أن أفكاره تلك ما هى إلا أمانى محضة ، فأطلقوا سراحه وأن فصلوه

من عمله . لكن الفكرة كانت قد وجدت ، وانطلقت واستقرت فى عقل آخر . عقلى أنا الصحفى الشهير فى جريدة الحرية .. (جواد موعود) !

ولأن الفكرة كانت عبقرية ، فقد صادفت هوى بداخلى وشرعت تتطور شيئًا فشيئًا إلى أن بدأت أفكر جديًا فى نقلها إلى حيز التنفيذ ، فقررت الاتصال بـــ (سفيان) نفسه .. صاحب الفكرة . ولأن هذا الأخير كان خاضعًا لرقابة صارمة فقد فكرت فى محادثته فى مكان آمن ، لذلك استدرجته إلى مكان محدد فى أطراف المدينة حيث تضعف الموجات العقلية للمركز بشكل كبير ، وجلسنا نتحدث بعد أن أعطيته سماعتين خاصتين مضادة لموجات التجسس .

هناك ، كان أول لقاء .. وأول لبنة فى مشروع ضخم أطلقنا عليه اسم (ضاد العكسى) ، كترميز للمشروع العربى الثانى المعاكس للمشروع العربى الأول الخاص بشرائح المخ ، وتكوين أول خلية فى تنظيم أسميناه بـــ (منظمة الحرية) . واستمرت لقاءاتنا أكثر وأكثر ، تم أثناءها الاتفاق على هيكل كامل به كل الخطوط العريضة للمشروع . هيكل يتكون من نظام إلكتروعقلى ضخم ومجموعة من الأفراد ومخبأ للتخفى .

بالنسبة للنظام ، فقد اتفقنا وقتها على الانطلاق من نسخة مصغرة من نظام بسيط كنت قد صنعته سابقا ، ويقوم على ربط ثلاث شرائح إلكترونية شبيهة بالشرائح المزروعة فى رءوسنا مع بعضها البعض ومراقبة تدفق المعلومات بينها .

وبالنسبة للمكان ، فبعد بحث متواصل ، وجهد جهيد ، عثرنا على كهف طبيعى بعيد ، تتوافر فيه كل شروط الأمن . فقد كان يوجد فى منطقة جبلية بعيدة جدًا ، محاذيًا لنهر من المياه الجوفية . هذا الكهف قمنا بتطويره أكثر ، وتجهيزه على نحو جيد ، فتم تغليف جدرانه بأغلفة شفافة خاصة مضادة للموجات العقلية ، كما تم تزويده ببعض الأجهزة الضرورية .

أما بالنسبة للأشخاص ، فقد كانت تلك هى النقطة الأصعب فى المشروع ، نظرا لارتباط عقول الجميع بمنظومة النظام الحاكم ، ولكى تحضر فردا منه لابد لك من إقناعه أولاً ومعرفة مدى تجاوبه مع المشروع وقبوله ثم بعدها إحضاره . وهـــذا يصعب تحقيقه جدًا دون أن يعـــرف مسئولو أجهـــزة اللاإلكتروعقليات بالأمر . لذلك لجأنا إلى وسيلة بدت قاسية للوهلة الأولى ، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة المتاحة . فقد وضعنا خطة محكمة أنا و(سفيان) وأخضعنا كل شخص نتبصر فيه القابلية لكى يقبل

الانضمام لمشروعنا لمراقبة دقيقة وقمنا بمراجعة ملفه وتحليله جيدًا قبل أن ننقض عليه مفقدين إياه الوعى ومشغلين فى نفس الوقت جهازًا خاصًا يحل محل عقله باثا مثل ما يبثه عقله من إشارات وموجات ، قبل أن نقوم باختطافه بعد ذلك .

بهذه الطريقـــة استطعنا إحضـــار عدد مـــن الرجال والنساء والفتيـــة ، وكلهم ــ تقريبًا ــ وافقـــوا على أهـــداف مشروعنا وتفهموا حيثية اضطرارنا لإفقادهم الوعى من أجل عرض الأمر عليهم ، عدى القليل ممن لم تصب تحليلاتنا بشأنهم ، الذين ملئوا الدنيا صراخا فاضطررنا إلى إطلاق سراحهم بعد أن حقناهم بمادة منومة وأسندنا كل واحد منهم على فراشه فيستفيق فى اليوم التالى معتقدا أنه كان فقط يحلم !

فى المخبأ ، تم تطوير البرنامج أكثر وتم تدريب العقول بشكل مكثف على عملية نقل المعلومات من مخ لآخر ، كما تم تطوير مجموعة قواعد معلوماتية وتحويلها إلى موجات إلكتروعقلية ودمجها بالنظام البسيط الذى صار يتطور أكثر فأكثر إلى أن صار من السهل ربط عقلين مع بعضهما بمجرد إطلاق النظام الإلكتروعقلى الذى أسميناه على اسم المشروع . « نظام (ض) العكسى » . صحيح أنه كانت به بعض الأخطاء فى البداية ، ولكن تكرار

التجربة مع زيادة عدد العقول المرتبطة مع بعضها وأيضًا ربط العقول فى ظروف نتحكم فى تغييرها كل مرة جعل عدد الأخطاء يكاد يختفى تقريبًا . فى الأخير حصلنا على نظام ضخم متكامل ومحكم . ولكن هذا لا يعنى أننـــا لم ندفع الثمن ، فقدْ فقدَ رجل وامرأتان عقولهم أثناء التجريب كما لقى شابان مصرعهما جراء تداخل عنيف بين الموجات الإلكتروعقلية لمخيهما . ولكن للحرية ثمنها ، كما أن كل الأفراد وافقوا من البداية بملء إرادتهم على المضى فى مشروعنا بعد أن شرحنا لهم كل العواقب المحتملة .

اكتمل المشروع ، وحان موعد إطلاقه . ولكن الأمر كان بحاجة لعدة بؤر ، من أجل نسخ النظام مع البرامج الملحقة به وتوزيعها على أفراد المنظمة الذين سينتشرون فى مساحة واسعة . لكن هذا لم يتم بعـــد ، وهكذا يتعقـــد الأمر بشـــكل يهدد بكشف المشروع وانهيـــاره بالكامل . فمدير الجريدة قـــد بدأ يحيطنى بشكوكه وأنا أعرف ذلك المتوجسس ، أنه لن يهدأ أبدًا قبل أن يجد أجوبة لكل الأسئلة التى تشتعل بداخل رأسه الأشيب .

* * *

قطعت تلك المسافة بين مكتب المدير وسط تلك الأنوار الهادئة إلى أن وصلت إلى الحجرة المستديرة حيث يجتمع كل موظفى الجريدة ثم جلست أمام مكتبى ، أمام حيرة الجميع الذين لم يعتادوا هذا التصرف الغريب منى وإن لم يجرءوا على محادثتى لأن تلك الأدوات الاستشعارية الخاصة التى أضيفت إلى بذلاتهم تجعلهم يستنبطون أن حالتى النفسية ليست على ما يرام . يقولون أن هذا الأمر يجعل الكل منصهرا فى بوتقة واحدة ، الكل يشعر بالآخر ويتعامل معه وفق ما يشعر به ويروق له . ولكنى أرى أن هذا أمر سخيف لا يطاق .

رفعت (عفاف) عينيها إلى وهتفت بصوت خافت وهى تضغط زرا مثبتا على ياقتها :

ـ « ماذا هناك ؟.. »

أردت أن أثور فى وجهها ، أردت أن أهتف بأى شىء يخرج ما بداخلى من انفعال ، لكنى لم أفعل ، فقط اكتفيت بالنظر إليها من بعيد وأنا أرمق فى غيظ ، النظرات الفضولية للموظفين الأوغاد ، ولسبب ما ضحك أحدهم ، ربما لأننى أبدو مضحكًا حتى فى لحظات الغضب . كررت (عفاف) قولها فى إصرار وهى تنظر فى عينى :

ـ « ماذا هناك يا (جواد) ؟ هل أقلقك المدير بشىء ما ؟.. »

ضممت شفتى فى غيظ مانعًا نفسى من الصراخ ثم أخذت شهيقا طويلاً وأخرجته على شكل زفرة حارة أطول رفعت رأسى وقلت للجميع :

ـ « ما بالكم أيها الأوغاد ، لا يوجد شىء ، فقط دعانى المدير الحضور إلى عرس ابنة أخت خالته من جهة الأم ، ولكنى رفضت الحضور ، فعاقبنى بأن خصم أربعة فى المائة من راتبى . هذا كل شىء .. »

قلتها فانساب مقعدى بى من أمام المكتب ، ثم انصرفت مغادرًا مبنى الجريدة أمام العيون المندهشة ، وبخطوات عصبية سريعة ، قطعت أروقة الجريدة ، قبل أن أخرج من بابها الرئيسى وأحدق فى ظل حرف الــ (ح) المتمايل على الأرض فخيل إلى أنه يعكس إلى حد كبير حالتى النفسية غير المستقرة . كنت قلقًا جدًا ، لكن ليس لمصلحة شخصية ، بل قلقًا على مصير المنظمة أن حدث وتم كشف أمرى . لكن أكاد أجن ، كيف استطاعوا التجسس على عقلى ، فعقلى مدرب جيدًا على كل أساليب التجسس الإلكتروعقلية ، كما أننى وبحكم انتمائى إلى جريدة الحرية فلدى حصانة خاصة ككل موظفى الجريدة تجاه التجسس

الإلكتروعقلى . ثم إننى حذر للغاية فى تفكيرى ، وأى أمر خاص بالمشروع لا أفكر فيه إلا بوجود سماعتين خاصتين على أذنى مع اتخاذ أقصى درجات الحذر .

جالت هذه الأفكار فى ذهنى لوهلة من الوقت ، فطردتها عن خاطرى بسرعة مخافة أن يتم رصد أى منها فى غفلة منى ، فتوجهت بخفة إلى سيارتى الهوائية ، أخذت مقعدى داخلها ثم انطلقت بسلاسة . ومن ركنى شفتى بدت بسمة خفيفة سمحت لها بأن تغزو محياى بعد أن كشفت ذلك الأمر . لقد كان أحدهم يتعقبنى ! كنت أتوقع هذا على أية حال ، لاشك أنه جاسوس المدير ، يعتقد أنه من السهل عليه تعقبى دون أن أكشف أمره ، المسكين .. أن موجات عقله تتردد بداخل مخى كما لو كانت حفلاً صاخبًا فى مساء هادئ .

لكن .. هل هذا الجاسوس هو نفسه من التقط الصورة من ذهنى ؟ لا طبعًا ، فلو كان هو لكان أحـــرى به ألا ينكشف أمره وهو يطاردنى بهذا الشكل الفاضح ، يبدو لى تقليديًا جدًا .

أمضت نصــف ساعة وأنـــا أســير بسيارتى ، التى تتخللها صدامات خفيفة معتادة مع بعض السيارات إلى أن وصلت فى

الأخير إلى منزلى ، تجاوزت تلك الحديقة الصغيرة وأنا أخطو فى ذلك الممر الذى يمر وسطها غير عابئ بأصوات الطيور التى تصاعدت مستقبلة إياى ، ولا لنسمة الرياح الهادئة التى هبت فى وجهى وفى كل من تلك الشجرة الكبيرة التى تتوسط الحديقة ، وإن كنت قد حرصت على الوقوف ثانية واحدة فى بداية الممر فانفتح حذائى إلى قسمين ثم انتقلت إلى الممر نفسه وتكنولوجية تهوية خاصة ممزوجة برذاذ خاص تقوم بغسل رجلى وأنا أسير فوقه إلى أن وصلت إلى عتبة باب المنزل ، حيث وجدت الحذاء النسيجى الخاص وضعت عليه قدماى و تركته يلتوى عليهما بسرعة ثم دخلت المنزل . وهناك ، بدأت أفكر فيما يجب علىّ فعله .

تقدمت إلى الداخل .. فكرت فى إشعال ضوء أزرق باهت وفى إطلاق تهوية خفيفة وفى مذكرتى الخاصة فحدث كل ذلك التقطت فى الأخير مذكرتى الضخمة التى طارت من فتحة صغيرة فى سقف الحجرة على كفى المفرودتين . قمت بفتحها وشرعت أكتب فيها عدة أسطر بينما عقلى يفكر فى شىء آخر للتضليل .

ـ من هو الجاسوس ؟

ـ ماذا يريد ؟

– من الذى التقط الصورة الذهنية من ذهنى وكيف ؟

– المشروع يجب البدء فى تنفيذه حالاً .

– يجب مراجعة آلية التنفيذ .

– هذا يستدعى الذهاب إلى المقر الآن .

– والجاسوس ، إنه قابع لاشك قبالة المنزل .

– يجب خداعه .

– و ...

ولكن لحظة ، قبل أن ينجر ذهنى إلى التفكير ، ضغطت على زر ياقتى المثبت بالقرب من كفى فاشتعل جهاز خاص للتمويه سجلت فيه ثلاث ساعات من موجاتى العقلية الخاصة بمشاهدة التلفاز والأكل .. إلخ . فشرع يطلقها بدلا عن مخى الذى لم تعد تخرج منه أية موجات بعد أن وضعت على أذنى سماعتين تمنعان ذلك .

والآن .. بالنسبة للجاسوس الذى التقط صورة الاجتماع التى أرانى إياه المدير ، فاعتقد أننى كشفت شيئًا بشأنه . فالمـــرة الوحيدة التى فكرت فيها فى هذا الأمر بالذات كانت أمام (عفاف) ، لقد أخبرتها ذات مرة ونحن نسير بجانب حديقة وسط المدينة عن

نيتى عقد اجتماع خاص قد يتقرر عليه مصير الجميع دون أن أحدد لها طبيعـــة ذلك وإن جالت فى ذهنى تلك الصـــورة بنفس التفاصيل ، مما يعنى أن الصورة التقطت مـــن ذهنى أنا وليس (عفاف) . فـــ (عفاف) لم ترى مقر المنظمة من قبل . ولكن ، كيف التقطها ذلك الوغد من عقلى ، هل أصاب تفكيرى ضعف ما جعله يخرج عـــ .. اللعنة ..!! لقد غضبت وقتها من (عفاف) وثرت فى وجهها ففقدت السيطرة على عقلى و ... الآن فهمت كل شىء !! فهمت كيف التقطت تلك الصورة أيها الجاسوس اللعين . لحظة أيها الوغد ، سأعرف من أنت ، فموجاتك العقلية مسجلة فى عقلى . أغمضت عينى ثم سرحت بتفـــكيرى أغوص فى الشريحة الإلكترونيةّ بداخل مخى ، متصفحًا محتوياتها ولكن .. لا شىء ، كنت أتوقع شيئًا كهذا ، فهى تحت رقابة المركز . ولكن لا تفرح يا عزيزى الجاسوس ، سأجدك .. فلا تنس عقلى الباطن ، هل ظننت أننى معتوه مثلك عاجز عن الوصول إليه ؟ وهذه المرة شحذت ذهنى بالكامل حتى بدأت أشعر بقطرات من العرق تنزل على جبينى هيا .. هيا .. تجاوز تلك الصفعة التى انقضت عليك من أعماق ذاكرتك المظلمة لتذكرك بذلك الفتى الذى وجهها إليك فى مراهقتك أمام عيون كل أصدقائك ، وتفادى تلك السقطة التى

حدثت لك منذ شهرين فى درج تلك الخزانة أمام صديقك (سفيان) .. أمر محرج حقًا .. هيا تقدم .. تقدم .. أحسنت .. ها هو ذا وجه ذلك الوغد الذى تبحث ، إنه هو .. الوغد .. عرفته .. عرفته .. إنه ..

حارس الجريدة !!.. ذلك المنافق المتملق (منذر سعدان) !! كنت أشعر دائمًا بأنه منافق وغد ، تملقه كان غير طبيعى بالمرة ولطالما لم أرتح له . هل هو نفسه من أرسله خلفى مدير الجريدة ؟ طبعًا لا ، فالمدير نفسه لا يعلم بأمره ، إنه جاسوس لمركز الإلكتروعقليات لاشك ، إذن لا فائدة من الإيقاع به . هل أخبر المدير بشأنه إذن ؟ فليذهب كلاهما إلى الجحيم ، فكلاهما فى كفة واحدة بالنسبة لى . ولكن لماذا لم يرسل الصورة التى سرقها من ذهنى إلى المركز مباشرة ؟ ربمـــا إنه لم يراهـــا دليلاً كافيًا فسربها لمدير الجريدة ليقوم بالتحقيق فى هذا الأمر ويعثر على دلائل أوضح . أو ربما أنه خشى على موقعه من أن ينكشف ، ولكن لسوء حظه أنه لم يبلغ المركز ، فهأنـــذا على قيد خطوة واحدة من تنفيذ المشروع . إذن ماذا أنتظر ؟ فلأتحرك إذن !

أمسكت المذكرة التى بين يدى ، دونت فيها بعض التعليمات قبل أن أنتقل إلى بدايتها وأكتب كلمة .. « تنفيذ .. » وأنهيها

بكلمة « مسح .. » ثم أغلقت المذكرة ورميتها لفوق وآلية التنفيذ تبدأ بالعمل ، وفــق برنامج خاص ، فتم إرسال رسالة إلكترونية قصـــيرة مشفرة إلى المخبأ .

وعليه .. ارتديت بذلة رقيقة خاصة غطت جسدى بأكمله ، لمست حذائى بسبابتى فازدادت درجة صلابته وتماسكه .. ثم توجهت إلى منتصف المكان ، وقفت للحظات ، قبل أن تتحرك الأرضية تحت قدمى لتتحول إلى درج راح ينزل بى بهدوء لأربعة أمتار قبل أن يتوقف فى حجرة واسعة نسبيا بها فراش فى الركن .. بضع قطع أثاث .. مكتب وبعض الأجهزة الآلية . نزلت عــن الدرج ، فأعـــاد تكوين نفسه ليتحول إلى خزانة ثياب بسيطة مستقرة فى ركن المكان . أما أنا فتوجهت إلى تلك المساحة الشاغرة وسط الحجرة ، توقفت هناك بضع لحظات قبل أن أحرك يدى ورجلى ورأسى ببطء بشكل مدروس وأنا أغمض عينى ، ومن خلال مجسات خاصة سرية موزعة فى أماكن محددة فى الغرفة ، تم التقاط موجات الهواء المتحركة جراء حركاتى التى أقوم بها ، وتمت مقارنتها بالمسجلة لديها ، حدث تطابق بين المعطيات ثم بدأت آلية الانتقـــال إلى مقر المنظمة . فمن ســقف المكان برزت دائرة مضـيئة بلون أزرق وتحركت

بشكل انسيابى قبل أن تتوقف فوق رأسى فاعتدلت فى وقفتى وأنا أغمض عينى . انتظرت لحظات قبل أن تسقط على جسدى موجة غير مرئية حولت جسدى كله إلى طيف أزرق شفاف لم يلبث أن اختفى فجأة . لقد انتقلت آنيا إلى مقر المنظمة مطمئنا إلى أن جهاز التمويه يعمل على إقناع كل مراقب وقح بأننى مازلت داخل البيت . ولكن الذى لم أكن أعلمه وقتها أن خطة الخداع هاته ستبوء بالفشل لسبب بسيط . أن (عفاف) قد لحقت بى إلى المنزل تريد الاطمئنان على . ولكم أن تتخيلوها وقد غادرت مبنى الجريدة مستقلة سيارتها متوجهة إلى منزلى . ولكم أن تتخيلوها أيضًا وهى تقف بمواجهة باب منزلى منتظرة إياى أن أفتحه لها وأتركها تدخل . بل والأدهى ، أن لكم الحق فى ملاحظة نظرات جاسوس المدير من بعيد وهو يبلغ المدير نفسه عن كل هذا .

إن الأمر يسوء حقًا !!

* * * *

كما سبق وقلت لكم ، المكان حيث يختفى كل أفراد منظمة مغلفة جدرانه بغشاء خاص مصنوع من نسيج إلكترومعدنى خاص ، يمنع الموجات العقلية من اختراقه ، ولكنى لم أخبركم

أنه مكان يتميز كله بلونين . الأسود والقرمزى . هذا لأنه عبارة عن كهف تقريبًا ، تجويف طبيعى فى جبل تمتد جذوره إن صح هذا التعبير لعشرة أمتار على الأقل أسفل سطح البحر وموازيًا لبحيرة من المياه الجوفية التى امتد خيط منها عبر نافورة فى أرضية الكهف ليغمرهــا بميــاه صافية عذبة تستطيع أن تميز عبرها عدة صخور ضخمة على عمق ثلاثة أمتار . ولكن هذا لم يمنع بعض الأيدى الاحترافية من شق ممر فى حائط الكهف يوصل إلى مكان فى أرضية المكان لا تصله المياه ، هو بمثابة شاطئ لهذه البحيرة المحدودة .

على صوت صدى قطرات المياه المتقطرة من سقف المكان وعلى شاطئ البحيرة الذى تتوزع عليه صخور على شكل مقاعد فى الجوانب تتوسطها منضدة منحوتة من الصخر أيضًا ، وقف الجميع فى انتظــارى عــدا واحــدًا برز من تجويف كبير مربع الشكر على شكل حجرة واسعة وقال وهو يتوجه لطرف المياه ويتحسسها بيديه راشفا منها بضع الرشفات :

ـ « يبدو أن لحظة الحسم قد حانت يا رفاق .. »

قال عبارته ثم وقف عاقدا ذراعيه أمامه متطلعًا إلى فراغ الكهف الشاسع قاطعا بنظره مساحة المياه الصافية فهتف (جمال خالد) أستاذ اللغة العربية وهو يتأمل ساعته :

ـ « لقد تأخر خمس دقائق كاملة يا (سفيان) ، أخشى أن .. »

قاطعته زوجته المهندسة (رشيدة) الخبيرة فى علوم الحاسوب فى المنظمة قائلة :

ـ « لا تكملها .. (جواد) لم يحصل له شىء وسترى !.. »

أما (سفيان أبو حماد) فأطلق تنهيدة طويلة وهو يتمنى فى قرارة نفسه ألا يكون مكروها قد لحقنى وهو يجوس بنظره رامقًا ذلك المزيج من الرجال والنساء والفتية . ومع استدارته تألق ضوء أزرق فى سقف المكان على شكل دائرة بنفس اللون قبل أن يظهر طيف أزرق شفاف لم يلبث أن بدأ لونه يتغير إلى البرتقالى إلى أن أخذ شكلاً تعرفونه جيدًا ، شكلى أنا طبعًا . ومع ظهورى فى المكـــان وقـــف الجميع فى ترقـــب مقتربين منى و(سفيان) يقول معبرًا عن تساؤل الكل وتخوفهم :

ـ « هل اكتشفوا الأمر ؟.. »

استدرت إليه .. رمقته للحظات فى قلق قبل أن أدير عينى إلى الجميع ثم قلت وأنا أشير لهم بيدى كى يجلسوا فى مقاعدهم متخذا أنا نفسى مجلسى على أقرب مقعد لى :

ـ « ليس بعد ، ولكنه بدأ ينكشف !.. »

بدت أمارات التوتر على الجميع وهم يتبادلون النظرات فى صمت ، قبل أن يترجم (سفيان) توترهم ذاك بتساؤله :

ـ « ماذا تعنى يا (جواد) ؟.. »

قلت له :

ـ « أعنى ذلك الحقير بواب الجريدة (منذر سعدان) ، لقد استطاع التجسس على عقلى واستخلص صورة عقلية سريعة لهذا الاجتماع الذى كنت أفكر فى عقده معكم . صورة هذا المكان الذى نجلس فيه !.. »

قالت (رشيدة) مذعورة :

ـ « هل تعنى أن مخبأنا قد انكشف ؟.. »

قلت :

ـ « لا .. بل هذا المكان فقط ، مع بعض الوجوه التى فكرت فيها . لقد عرض على مدير الجريدة الصورة فتظاهرت بعدم معرفتى بها بل وادعيت بأن هناك من يريد تلفيق هذه التهمة إلى لغرض ما .. »

لم يضف أحدهم حرفًا واحدًا وإن عمدوا إلى خفض رءوسهم بين مفكر ومذعور ومصدوم . فجلت ببصرى بينهم قائلاً :

— « والآن .. ماذا ترون ؟ هل نبدأ بتنفيذ المشروع ؟.. »

— « ولكن ماذا عن تعدد البؤر ؟.. »

كانت هذه من (بدر) شاب فى الثالثة والعشرين من العمر ، فاستدرنا جميعا إلى البحيرة فوجدناه وقد تبلل جسده بالكامل . كان يتوقع أن نثور فى وجهه كالعادة لأنه يسبح فى موقع نستخدمه للشرب ، إلا أن أحدًا لم ينتبه أصلاً إلى هذا فاستغرب لبعض الوقت ثم تساءل مداعبا رقبته بيده اليمنى :

— « ماذا هناك يا رفاق ؟ هل هناك خطب ما ؟.. »

أشرت له بيدى أن يجلس إلى جوارى وقلت :

— « لقد بدأ أمر المشروع ينكشف ، ومن الضرورى أن نبدأ بتنفيذه الآن فمدير الجريدة يحيطنى بشكوكه وذلك الرجل لا يهدأ أبدًا حينما تساوره الشكوك حيال أمر ما ، خصوصًا أنه قد أرسل بالفعل جاسوسًا يراقبنى وقد تركته أمام منزلى قبل أن آتى إليكم .. »

لم أعطه فرصة للتعقيب وأنا أكرر سؤالى :

— « والآن يا رفاق .. هل نبدأ العمل ؟.. »

هتف (سفيان) :

— « ولكن (بدر) على حق ، ماذا عن مرحلة البؤر ؟.. »

قلت :

— « أنت تتحدث عن السرعة فى الربط . فمرحلة البؤر ستساعد فقط على ربط كل عقول العالم فى أقصر مدة ممكنة .. »

قال (جمال) هذه المرة :

— « إذن فأنت تقترح أن نتجاوز المرحلة الأخيرة من المشروع ونقوم بتنفيذه دون دراسة عواقب ما سينجم عنه هذا التصرف المترجل ؟.. »

ألجمنى قوله فلم أجد ما أقوله . إنه على حق تمامًا ، فكل مراحل المشروع تمت دراستها وتحليلها بدقة شديدة ، ولكل مرحلة دورها الذى لا ينبغى تجاوزه ، وأى تجاوز لمرحلة ما دون دراسة وتأن قد يتسبب فى انهيار المشروع بالكامل .

فما العمل إذن ؟

* * * *

فى نفس الوقت الذى كنت أتحاور فيه مع أعضاء المنظمة ، كان المدير قد حول منظر حجرته إلى صحراء مترامية الأطراف

وضوء خافت يغمرها كضوء الغروب ومكتبه يطفو به فى الوسط فيما بدا أشبه ببحيرة من الرمال المتحركة ، لا تكاد تبتلع جزءًا من المكتب حتى يرتفع إلى الأعلى متمايلا يمنة ويسرة . فى هذا الجو كان المدير غارقًا فى تفكير عميق والأحداث الأخيرة تتداعى فى مخيلته وتتحول إلى صور ورسومات مجسمة أمامه يساعده برنامج متطور على التفكير فيها .

ـ صورة ذهنية لاجتماع منظمة أسمت نفسها بمنظمة الحرية .

ـ الحرية تبدأ بحرف الحاء .

ـ اسم الجريدة يبدأ بنفس الحرف .

ـ جواد يعمل فى الجريدة .

ـ الصورة بها (جواد) مجتمعًا مع بعض الأشخاص .

ـ الأشخاص فى الصورة كلهم ينظرون إلى (جواد) باهتمام ويحيطون به .

ـ جواد غير موجود بالمنزل .

فتح عينيه بشكل ناعس ثم حرك الصور السابحة أمامه بعينيه وانتظر خلاصة التحليل فى الظهور . بعد حين .. بدأ حيز صغير

من فضاء الحجرة أمام عينيـــه يصطبغ بلـــون أبيض وفوقه ارتسمت صورة (جواد) وتحتهـــا تراصت عـــدة كلمات جعلته يعتدل فى مكانه فى حدة وهو يقرؤها :

ـ جواد زعيم منظمة إرهابية تسمى نفسها منظمة الحرية ..

ـ المنظمة على وشك القيام بعمل إرهابى ضد النظام ..

ـ جواد الآن فى مقر تلك المنظمة للقيام بالعمل الإرهابى ..

قرأ المدير السطور فى غير تصديق ثم لم يلبث أن نفض عن نفسه ارتباكه ذاك ثم التفت حواليه جائلاً بنظره بسرعة حوله فتغير مظهر الحجرة عائدا إلى حالتها الأولى مع الضـــوء الأزرق . استقر فى مقعده بسرعة و هتف بصرامة وهو يضغط على زر على سطح المكتب :

ـ « صلنى بجهاز الأمن .. »

ـ « تـــم .. »

تصاعدت هـــذه الكلمة بشكل هادئ فقـــال المدير بنفس لهجته الحازمة :

ـ « اقتحموا منزل الصحفى (جواد موعود) وألقـــوا القـــبض عليه .. »

ـ « عَلِـم .. »

* * * *

ـ « لدى فكرة .. »

هذه كانت من (بدر) ، فالتفتنا إليه فى تساؤل ، فأضاف وهو يتحرك وسطنا :

ـ « سيأخذ كل منا نسخة من النظام معه مع سماعتين لعكس الموجات العقلية ، وحينما نصير بعيدين على مسافة مناسبة عن الكهف وعن منزل (جواد) سنقوم بتشغيل البرامج بترتيب معين ونحن نتحرك مسافرين إلى بؤرنا فى نفس الوقت . وبهذا نكون قد مزجنا بين التنفيذ الفورى وتوسيع رقعة الشبكة .. »

راق الحل للجميع فقال (سفيان أبو حماد) وهو يضرب (بدرًا) فى رأسه مداعبًا :

ـ « أيها الوغد الذكى .. إنه حل رائع ؟.. »

أما أنا فقد قلت للجميع وقد نظروا إلى ناحيتى فى استعداد :

ـ « كما سمعتم ، كل واحد يجب أن يأخذ نسخة واحدة مـن البرنامج مع مشغلها وسماعتين . هل كل هذا جاهز ؟.. »

أشاروا إلى بالإيجاب ، فقلت :

ـ « جيد .. هيا لـ .... »

لكنى بترت عبارتى فجأة ، على إيقاع اهتزاز زر ياقتى ، فالتفت إليه فى توتر شديد قبل أن أرفع رأسى إلى الجميع وأقول بلكنة مريرة :

ـ « يبدو أننا تأخرنا كثيرًا يا رفاق ، إنهم يقتحمون منزلى ! .. »

ساد صمت مطبق المكان دون أن يجيب أحد لفداحة الخبر ، فأضفت أنا :

ـ « وهذا يعنى أن منفذ الانتقال الآنى الوحيد قد أغلق . أليس خبرا رائعا ؟.. »

وبابتسامة مريرة هتف (بدر) وهو يجلس أرضا وقدماه تعجزان عن حمله :

ـ « أخيرًا أصبحنا سجناء هنا كالفئران ، ننتظر كالصراصير اصطيادنا بمبيدات عقلية حديثة .. »

فقاطعته قائلاً :

ـ « لن يستطيع أحدهم الوصول إلينا يا فتى ، اهدأ . وسيلة الانتقال الآنى معقدة ولن يتوصل إليها أحد أبدا .. »

ـ « وماذا لو وجدوها ؟ ألن يتلفوها وقتها إن عجزوا عن استخدامها ؟.. »

كذا قال (جمال) فأضاف (سفيان) فى قلق شديد :

ـ « هذا يعنى أننا يجب أن نخرج من هنا قبل أن يصلوا إليها ، هل تستطيع أن تعرف عددهم بالضبط يا (جواد) ؟.. »

تحسست بكفى أزرار ياقتى بتركيز وأنا أحاول تقدير عدد المقتحمين . الزر أسفل الذقن يهتز اهتزازات طفيفة ، هذا يعنى أن ممر المنــزل به على الأكثر شخصان . زرا جيبى فى منطقة الصدر يهتزان بنفس درجة اهتزاز الزر الأول . هذا يعنى شخصين فى كل جهة من الحديقة . الزر فوق منطقة البطن يهتز بشكل قوى ، الأوغاد ، إنهم فى صالة منزلى ، لاشك أنهم يقلبونها رأسًا على عقب ، يبدوا أن عددهم هناك لن يقل عن الخمسة . الأزرار الأخرى لا تصدر أية حركة ، رائع ، هذا يعنى أن المخـبأ أسفل الصالة لم يجده أحد بعد . لنقم بعملية جمع إذن ، لو أضفنا اثنين إلى ...

عدد المقتحمين تقريبًا أحد عشر أو أكثر بقليل .

أجرى (سفيان) مقارنة سريعة وقال فى حماس غريب :

ـ « ونحن أزيد من ثلاثين فردا . أقترح أن نسرع وننتقل آنيا إلى المخبأ أسفل صالة المنزل ونستعد لمـــلاقاتهم وتكون ساعتها المفاجأة فى أيدينا بدل .... »

ـ « لدى حل أفضل .. »

كذا قلت ، فالتفت الجميع إلى فأضفت :

ـ « سأنتقل وحدى فى البداية .. »

بدت أمارات الدهشة على وجوههم فقلت موضحًا :

ـ « ولدى خطة فى هذا الشأن .. لا تنسوا أنه منزلى ، وأعرف كل أسراره .. »

ودون إضافة حرف واحد أحاط بى الجميع وشرعت أشرح لهم خطة مقتضبة عن كيفية الخروج من المخبأ . وفيما لا يزيد على دقيقتين شرحت لهم كل شىء فاعتدلت فى الأخير وقلت وأنا أتوجه إلى وسط المكان :

ـ « لا تنسوا التوقيت ، إنه الفيصل بين نجاح المشروع ككل .. وانهياره .. »

ثم داعبت بعدها بعض الأزرار فى ياقتى فبدأت أداة الانتقال الآنى المستديرة تسبح فى سقف الحجرة متوجهة إلى مكانى و... والبقية تعرفونها ، جسد يتحول إلى طيف أزرق .. فتألق .. فانتقال .. فمواجهة !

* * * *

باختصار شديد ودون الدخول فى تفاصيل لا طائل منها سأقول لكم ماذا حدث بعد الانتقال .

بعد وصولى إلى المخبأ ، عبثت فى شعر رأسى بعض الوقت ، فركت عينى كثيرًا جدًّا ثم بعثرت ثيابى و توجهت بعدها إلى فراش منظم هناك ، نزعت غطاءه بسرعة ثم رميته بإهمال فوقه . يجب أن ألتقى هؤلاء الأوغاد وأتظاهر بأننى كنت نائما . بعد هذه التمويهات توجهت إلى الخزانة فى الركن ، داعبتها بيدى قليلاً قبل أن تتحرك وتبدأ بأخذ شكل سلم خشبى ملولب والمدخل فوق ينفتح كاشفا مجموعة من الوجوه المقيتة وهى تتطلع إلىّ . أردت أن أتحدث أو حتى أشرح موقفى لها فلدى تفسير مزعوم مقنع لكل شىء ، ولكن أحد الأوغاد الكرام لم يقتصد على طلقاته فقد أحسست بوخزة فى ذراعى الأيمن ، التفت إليه فرأيت سهما

جميلاً مغروسًا فيه ، يحدق فى عينى ولسان حاله يقول : أنا سهم تخدير !!

بعدها مباشرة شعرت برأسى يدور بقوة وبعضلاتى ترتخى قبل أن أسقط على الأرض كصخرة صماء .

* * * *

لم تصدق خطيبتى (عفاف) ما وصلها من أخبار ، (جواد) معتقل فى سجن الجريدة ؟!! ذلك الفتى المتمرد الذى يتفجر نشاطا ولا يكف عن مداعبة كل من يصادفه فى طريقه ؟ كانت تعلم أن الاعتقال فى سجن الجريدة ليس له إلا معنى واحد : أن الأمور قد بلغت أخطر مستوى يمكن الوصول إليه ، لأن مدير الجريدة لا يلجأ إلى هذا إلا حينما تصل الأمور لحد غير مرغوب فيه . وهذا ما جعلها تستقل سيارتها وقلبها ينبض بعنف ، وفى قرارة نفسها قررت أن تفعل شيئًا من أجل خطيبها أى شىء . لا يمكن أن تتركه فى مأزقه هذا أبدًا . مضت بضع دقائق قبل أن تجد نفسها بسيارتها أمام مبنى الجريدة فنزلت عن السيارة بسرعة وتجاوزت باب المبنى وشرعت تمشى بسرعة عبر الممرت الزرقاء متجهة إلى مكان محدد نادرًا ما يتوجه إليه موظفو الجريدة .

صوت حذاءيها يطرقان الأرض كما لو كانا يستحثانها على الإسراع .. الضوء الأزرق يشع من كل جانب ، مخها داخل رأسها يتراقص وكأنه يستمتع بما يجرى أمامه . إنها الآن أمام باب سجن جريدة الحرية ، وقفت أمامه بعض الوقت قبل أن تظهر فى الفراغ أمام الباب صورة ثلاثية الأبعاد لرجل أمن ذى ملامح متصلبة هتف بها :

ـ « ماذا تريدين ؟.. »

قالت :

ـ « أنا الصحفية (عفاف) ، أريد مقابلة السيد (جواد مـ .....) .. »

لم يعطها الوقت كى تكمل كلامها فقد أجابها بصوت بارد غليظ كما لو كان يطرقع أسنانه مع بعضها :

ـ « انتظرى حتى آخذ إذنا من المدير .. »

قالت صورة الحارس عبارتها ثم اختفت فطفقت (عفاف) تنتظر وكأنها واقفة تصطلى بنار هادئة على إيقاع ضربات قلبها ، لكن عودة صورة الحارس كانت سريعة ، فالتفتت إليها (عفاف) بسرعة فوجدته يقول :

ـ « ادخلى .. »

لم تكن تتوقع أن يوافق المدير أصلاً على هذه المقابلة ، فأحرى أن يوافق بهذه السرعة ، ولكنه فعل ، ربما لأنها أقرب الناس إلىّ ، وحديثنا قد يتضمن شيئًا ما قد يفيده .

بخطوات واجفة تجاوزت الباب الفولاذى فوجدت الحارس الضخم نفسه هذه المرة اقتادها عبر ممرات السجن ببرود دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، فتقدمت معه وهى تتأمل فى تفاصيل السجن الذى لم يسبق لها أن دخلت إليه قط . كل شىء فى ممرات السجن منفر ، ولا يمت بأية صلة إلى هذا الزمن بما فيه من سبل راحة وتطور . اللون الأسود يغلف كل شىء هنا ، قتامة تنبعث من كل ممر ، بل حتى الهواء بارد ومقبض .

قطع توارد أفكارها وقوف الحارس عن المسير ، فتوقفت بدورها لتجد نفسها أمام باب حديدى صلب أشار إليه الحارس وقال :

ـ « أمامك عشر دقائق .. »

وانفتح الباب بعد قوله ذاك ، أما هى فقد ظلت واقفة فى مكانها وهى تحدق فى جسد مكوم فى ركن المكان يرتدى رداء لامعًا رغم إضاءة الحجرة الخافتة . كان أنا !!

لم يكد ينفتح الباب حتى رفعت رأسى ، ولم أكد أراها حتى وقفت بسرعة ، وهى لم تكد ترانى حتى دخلت متلهفة وأنا أهتف :

ـ « أيتها الـ .... ما الذى أتى بك إلى هنا ؟.. »

قالت فى ذعر متجاهلة سؤالـــى :

ـ « ماذا فعلت أيها الأحمق ألم ... .. »

لم أتركها تكمل كلامها ، فقط قلت وأنا أنظر لعينيها فى إمعان :

ـ « كل شىء سيسير على ما يرام يا (عفاف) .. »

حدقت فى عينى .. راقبت حركاتهما قبل أن تفهم أنى أقول لها : لا تفكرى فى ذلك الموضوع ، المكان مراقب بشكل فظيع . قالت مكملة فى خوف :

ـ « ولكنك معتقل فى سجن الجريدة ! أتعلم ما الذى يعنيه هــذا ؟ أنك ستتعرض لعملية مسح ذهنية لمعرفة كل أسرارك ، ألا يقلقك هذا ؟.. »

قلت لها بعد أن أطلقت ابتسامة خفيفة :

ـ « قلت لك لا تقلقى ، لن يصيبنى أى مكروه .. »

قالت :

ـ « ولكنى لا أستطيع أن .. ؟.. »

ـ « قلت لك لا تقلقى يا (عفاف) .. كل شىء سيسير على ما يرام .

كذا قلـــت ، فحدقـــت كلانا فى عينى الآخـــر فى صمت لبعض الوقت قبل أن أتنهد فى حرارة وأقول بجدية :

أرادت أن تضيف شيئًا ولكنى حدقت فى عينيها بنفس النظرة وقلت لها :

ـ « حسنا .. والآن دعينا من كل هذا واسمعينى جيدًا ، ما يهمك الآن هو أن ترتاحى ، أزيحى عن كاهلك كل التوتر الذى يكتنفك بشأنى وحاولى أن تذهبى إلى منزلك وتنامى . اتفقنا ؟.. »

ظنت أننى أمزح فحدقت باستنكار فى وجهى فأضفت مطمئنا :

ـ « صدقينى يا (عفاف) ، كل شىء سيسير على ما يرام . اذهبى ونامى . استخدمى أية وسيلة ، المهم أن تنامى .. وبعمق !.. »

قاطعتنى مذكرة إياى بأمر ظننت أنى نسيته :

ـ « وماذا عن عملية المسح أن .. ؟.. »

قاطعتها بدورى وأنا أنظر فى عينيها :

ـ « هل تثقين بى ؟.. »

لم تجب .. وإن قالت عيناها الكثير . فأضفت :

ـ « إذن نامى .. فقط نامى .. »

ـ « انتهت الزيارة .. »

كذا قال الحارس الضخم ، الذى لم يكد صوته يتردد فى فضاء الحجرة الكئيبة حتى شعرت بردائى الذى ارتديه يطلق شرارات كهربية وينفر رغما عنه عن (عفاف) التى رمقتنى وأنا أبتعد وابتسامة مشجعة تبدو على محياى فبدت على وجهها أمارات التفكير ثم لم تلبث أن كستها تعابير الحزم و استدارت بعدها منصرفة فى حزم . أما أنا فقد قلت فى قرارة نفسى :

ـ « مرحى .. هذه هى (عفاف) التى أعرفها . هيا أيها الأوغاد ، اقتادونى الآن إلى أى مكان تشاءون .. »

وبالفعل ، فلم تمض عـــدة ثوان حتى كان شخص ضخم يخطو إلى داخـــل الغرفـــة مع عالمين متخصصين فى الإلكتروعقليات وأحدهما يهتف ببرود :

ـ « هيا إلى قاعة العملية .. »

أمسكنى ذلك الضخم بيديه اللتين خلتهما كلابتين فولاذيتين ، وأحاطنى بقيدين متينين من وراء ظهرى ثم اقتادنى إلى خارج الغرفة ، لم تمض لحظات حتى كنت أدخل إلى غرفة أخرى فجلت ببصرى فى المكان فلم أجد إلا فراشا بدائيا موصولاً بعدد من الأسلاك فقلت بسخرية :

ـ « هل المفترض أن أستلقى على هذا الفراش ؟.. »

لم يجبنى أحدهم ، فقط فك الحارس قيودى بغلظة واقتادنى كسلعة بالية إلى الفراش ثم حملنى كرزمة معفنـــة من الطماطم وألقانى على الفراش بغلظة وقيدنى عليه بإحكام . أشك أن يكون هذا الحيوان بشريًا ، هل يعتقد أننى رزمة من خضراوات حتى يتعامل معى بهذا الشكل ؟ استدرت ورمقته بنظرة مخيفة حقًا ، لو كانت النظرات تقتل لكنت قـــد حولته إلى كومة لحم مشوية ولفررت من السجن وساهمت مع زملائى فى عملهم وابتسمت فى سعادة واحتفلت و ...

قطع جرى أفكارى الحالمة ذلك الأزيز الذى ينبعث من بعض الأجهزة من حولى فرفعت رأسى ورمقت [illegible] هناك ،

وأحد الطبيبين يمسك ذراعًا معدنية مثبتة على جهاز ضخم بكفه اليسرى ، نظرت إليه للحظة فقال فى نشوة غريبة :

ـ « استعد .. أمامك أقل من عشر ثوان لتبدأ عملية المسح .. »

لم أكن فى الحقيقة أعبأ لهــذا كثيــرًا ، وأنـــا أحاول ألا ينجر تفكيرى إلى المشروع حتى لا أفضح ما يود زملائى القيام به . ولكن هذا لم يمنعنى من أن أنظر إلى ساعة مثبتة هناك . كانت تشير إلى الخامسة وخمسة عشر دقيقة إلا بضع ثوان ، إنه التوقيت المتفق عليه للتنفيذ تقريبًا . هيا أسرعى أيتها الثوانى هيا . أردت أن أدور لأرى كم تبقى فى العد العكسى ولكن ذلك الوغد المنتشى لم يمهلنى كى أفعل ، فقد جذب الذراع المعدنية ، تردد صوتها بعمق فى فضاء الغرفة الخالية .. رمقت لوهلة الوجوه الجهنمية وهى تنظر إلى باستمتاع ، قبل أن أشعر وكأن موجة كهربية تكتسح عقلى وتغوص فى كل خلايا مخى ممتصة منه كل ذكرياتى وأفكارى وأسرارى ، فانتفضت فى مكانى وانفتحت عيناى على أقصى اتساع لهما ، وقبل أن أفقد وعيى ، شعرت بمعدتى تتقلص وبرغبة قوية فى القىء ثم سقط رأسى على الوسادة وفقدت شعورى بمن حولى تمامًا .

لقد بدأ المسح .. وبدأ ضاد العكسى !

* * * *

أحســست بعقلى يســبح فى برزخ مــن الوجــود ، أحسست بانطلاق كاسح ، أحسست بأنى أركب فى قارب من الحرير وهو يسبح فى أثير من رذاذ البحر المتناثر على شواطئ من قطن أخضر . ركزت قليلاً ثم أطلقت لتفكيرى العنان وصعدت إلى ســماء المكان فرأيت شبكة وهمية تربط كل عقــول مدينتى ، صعدت أكثر فرأيت الشــبكة تتسع أكثــر لتشمل دولتى كلها ، ارتفعت وارتفعت والشبكة ما زالت تتسع وتتسع لتشمل العالم كله .

مرحى .. لقد نجح المشروع .. نجح نجاحا ساحقًا ، ولكن .. هل .. هل فعلاً نجح ؟!.. وبهــذه البساطة ؟! هــل فعــلاً انكسر قيد الأسر بهذه السرعة ، لابد على الأقل من بعض المعاناة ، من بعض التعذيب ، من بعض الألم ، لم أكن قد استوعبت الأمر بعد ، ربما لأن حالة الظلم والحجر التى عشتها طوال حياتى جعلتنى عاجزا عن تصديق أنها قد تبددت تمامًا .. وفى لحظة واحدة !! . وكمحاولة لتبديد هذا الارتباك شرعت أنخفض بتفكيرى سابحًا مع ذرات الهواء والرذاذ التى داعبت أفكارى التى تركزت كلها وقتها فى كلمة واحدة ، (عفاف) ..

زادت سرعة تفكيرى وهو يطير متوجها إلى منزلها .. الأنوار تحيط بى من كل جانب .. صوت أزيز الهواء يتردد فى ذهنى وعقلى والصور أمامى وفى كل ركن بجانبى تتسارع كما لو كنت أسير فى طائرة نفاثة وأنا أهتف بكلمة واحدة .. (عفاف) .

ومن بعيد ، بدا لى منزلها متألقًا ، فسمعت ضربات قوية تتردد فى المكان كله ، كانت ضربات قلب . ولكن أى قلب هذا ؟ لاشك أن الجسد الذى يكمن فيه سيكون بحجم ناطحة سحاب ، ولكنى أدركت لمن يكون حينما أحسست بصدرى يهتز وبأفكارى ترتجف . أنا الآن فوق سطح المنزل ، جلت حوله للحظات قبل أن أنقض عليه كنسمة ريح شرقية ، وهناك ، على السطح ، تراءت لى ، جالسة على أريكة فى وسط المكان غارقة فى نوم عميق ، فابتسمت رغمًا عنى وقد بدت لى وقتها كملاك حالم فقلت بهمس هائم :

– « (عفاف) .. »

* * * *

فى برزخ يجمع بين عقلها وعقلى ، دار هذا الحوار :

أنـــا : هل صدقتنى الآن أن كل شىء سيسير على ما يرام ؟

عفاف : نـــعـــم

أنـــا : والآن .. بماذا تشعرين ؟

عفاف : أشعر بانطلاق ، أشعر بأنى ولدت من جديد ، بأن القيود التى كانت مفروضة على تفكيري قد انكسرت كلها فى لمحة عين .

أنـــا : الحمد لله .. هذه نعمة من الله عز وجل ، لقد نزعها منا مدة من الوقت كى ندرك قيمتها ونعلم أنه يجب استثمارها فيما يرضيه تعالى ويخدم مصالح مخلوقاته .

عفاف : ولكن .. كيف حدث هذا ؟

عفاف : (بإلحاح) : هيا أجب .. كيف ؟

أنـــا : (بصوت يخبو) : ستعرفين كل شىء حينما تستيقظين .. كل شىء .

استمر صوتى يخبو ويتردد بصدى عميق إلى أن حدث انحسار مفاجئ بداخلى تلته شهقة طويلة وجدت نفسى بعدها أفتح عيناى دفعة واحدة . كنت مستلقيًا فى غرفة المسح ، ظللت محدقًا فى سقف المكان للحظات قبل أن أرفع رأسى من الفراش ببطء فوجدت ثلاثة أجساد ملقاة على الأرض فاقدة الوعى فقلت بتهكم :

ـ « هه .. كنت أعلم أن الكبسولة ستفعلها .. »

ودون أن أدرى وجدت نفسى أنجر إلى تلك الذكرى فى الكهف ، وذلك الحوار .

ـ « وبالنسبة لنسختى من البرنامج مع مشغله ، فسأبرمجها بحيث تبدأ عملها فى وقت ومدى محددين .. »

وقتها سألنى (سفيان) :

ـ « ولماذا فى مدى محدد ؟.. »

فأجبتـــه :

ـ « لأننى ســأضيف لها تعديلاً خاصًا فى نظام الاتـــصـــال ، سيجعل عقـــول كل موظفى الجريدة تســـقط فاقدة للوعى بمجرد اشتغاله ، لذلك لا يجب أن يكون مداه كبيرًا .. »

وسألنى (جمال) :

ـ « وماذا لو بحثوا فى ثيابك ووجدوا الكبسولة لديك ؟.. »

أجبته مداعبًا :

ـ « هذا لو كانت فى جسدى من الخارج .. »

قال (بدر) متسائلاً :

ـ « ماذا تعنى ؟.. »

قلت :

ـ « سأبتلعها ! .. »

وقتها فقط شعرت ببسمة واسعة ترتسم على محياى لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة قوية ترددت فى أرجاء غرفة المسح معلنة عن نجاح ساحق لمشروع (ضاد) ، فيما عيناى شاردتان غارقتان مع الإضاءة الصفراء الشاحبة لذلك المصباح القديم فى السقف .

* * * *

فرغت من كتابة مذكراتى ثم شرعت أتطلع إلى هـــذه السطور التى كتبتها ونظرة هائمة تتقطر من عينى فيما ذكريات الماضى تتلاعب بشعيرات أفكارى . وبهدوء ، مددت يداى وهما تمسكان بالمذكرة ونظرت إليها عن بعد وكأننى أتطلع إلى لوحة ما ، قربتها مرة أخرى وعدت أتصفحها . أشعر وكأن رابطة ما نشأت بينى وبين هذه الوريقات ، فمنذ أن كان عمرى ثلاثين سنة وأنا أكتب فيها ، قد تستغرب لهذا الأمر ، ولكنه أمر عادى تمامًا فى

زمننا هذا ، فالأوراق مصنوعة من نسيج إلكترونى خاص يمكنك من التعديل فيه ما لم يمض عليها أسبوع كامل ، ناهيك عن أن المذكرة تتضخم من تلقاء نفسها ، فهى مزودة ببرنامج خاص يقوم بإضافة أوراق أخرى للمذكرة كلما احتجتها ، ومادة الورق محفوظة فى إطار الكتاب .

أعدت تأمل المذكرة من جديد قبل أن أتكئ على مسند المقعد وأقف ببطء ثم ألقيت المذكرة جهة السقف الذى احتواها بسرعة تاركا إياى أمر أسفله وأنا أتكئ على عصـــا من خشب حتى وصلت عتبة باب الحديقـــة وسيارتى الصـــغيرة ذات الوسادة الهوائية تنتظرنى بالخارج . هتفت بصوت مبحوح :

ـ « تجهيز .. السرعة : متوسطة .. الارتفاع : نصف المتر .. »

قلت كلماتى تلك ، فاشتعلت السيارة وبدأت موجة من هواء خفيف تنبعث من أسفلها وهى ترتفع تدريجيا إلى أن توقفت على مسافة نصف متـــر عـــن سطح الأرض ، إذ ذاك ، انفتح باب السيارة وخرج منها مقعد مريح وصوت هادئ يقول :

ـ « تفضل .. »

تقدمت بضع خطوات ثم صعدت على درجتين وجلست على المقعد الذى عاد إلى مكانه داخل السيارة مرة أخرى والصوت الآلى الهادئ يعود للتصاعد مرة أخرى قائلاً :

ـ « الوجهة ؟.. »

طفقت صامتا لوهلة دون أن أجيب ، تأملت منزلى الفضى بممره التفاعلى وشجرته السامقة التى لم تكد تستقبل نظراتى وأفكارى حتى شرعت أغصانها تتحرك . تأملت كل هذا قبل أن أقول باقتضاب :

ـ « كهف الحرية !.. »

وانطلقت السيارة إلى هناك كاستمرار لتداعى الأفكار والذكريات .

* * * *

هناك فى الكهف كان الأمر مختلفًا تمامًا ، لسبب مهم وهو أن الكهف أصبح من أهم المعالم السياحية فى العالم ، لأنه احتضن فى الماضى أهم حدث فى التاريخ الحديث ، حدث تحرير العقول !

اقتربت على ضوء ردائى المتألق الذى بدد بعضًا من ظلمة الليل حولى ثم توقفت بسيارتى أمام مدخله الذى بعث فى أوصالى قشعريرة غريبة ، إلا أننى تماسكت وأنا أتطلع إلى جهاز مثبت

فوق مدخله . كان المدخل يبدو بريئًا ، وكأن الجميع يمكن له الدخول فى أى وقت ، ولكنه فى الحقيقة كان محاطا بحاجز خفى من الطاقة يفقد الوعى لكل من ينوى دخوله عنـــوة . وطوال الطريق إلى مدخله ، توزعت الكثير من عبارات التحذير بكل لغات العالم . اقتربت من مدخل الكهف فلاحظت جهاز التنبيه يومض بشكل متقطع قبل أن يمسح جسدى بالكامل بأشعة حمراء تصاعد بعدها صوت إلىّ يقول :

ـ « السيد (جواد موعود) .. المحرر .. يسمح بالدخول .. »

ومض مدخل الكهف بلون أخضر عاد بعدها الصـــوت الآلى ليقول :

ـ « تفضل .. »

فتقدمت إلى الداخل بقلب واجف وموجة ذكريات قديمة تطبق عليه . اشرأب عنقى برأسى نحـــو مياه البحيرة الصافية التى أحيطت بسور من ارتفاع متر ونصف وتطلعت إلى صورة وجهى المعكوسة فيها . كانت صورة عجوز هرم أخذت منه السنون كل احمرار وجوه الشباب وتورده وتركت بدلا منه شحوبا واتكماشا . شعرت بغصة ، أعترف بذلك ، فليس من السهل على شخص

مثلى أن يشعر بالضعف وأنا طوال حياتى لم أكف عن التمرد على الضعف بكل أشكاله . ولكن غصتى لم تلبث أن توارت حينما حبست عنها تفكيرى ذاك واستمررت بالمسير . قطعت ذلك الممر المحفور بجانب البحيرة على صوت صدى قطرات المياه التى مازالت تتساقط وكأنها تؤكد أنها قطرات الحياة الأبدية ، لن تنتهى إلا بنهاية الحياة نفسها . ثم ، وبخطوات واجفة ، نزلت فى ذلك الدرج الذى أضافوه حديثًا فى نهاية الطريق هو وذلك الصور الذى يفصل البحيرة عن شاطئها ثم استقررت على الأرض .

هنا كنا نجتمع ، هنا كنـــا نخطط ، هنـــا أصبنا بأقصى درجات الذعر حينما شعرنا بأن المشروع الذى استهلك منا كل أعصابنا مهدد بالفشل . هنا كان (بدر) يتحدث باستمرار دون أن يكف جسده عن التحرك لحظة واحدة . هنا كان يعقد (سفيان أبو حماد) ذراعيه دائمًا وهو يتحدث ويفكر ويقترح ويصرخ حتى . أين ذهب هؤلاء ؟ هناك من لا يزال حيًا .. وهناك من مات ولكنه أوصل لأولاده وأحفاده حياة حرة .. حياة حية !

هنا تكسرت قيود الحجر التى كبلنا بها النظام طول حياتنا .. وهنا ولدت حرية أطفالنا وأحفادنا . ماذا كان سيحدث لو تقاعسنا

عن العمل واستسلمنا لتلك القيود ؟ كيف كان سيكون مصير أطفالنا وأحفادنا بل وأحفاد أحفادنا ؟

كم واحدًا منهم كان سيعتقل ؟ كم واحدًا منهم كان سيفقد عقله رعبًا وعقابًا ؟ كم واحـــدًا كان سيتعرض لعملية مسح لذكرياته وخصوصياته فتتمزق شخصيته قبل مخه ؟ ارتجفت شفتاى حينما بلغت بتفكيرى هذا الحد فهززت رأسى وكأننى أنوى نفض غبار هذه الذكريات عن ذهنى ولكن هذا لم يمنعنى من أن أتقدم أكثر وأقف فى مواجهة ذلك الحائط الكبير فى صدر المكان وأقول كلمة واحدة :

ــ « الصور .. »

مع لفظى للكلمة ، اهتز خلفى جزء من سطح البحيرة بعض الوقت قبل أن يرتعد الماء عنده بقوة وتتفجرعدة بقع منه بارزة تلك الصور الثلاثية الأبعـــاد وكأنها كانت غارقة هنـــاك وانقضت على الحائط الذى أقف قبالته وتراصت على سطحه بتعاقب وسلاسة . كانت صور رفاقى ، أحبتى الذين أمضيت معهم أجمل فترات حياتى ، فترات الحرية التى كانت تتخلل فترة دائمة من الحجر . هذه لــ (سفيان) وهذه لــ (بدر) وهذه لــ (جمال) وهذه لــ (عفاف) .. زوجتى ..

توقفت ببصرى عند (عفاف) عضو الشرف فى المنظمة وأمينة سرها وتذكرت رغما عنى صراخ ابنى (محمد) حينما كان صغيرا وقامته حينما كبر وتزوج وأنجب وصرخات ابنه التى لا يطلقها ذلك الوغد إلا حينما أكون موجودا عندهم فى البيت . ذلك الوغد يستمتع جدًّا بإغاظة جده ، لحسن حظه أننى لست من هواة لطم أخداد الأطفال أو حتى الصراخ فى وجوههم ، لعله ذلك الوغد الصغير كان يعلم ذلك !

ابتسمت رغما عنى وأنا أجوس فى صورة زوجتى وأنتقل منها إلى صور باقى زملائى إلى أن انتهيت من تصفحها كلها فسرت إلى الأمام بضع خطوات أخـــرى وتوجهت إلى منصة واسعة هناك ، توقفت أمامها وقلت كلمة واحدة :

ــ « القصاصات .. »

وهـــذه المرة وبتكنولوجيا مختلفة بدا سقف المكان الذى يعلو تلك المنصة وكأنه يتشقق وبعض الأحجار منه تتفتت وتتساقط إلى الأسفل فوق المنصة مرتطمة بسطحها قبل أن تتألق فجأة وتختفى . ومن وراء تلك الشقوق تساقطت عدة أوراق لجرائد قديمة وشرعت تتهاوى الورقة تلو الأخرى على المنصة وراحت تتراص أمامى بسلاسة ، وعلى سطح بعض منها كتبت عدة أسطر :

1 ـ (جواد) .. عن شبكة إنترنت جديدة نتحدث !

2 ـ منظمة جديدة تدعى منظمة (ض) العكسى تنجح فى قلب أساس العالم فى عقول من فيه !

3 ـ من عمق كهف الحرية .. انطلقت شرارة (ض) العكسية .

4 ـ جواد الحرية الموعود يقود معركة تحرير العقول .

وفى أسفل كل قصاصة استقر اسم .. (جريدة الحرية) !

يا لغرابة القدر ! الجريدة التى أشرفت فى الماضى على كل أنواع الحجر والبث الكاذب لكل الأخبار التى من نوعها زيادة درجة ارتجاف المواطن من النظام الحاكم أصبحت فيما بعد أهم جريدة تدافع عن حرية الأفـــراد ! أطلقـــت ضحكة مكتومة فى شرود قبل أن أنتزع نفسى من أفكارى وأترك كل هذا متوجها إلى ذلك الدرج فى ركن المكان ، تمت إضافته حديثا إلى المكان أيضًا ، صعدت فيه إلى أن وصلت إلى بساط أزرق متحرك ينقل الواقف فوقه إلى صخرة كبيرة نوعًا مزودة بأجهزة دفع مقاومة للجاذبية ، لذلك كانت الصخرة تعلو المكان وتستقر فى الوسط حتى لتخال أنها معلقة بحبل خفى لأعلى . وقفت على البساط ثم انتظرت فوقه وهو يسير بى بانسياب حتى وصلت إلى الصخرة ، صعدت فى ثلاث درجات حفرت فى الجانب منها ثم وقفت فى

مواجهة وسادة خضراء زينت بقطع من أحجار كريمة وفى منتصفها استقر ذلك الشىء . مددت يدى إليه ، أمسكته بأصبعى ثم قربته من عينى ، كانت كبسولة البرنامج التى ابتلعتها منذ أكثر من أربعين عاما . هل تذكرونها ؟ . ودون وعى منى ، أحسست بابتسامة تنبت بداخلى فتركتها تستعر وتشتعل إلى أن أصبحت متوهجة على شكل ضحكة قوية شملت المكان بماضيه وحاضره وأنا أقف فاردًا ذراعى من فوق الصخرة ناظرا إلى البحيرة التى أطل عليها كزعيم أسطورى وتلألؤ مياهها ينعكس على وجهى فيما صوت ضحكاتى يتردد فى فراغ الكهف مداعبا مياه البحيرة راقصا مع قطرات المياه المتساقطة من فوق صانعا لوحة حية .. حرة .. فى كهف فريد .

كهف حرّ .

* * * *

تمـــت

الاسم : عبد الصمد الغزواني

الدولة : المغرب

العمر : 25 سنة

بذرة الحيــاة

استمر الشتاء طويلاً .. وعندما بدأت أضواء الأشعة الأولى تأتى من النجم البعيد .. استيقظت أجهزته بتناغم من سباتها .

ارتعش جسده للحظات ، ثم تحــرك ببطء ، ووقف ثابتًا فى مكان مشمس ليحصل على المزيد من الضوء .

كانت التقديرات كلها مغلوطة ، أجرى حساباته مرة أخرى ثم أرسل التقديرات الجديدة للأرض ، الشتاء على الكوكب يستمر لسبعة أشهر والصيف لثلاثة أشهر أرضية .. ثم خمسة أشهر من ازدهار الحياة ، قبل أن تعود الدورة مرة أخرى .. هناك ثلاث شموس حول الكوكب وهو يدور حول النجم الأكبر فى مدار عجيب جدًا ، وتدور الشموس الأخرى فى مسارات أخرى حول نفس النجم ، وهذا نتج عنه عدم وجود ظاهرة ليل/ نهــار . فى الصيف هناك نهار دائم ، وفى الشتاء غيوم دائم ، وفى فترة الازدهار هناك ضوء ربيعى مشمس .

كان الحسابات التى حصل عليها قبل أن يحط على الكوكب أن الشـــتاء يستمر لمـــدة خمسة أشـــهر ، وهكذا فى نهاية فترة الازدهـــار خزن طاقة كافيـــة لهـــذه المدة ، ولكن أشعة الشمس

تأخرت ، واصل بنفس معدل استهلاك الطاقة لمدة أسبوع ، ثم بدأت أجهزته تصـــاب بالأعطال ، اختـــار كهفًا صغيرًا بعيدًا عن العواصف الرهيبة على سطح الكوكب ، وأوقف كل أجهزته فى انتظار الصيف ، وعندما شعر بالدفء أخيرًا ، خرج ليقوم بمهامه .

كان « سام » 101 روبوتًا تابعًا لمشروع أرضى عملاق تحت اسم « بذرة الحياة » ، كان شعار المشروع : بذرة الحياة العاقلة فى كل مكان ، وعلينا البحث عنها ..

منذ عشرات السنين لاحظ العلماء على الكوكب الأم أن هناك مئات من أشكال الحياة على الكواكب البعيدة ، وعندما عادت إحـــدى السفن ومعهـــا فواكه وحشرات من كوكب بكر ، أصاب الذهول العالم من احتمال وجود حياة عاقلة فى مكان ما ، وهكذا تم ابتكـــار الروبوت « ســـام » المجهـــز بالذكاء الاصطناعى ، وإرسال آلاف الروبوتات إلى آلاف الكواكب للبحـــث عن إنسان الفضاء ، عشرات السفن غادرت الأرض دون بشرى واحد ، تقترب من الكوكب ، ثم تقذف الروبوت كدانة المدفع نحو الكوكب ، ثم تكرر العملية مع كواكب أخرى ، والروبوت يعرف جيدًا كيف يمكنه الهبوط والحفاظ على وجوده .

انتهى « سام » 101 من إرسال الرسالة إلى الأرض ، ثم بدأ يجرى فحصًا دقيقًا لكــل جهـــاز فى جسده الإلكترونى ، كانت الأجهزة على ما يرام ولكنه أحس بشىء ما تغير ، لا يعرف ما هو .. لذا أجرى مسحًا شاملاً لذاكرته أثنـــاء فتـــرة السبات ، ما وجده هو الظلام الدامس وتسجيل لأصوات العواصف والرعد فى الخارج ، ثم وجد شيئًا عجيبًا .. مئات العمليات الحسابية المعقدة جرت داخله أثناء فترة السبات ، كان هناك الكثير من الجذور التربيعية والتكعيبية والمعادلات الفيزيائية والفلكية المعقدة ، حاول أن يتذكر متى بالضبط أجرى هذه المعادلات وما السبب ، ولكنه لم يحصل على إجابة ..

ولسبب ما لم يفعل مثلما علمه صانعوه على الأرض ، إذا وجدت عقدة منطقية فى سلوكك أو سلوك الطبيعة فعليك أن تعود إلى البرنامج الأصلى ، ذكاؤه نبأه أنه سيفقد جزءًا من ذاته إذا فعل هذا ، لم يكن يفهم ماهية النوم عند البشر ولكنه عرفه عندما حصل على فترة السبات ، فكر أنه سيعرف معنى النسيان إذا مسح ذاكرته الحالية وعاد إلى الذاكرة الأصلية ، ثم تساءل ما مدى شبهه بصانعيه ؟ الروبوت « سام » 1 كان يفكر بنفس طريقة صانعه لدرجة التطابق ، كان يمكنه معرفة ردود الفعل

البشرية ومتى سينسى سيده إناء الشاى على النار ومتى سيحب أن يسمع بعض الموسيقى ، وفى كل مرة كانا يلعبان الشطرنج كانت اللعبة تنتهى بالتعادل ..

ولكن السـيد وضـــح أن الفرق بينـــه وبين الروبوت ؛ أن الروبوت لا يعرف معنى الطمـــوح أو الأحـــلام ، وهكذا تساءل « سام » 101 .. هل حلم أثنـــاء فتـــرة السبات بتلك المعادلات الفائقة ؟..

واستمر السؤال يتردد داخله .

....

بعد ثلاث سنوات كان قد دار حول الكوكب عدة مرات وعرف معلومات هائلة عن الكوكب ، أرسل كل شىء إلى الأرض فحصل على رد غير مرحب ، لم يجدوا حياة عاقلة ، هذا يعنى أنه لا أهمية للكوكب ، ولا أهمية لـــ « سام » 101 بدوره ، أمروه أن يستمر فى مهمته حتى إشعار آخر ، ثم قطعوا الاتصال بينه وبين الأرض ، الآن صار أهميته تساوى أهمية سلة من المخلفات المعدنية. شعر بالوحدة على الكوكب الكبير ، خاصة وأنه سيظل على هذا الكوكب حتى النهاية .

كان الجزء الأكبر من الكوكب مكونًا من الرمال المختلطة بالماء والأحجار الصغيرة ، عندما يأتى الصيف كان الجليد يذوب ويغلى بقسوة ويتبخر ، ويفقد الكوكب مئات الأمتار من قطره ، كانت الحرارة تتجاوز أحيانا المئة درجة مئوية ، كان الكوكب ضخمًا ولكنه يقترب بشدة من نجمه الأكبر فى فترة الصيف ، ثم يبدأ فى الابتعاد تدريجيًا حتى يصل إلى بقعة مثالية فى درجات الحرارة ، وهكذا تتجمع السحب ويبدأ أسبوع من الأمطار الكثيفة المتواصلة ، ينتهى لتدب الحياة فى كل مكان .

هناك عدة أنـــواع مـــن النباتات ، ولكن أهمها نبات ضخم له بوتقة منتفخة ، كان هذا النبات حيويًا للمخلوق الحيوانى الأهم على ظهر الكوكب ، هذا الحيوان كان يشبه الجرذ إلى حد كبير ، ولكنه لا يتحمل الشتاء أو الصيف ، فى نهاية فترة الازدهار كان يضع بيضه داخل النبات ذى البوتقة ، ينقرض الحيوان فى نهاية فترة الازدهار ولكن البيض يظل سليمًا داخل النبات ، ويستمر النبات طوال فترة الشتاء الطويلة ، وفى نهاية الشتاء تتجعد البوتقة بشدة ويفقد أوراقه وسيقانه لينتهى به الأمر كقطعة من الحجارة الصلبة للغاية ، وهكذا يحمى البيض فى فترة الصيف الصعبة ، ثم تبدأ دورة الازدهار مرة أخرى ، ليستيقظ الكائن

أولاً ويخترق النبات الميت ، وهكذا يجد الهواء طريقه إلى بذرة النبات ، فيبدأ فى النمو بدوره .

ولفترة طويلة وبعدما انقطع الاتصال بالأرض ، ظل « سام 101 » يتابع العملية دون أن يتدخل مطلقًا ، ولكنه كان يسلى نفسه دائمًا بوضـــع عشرات السيناريوهات المحتملة ليبدأ الكوكب فى التطور .. ثم فكر لماذا لا يشارك فى هذه العملية ؟.. وماذا يحدث لو أخذ حيوان الجرذ وقتًا أكبـــر من فتـــرة الازدهار المحدودة ليعيش ؟..

كان تنقله فى فترة الصيف أسهل بكثير ، أجهزته تستطيع تحمل الحرارة والضوء ، فى فترة الازدهار يغدو التنقل صعبا لأنه يغوص باستمرار فى الرمال المشبعة بالماء ، وهذا يستنزف طاقة كبيرة ، فى الشتاء يكسو الجليد الكوكب وتصبح الأرض صلبة ولكنه أيضًا يتنقـــل بحـــذر ، هو يخزن طاقة كبيرة كافية للاستمرار ، ولكنه لا يضمن مقدار الطاقة التى يحتاجها للتنقل فى ظل تلك العواصف الرهيبة ، ذات مرة استنفد معظم مخزونه من الطـــاقة وقبـــل أن يأتى الصيف بأسبوعين ، وهكذا صعد إلى قمة أحد الجبال وانتظر أن يضربه البرق ، بعض أجهزته

تضررت ولكنه أصلحها بسرعة ، وقرر أن يجد طريقه أسهل للحصول على الطاقة وقتما شاء .

كان يحتاج إلى المعادن من أجل بدء خطته ، بحث فى الكهوف كثيرًا ودار حول الكوكب عـــدة مرات ، وفى النهـــاية قرر أن يستخدم أسلحته المحدودة للبحث عن المعادن ، يشحن طاقته كلها ، ثم يوجهها نحو الجبال ، نفذ العملية عدة مرات حتى وجد أخيرًا عروق النحاس ، وقبل بداية فصل الشتاء كان قد صنع أعمدة طويلة من النحاس ، ووضعها فوق الجبال ، ومد أسلاكًا قوية لينتهى كل هذا داخل كهف واسع وعميق .. وهكذا وجد مصدر طاقة جيدًا فى الشتاء ..

كرر عملية الشحن وضرب عـــدة مرات أخرى ، واستطاع الحصول على مناجم كاملة من المعادن المختلفة ، النحاس والحديد والذهب ، ثم كون فى أعمق جزء من الكهف أداة لإذابة المعادن ، كان الكوكب ينقصه العديد من المعادن التى يحتاجها ، ولكنه وجد العديد من العناصر غير المعروفة على الأرض والتى يمكن استخدامها .

صنع جهـــازًا لتخزين الطاقة ، كـــان بدائيًّا وكل مهمته هو الحصول على الطاقة من أعمدة البرق ثم تخزينها لفترة الشتاء ، ولكن هذا كان كافيًا جـــدًّا لخطته ، أذاب الرمـــال وصنع منها الزجاج ، وملأ أرجاء الكهف بالمصابيح وأدوات الإنارة والتدفئة ، وهكذا أمكنه الحصول على درجة تدفئة معقولة فى الشتاء ، وفى خارج الكهف وضع العديد من المرايا العاكسة ومراوح عملاقة ، وهكذا أمكنه الحصول على درجة حرارة معتدلة فى الصيف .

كان يعرف أن كل ما فعله لن يصمد طويلاً ، ربما بعد عشرين عامًا من الآن سينهار كل ما بناه ، ولكنه كان يحتاج إلى التجربة ليعرف مقدار خطئه .

....

استمر حيوان الجرذ داخل الكهف يفعل ما يفعله خارج الكهف طوال عامين ، « سام » 101 صنع بيئة مثالية لاستمرار الحياة فى الشتاء والصيف ، ولكن الحياة رفضتها بقسوة ، فى نهاية فترة الازدهار وعلى الرغم أن البيئة مختلفة ، كان الجرذ يضع بيضه فى النبات ذى البوتقة ، ثم يموت ، حتى النبات تكلس فى السنة الأولى وفعل ما يفعله كل عام ، ولكن فى السنة الثانية ظل حيًّا ، وخرجت منه أعداد كبيرة من الجرذان

فكر « سام » 101 هل يمكن أن تنبت الحياة العاقلة فى النبات ؟.. بحث عن حل للمعضلة .. ولكنه وجد أن الأرض تريد حياة عاقلة يمكنها أن تتحرك وتتكلم ، لا يمكن أن يحدث هذا للنبات ، وهكذا قرر أن يحطم سلسلة الارتباط بين النبات والجرذان .

صنع حاجزًا يفصل بين النباتات ذوات البوتقة والجرذان ، فى البداية ماتت أعداد كبيرة بدافع الجوع ، ولكن بعض الجرذان تأقلمت مع النباتات الأخرى وبدأت تحصل على غذائها منها ، ثم فى نهاية فصل الازدهار ، وضعت الجرذان بيضها فى الرمال بعيدًا عن النباتات ذوات البوتقة ، ثم ماتت بدورها .

كانت النتائج مخيبة ولكنه استمر فى التجربة ، انتقى بعض الجرذان القوية ثم وضـــعها فى حواجز ســـلكية ، وبدأ يعرضهم لمجموعة من الاختبارات المضنية ، عرضهم أولاً للحرارة المرتفعة ، ثم خفض درجات الحرارة إلى ما تحت الصفر ، الكثير من الجرذان هلكت ، ولكن بعضها استمر ، كرر العملية أكثر من مرة ، ثم عرضهم للجـــوع الشديد ، نشـــبت معركة بين الجرذان ، وبعضهم التهم جثث الموتى من الجـــوع ، وفى نهاية فترة الازدهار ، كان لديه ثلاث إناث وسبعة ذكور قادرين على

الاستمرار بعد فترة الازدهار ، وخرج نسل مختلف من الجرذان يستطيع العيش فى الصيف والشتاء ، أحس بالفخر أنه نجح فى كسر قوانين الطبيعة.

بعد خمس سنوات أخرى كان قد صنع مختبره البيولوجى داخل جزء من الكهف ، كانت عمر بعض الجرذان قد تجاوز العامين وأحجامها صارت أكبر بثلاثة أضعاف من الأجيال السابقة ، وهكذا بدأ فى تشريح أمخاخ الجرذان ليفهم أكثر.

انتقى مجموعة من الجرذان ثم أخضعهم لمجموعة طويلة من الاختبارات والألعاب ، اختبارات المتاهة وكيفية فتح المصيدة وأسهل طريق نحو الطعام ، وفى كل مرة كان ينتقى مجموعة أقل عددا من الجرذان ، ثم يتخلص من الباقى خارج الكهف ..

ثم بدأ اختبارات أصعب للتعلم بطريقة (افعل ولا تفعل) ، ضغط زرًا صغيرًا بأنف الجرذ أو جذب رافعة بسيطة بحوافره الأمامية ، كانت العميلة صعبة للغاية ولكنه استخدم أساليب بافلوف فى التعلم ، شحنة كهربية مؤلمة عند الخطأ ، وعقار استطاع صنعه يمنح النشاط للجرذ عند الصواب ..

بعد عشر سنوات أخرى خرج نسل من الجرذان أذكى بمراحل من الأجداد ، بعضهم صنع الأنفاق تحت الرمال ليصل إلى النباتات ذوات البوتقة التى تفصلها الأسلاك عنهم ، لم تنس الأحفاد بعد مذاق النبات ، وأهّلها ذكاؤها هذه المرة للحصول على وجبة دسمة .

....

بعد مرور مئة عام من وجوده على الكوكب ، كان الكهف قد تغير تمامًا ، والطبيعة فى الخارج تمارس عملها الدورى .

كان قد أجرى العديد من الإصلاحات الضرورية فى الكهف ، وابتكر أجهزة إعاشة أخرى يمكنها أن تعمل لقرون دون تدخل منه ، وصنع تقنية بداخل الكهف ، بحيث أنها تمتص الماء من الرمال خارج الكهف ، ثم تعيد ضخها داخل رمال الكهف ، وفى الماء كانت تكمن بذور النباتات ، وهكذا تحصل الجرذان على الماء والغذاء دون تدخل منه .

وهكذا ركز معظم طاقته لدراسة الحياة الأخرى فى الخارج ، كانت هناك أنواع مــن البكتيريا والفطريات وأشــكال الحياة العضوية الأخرى ، هناك بعض الحيوانات صغيرة الحجم للغاية

وبعض الحشرات أيضًا ، كان يحتاج إلى عدو لينشط هذا العالم ، فصنع الفيروس الأول على ظهر الكوكب ، وصنع مصلاً مضادًا له ، ثم أطلقه على الجرذان وأعطاهم المصل المضاد ، الأغلبية هلكت ، ولكن الأقلية التى نجت كانت كافية لبناء عالم جديد من الجرذان لها مناعة ضد الفيروس ، وهكذا ابتكر مجموعة أخرى من الفيروسات ، وفى كل مرة كانت الجرذان التى تكتسب مناعة من الفيروس الجديد ، يزداد معدل عمرها وحجمها وسرعة استيعابها ..

فقدت الجرذان حوافرها الأمامية ، وصارت الجرذان أقل سرعة وأكثر كســلا ، ولكــن بعضها استطاع تسلق الجدران والحفر بسرعة أكبر فى الرمال ، لاحظ أن بعضهم كان ينتصب واقفًا للحظات ثم يعود إلى قوائمه الأربع مرة أخرى .

أجرى العديد من الاختبارات ، وصنع بعض الأجهزة المساعدة للجرذان وحقن البيض ببعض العقاقير التى تجعل عظامهم أكثر قوة ، وفى نهاية القرن ، كان قد خرج نسل آخر يستطيع الوقوف على قوائمه الخلفية دون صعوبة .

....

بعد قرن آخر كان الكوكب قد تغير تماما .. هناك مئات من أعمدة البرق فوق عشرات الكهوف ، مئات من المرايا العاكسة والمراوح وطواحين الهواء ، واكتشف كهوفًا أخرى عميقة فى باطن الكوكب تحتفظ بالماء فى الصيف ولا تتجمد فى الشتاء ، ووجد داخلها حياة أخرى مائية ، صنع أنفاقًا بين الجبال ووضع بداخلها الجرذان والنباتات ، وصنع تقنية لتصل المياه إلى تلك الأنفاق دون تدخل منه ، كانت الحياة الدائمة تدب فى أعماق الكوكب .

الجرذان اكتسبت مهارات عديدة ، صارت أكثر قدرة على التذكر والاستيعاب ، وتشكلت أيد صغيرة قادرة على الإمساك بالأشياء ، واستطاعت أن تتنقل فى وضع منتصب ، وتشكلت لغة بسيطة للتفاهم بين الجرذان بدلاً من الصرير الخافت غير المفهوم ، كان الوعى يدب بين الجرذان وشرارة الذكاء تنتقل ببطء ، ولكنه كان راغبًا فى تسريع العملية أكثر ، لم يكن « سام » 101 خالدًا إلى الأبد ، لقد أصاب بعض أجزائه التلف ، ولكنه كان قادرًا على إصلاحها ، ولكنه فكر متى يدب التلف فى عقله الإلكترونى ؟.. هذا شىء غير قادر على إصلاحه .

وهكذا بدأ فى تجارب أكثر جرأة ، بدأ يعرض جينات الجرذان لجسيمات ألفا وبيتا وجاما ، ويتابع التحور الجينى ، لم يكن لديه الدراية الكاملة عن فائدة ما يفعله أو ما يمكن أن تصل إليه النتائج ، ولكنه لم يشعر بالملل ، كان قادرًا على التعلم ، واستمر فى تجاربه لفترة زمنية طويلة ، قبل أن يجرب مجموعة من الألعاب الجينية المختلفة ، يمزج جينات الجرذان بجينات الحيوانات الأصغر والمخلوقات المائية والحشرات ، ثم يضع الخليط الجينى فى بيضة جرذ وينتظر النتيجة ..

النتائج كلها جاءت مخيبة على صعيد التطور لصنع كائن عاقل ، ولكنه صنع تنوعًا هائلاً من المخلوقات الجديدة ، جرذان تمتلك خياشيم ، مخلوقات أشبه بالزواحف ، مخلوقات لها زوائد عظمية يمكن أن تفتح باب الخيال لنمو أجنحة .. كان الكوكب يتغير ، واستمر فى تجاربه لفترة طويلة حتى إنه قضى العقد الأخير من القرن دون أن يخرج من الكهف الرئيسى .

....

عرف الروبوت « سام » 101 ثلاثة مشاعر جديدة فى ذلك اليوم .. الأسف والدهشة والفرح .

عرف الأسف عندما كان يزور أحد الكهوف البعيدة ، لاحظ أن كل شىء محطم ، أعمدة البرق والمراوح والمرايا العاكسة ، كان الشتاء قاسيًا وقد عصف بكل شىء ، دخل إلى الكهف ولاحظ أنه لا وجود للحياة ، حتى النباتات القادرة على الصمود فى الشتاء اختفت .

وفى أعمق جانب من الكهف وجد ما أصابه بالدهشة ، حيوانات الجرذ موجودة وحية ، ومحتفظة بكميات هائلة من النباتات ، صحيح أن الجرذان كانت ضربات قلبها منخفضة للغاية ، ولكنه قارنه بالبيات الشتوى التى تقوم به الكائنات الأرضية ، وهكذا أصابه الفرح الشديد ، الحياة أثبتت أنها قادرة على البقاء .

راقب نشاط الجرذان فى ذلك الكهف ، وعندما جاء الصيف استيقظت الجرذان واقتات من مخزون النباتات ، وفى فترة الازدهار خرجت الجرذان من الكهف لتملأ الكوكب بحياة مختلفة تمامًا عن الحياة بالخارج .

....

مرت خمسمائة عام على وجود « سام » 101 على ظهر الكوكب ، وتغير كل شىء ، هناك حيوانات تزحف وحيوانات تطير وحيوانات تغوص ، هناك نباتات وحيوانات وحشرات صارت قادرة على مقاومة الصيف والشتاء ، الجرذان تخلصت من الكثير من الصفات الحيوانية وأصبحت أكثر ذكاءً ، أصبحت قادرة على المشى على قوائمها الخلفية وتخلصت من عادة المشى على أربع إلى الأبد ، أصبحت الجرذان قادرة على مغادرة الكهوف والعيش خارجها فى فترة الازدهار ، وتعود تلقائيا إلى الكهوف فى فتـــرة الشـــتاء والصـــيف ، أصبحت تعيش لفترات أطول تقدر بعشرين عاما ، وتضخمت أدمغتها كثيرًا ، وتعود « ســـام » 101 أن تقـــف أمامه بعـــض الجرذان وتتأمله فى حيرة ، وتكاد تخرج أصـــوات مفهومة من فمها ، ولكنها تغادر بعد أن تمل وتطلق أصواتًا خافتة تعـــد بلغة قـــادرة على التعبير فى يوم ما .

وبينما كانت الحياة تدب فى كل شبر على ظهر الكوكب ، كان « سام » 101 يفقد جزءًا من ذاته كل يوم ، هناك نقاط سوداء كثيرة

من ذاكرته ، حاول أن يتذكر الجذر التكعيبى للرقم 1412514885 ، ولكنه لم يفلح ، فكر هل يختبر الشيخوخة الآن ؟

ولكنه استمر فى تجاربه حتى أحس أن النقاط السوداء صارت أكثر عددا ، هناك معلومات أساسية كثيرة فى ذاكرته لم يفلح فى استعادتها ، حاول أن يتذكر طول ساعة كاملة السر فى وجوده على ظهر الكوكب ، وأفلح فى النهاية ، نقش السر على أحد جوانب الكهف لكى لا ينساه أبدًا ، ثم بدأت أجهزته الأخرى تصاب بالأعطال ، ذراعه اليمنى فقدت قدرتها على الحركة ، الرؤية صارت ضبابية أكثر ، وعندما حاول التنقل داخل الكهف ، سقط ولكنه استطاع النهوض بعدما استنفد طاقة كبيرة .

وهكذا جلس فى ركن قصى من الكهف ليشاهد الحياة التى تتنوع وتنمو لسنين طويلة ، لم يعد يعرف متى يأتى الشتاء ومتى تأتى فترة الازدهار ، لقد تغيرت الحياة على ظهر الكوكب تمامًا ، وأصبحت الجرذان قادرة على العيش طوال الوقت فى الخارج ، تطورت أجسادها وحفرت الأنفاق واحتفظت بالماء واستطاعت أن تعيش فى درجات حرارة قاسية ..

وبينما كان « سام » 101 يلفظ أنفاسه الأخيرة كان يختبر شعور الأبوة ، كان مخلوقًا مختلفًا تمامًا عن الجيل الأول من الجرذان يقف أمامه ويتأمله بدهشة ، كان يشبه إنسانًا قزمًا وله وجه طفولى وشعره مشعث بشدة ، ولكن نظرة الذكاء كانت تشع من عينيه ، اقترب المخلوق ببطء ليتحسس جسد « سام » 101 المعدنى ، وهنا تردد نداء أخير داخل عقل « سام » 101 بأن يرسل الرسالة التى انتظرتها الأرض منذ قرون عديدة ، استخدم طاقته الأخيرة ليقول :

« لقد صنعت الحياة العاقلة »

انتـــهى

إسلام مصباح عبد المحسن (مصر)

1945

2009/10/21

هأنذا أبدأ بكتابة أولى صفحات مذكراتى .. لعلها تساعدنى على معرفة الحقيقة .. حصيلتى اللغوية لم تقدم لى يد العون فى إيجاد مسمى آخر سوى (مذكرات) .. فأنا لا أكتب كل ما مر بى من أجل عمل سيرة ذاتية .. لذلك أفضل أن أستعيض بكلمة (أحداث) بدلاً من (مذكرات)

فربما يأتى الوقت الذى .. ...

فلأدع تلك المهاترات جانبًا وأصفى ذهنى لكى أعرف من أين أبدأ ..

الحقيقة لا أعرف من أين أبدأ ..

الســاعة الآن الحــادية عشرة والنصــف مساءً .. بتوقيت القاهرة فى سنة 2009 .. لا يحتاج الأمر إلى كل هذا التحذلق بالطبع .. إلا من الضرورى جدًا ذكر التواريخ بدقة ..

أنا الآن فى حيرة لم أحسمها بعد .. فأمامى عدة خيارات

هل أبدأ بكتابة مذكرات من أولاً (طارق) أم (أحمد) ؟

أم كل شخص يكتب مذكراته بنفسه ؟

أم أكتب مذكراتى أنا و(أحمد) .. وكذلك (أحمد) يكتب مذكراته هو وأنا ؟

كل اختيار له مميزاته وعيوبه .. وللأسف لم أتخذ القرار الحاسم بعد .. فأنا فى تلك الحيرة منذ عقد النية على الكتابة .. واعتقدت أن القلم والورق بسحره وشموخه .. سوف يلهمنى الحل ..

* * * *

الساعة الآن الثانية عشرة إلا دقيقتين ..

لقد اتخذت قرارى .. من يقرأ هذه الصفحات الآن فليعلم أن (أحمد) سيكتب مثلها ـــ لمراعاة الدقة ـــ نسخة قريبة جدًا منها ..

* * * *

اسمى (طارق) .. (طارق) حسين السيد بيومى

سنى 19 عامًا .

طالب بكلية العلوم .

بينما (أحمد) يدعى (أحمد) رجب محمد حنفى

وطالب بكلية الآداب ..

سنه مثل سنى .. فنحن الاثنان شخص واحد .. أو هكذا يبدو ..

لا أتذكر حقيقة متى حدث هذا ..

الشىء المؤكد هنا أننى أعيش تلك التجربة يوميًا .. التجربة والتى بتكرارها أفقدتنى الشعور بالوقت والإحساس بالزمن .. لا أعلم الواقع من الوهم .. لدرجة أننى لا أصدق أن فى يدى قلما أدون به مذكراتى فى هذا الدفتر .. برغم كونهما شيئين ملموسين لهما جميع الخواص الفيزيائية المتعارف عليها .. من وزن وكتلة وحجم .. ورغم هذا فأنا أدون مذكراتى لعلها تكون الحل المناسب .. وترشدنى إلى الحل .

* * * *

أنا لا أحلم .. إذا أردنا أن نجد شخصًا لم يحلم طوال حياته فهأنا هذا الشخص .. وياله من تناقض .. فحياتى كلها تبدأ وتنتهى من السرير .. حياتى أشبه بدائرة .. تبدأ من حيث تنتهى وتنتهى من حيث تبدأ ولا أعلم لها بداية ولا متى ستنتهى ..

أرى أن الوقت قد تأخر .. وعلى الاستيقاظ باكرًا كى لا تفوتنى المحاضرة الأولى

* * * *

1945/4/26

اسمى (أحمد) رجب محمد حنفى

سنى 19 عامًا ..

طالب بكلية الآداب جامعة القاهرة ..

والدى يعمل موظفًا بسيطًا بهيئة السكك الحديدية .. لى من الإخوة اثنان

هل أكتفى بهذا ؟؟.. فلأسهب قليلاً ولأضيف بعض التفاصيل عنى حتى تتحدد كامل الشخصية

أعتبر من ضمن الطلبة الواعدين .. آمل بأن أعمل فى مجال الصحافة .. لى عدد من المقالات التى تصدر فى مجلة الكلية .. تستنكر العديد من الأوضاع وهذا فى الإطار المسموح به بالطبع ..

والدى ـ ولا أعلم هل أقول رحمة الله عليه أم لا ـ .. ينصحنى دائمًا بالبعد عن أى تصرفات تؤدى إلى جلب المشاكل ـ يبدو أن جميع الآباء تفعل ذلك فى العادة ـ خاصًا أنه يعلم

تمامًا ما هو رأيى تجاه الوضع الراهن .. بالإضافة إلى أمنيتى أن أصبح صحفيًا صاحب اتجاه فكرى مختلف ــ وهذا رأيه ــ مما جعله يعيش حالة من القلق المستمر .. ورغم هذا فهو لم يهبط من عزيمتى .. كل ما كان يفعله هو النصح والاستفسار ..

أشعر أنه يريد دفعى دفعًا لمواصلة طريقى .. إلا أن حماسى الذى كان يفوق تصوراته .. جعله يكتفى فقط بدور (قف) .. فعندما تجد ابنك يسير بسرعة الفيرارى فيجب عليك إما أن تكون مكبحًا محترمًا يتلاءم مع طراز وسرعة السيارة أو أن تمسك بيافطة (قف) وترفعها فى الوقت المناسب .. فأبى ينبهنى فى الوقت المناسب بما على فعله إذا أحس أننى أخطو بسرعة أكثر من المعتاد .. ولم يحاول أن يشعل حماسى أكثر فهو مشتعل أصلاً ..

إلا أن كل هذا يتغير ويتبدل بمجرد أن أنام .. ولا أعلم كيف ومتى حدث هذا !!

الأمر جد معقد .. حياتى أشبه بدائرة لا تبدأ ولا تنتهى .

ولا هناك طالب بكلية الآداب يتمنى أن يصبح صحفيًا ويمقت الملك ونظامه ..

ولا وجود لسنة 1945 !

* * * *

2009/10/22

كان هذا حديثًا عابرًا مع صديقى (هشام) وذلك كان بعد انتهاء المحاضرة الأولى بقليل ..

ــ يبدو أن الأمر وصل لذروته

قالها (هشام) محدقًا فى وجهى الذى ظهرت عليه آثار الإرهاق من جراء التفكير والأرق ..

فجاوبته مقتضبًا : نعم .. يبدو هذا ..

(هشام) : (طارق) .. ألا زلت مصرًا على عدم الأخذ بنصيحتى ؟

ــ أية نصيحة فعقلى مشوش قليلاً ؟

(هشام) : ــ بعد تنهيدة قصيرة ــ الذهاب للطبيب .. طبيب نفسى ..

ظهرت على وجهى معالم الضيق فقلت له : قلت لك قبل ذلك وماذا سأخبره ؟.. وإن أخبرته هل سيصدق ؟ وإن صدق ماذا سيفعل ؟

(هشام) : أنت لست خبيرًا فى الطب النفسى لكى تقول ذلك .. أخبرنى ما الذى تعرفه عن الطب النفسى سوى بعض الاختبارات

النفسية التى تجريها للتسلية وبعض القراءات العابرة للتحليلات النفسية .. بجانب مشاهداتك المعدودة للدكتور إبراهيم الفقـى .. بالله عليك من أين أتتك هذه الخبرة ؟ كى ....

قاطعته قائلاً : بالعقل يا (هشام) .. بالمنطق .. بالتكهن .. بالإحساس .. بالشعور .. بالمقاييس الفيزيائية .. لن يستطيع تقديم المساعدة لى ..

شعر (هشام) بهروب دفة الحديث من يده فقـال ممازحًـا : يا فيلسوف .. كيف تحكم قبل أن تجرب .. إن تركنا كـل شـىء لحكمنا وتقديرنا الشخصى فليذهب العلم إلى الجحيم .. فلا حاجة لنا به بعد الآن ..

نظرت له نظرة حائرة فأضاف : إن فى الحياة مئات بل آلاف الحالات المشابهة لحالتك .. بل والأكثر منها صعوبة .. أنت فقط لا تعلم .. وبعد ما أصبحت عليه فلا تريد أن تعلم كذلك .

(هشام) ليس فقط صديقى .. فهو أخى الذى لم تلده أمى .. من الشخصيات المميزة التى تثرى على حياتى .. مثقف ومطلع .. له تفكير مختلف عن معظم شباب جيله .. إذا أحس أننى فى مشكل فلا يتركنى إلا وقد قدم لى يد العون أو على أقل تقدير قائمة بمئات النصائح ..

ــ يبدو أن معك حقًا ..

ابتسم (هشام) ابتسامة أعلمها جيدًا .. وهى ليست بسبب قبولى لرأيه وانتصاره فى النهاية فـ (هشام) أكبر من ذلك بكثير .. بل من أجل قبولى لنصيحته التى ستفيدنى من وجهة نظره .. ابتسامة حنو من أخ يريد الاطمئنان على أخيه

وقال لى : أخيرًا .

ــ لكن انتظر .. لا تتعجل الفرح .. فلى شرط واحد ..

نظر لى (هشام) نظرة متفحصة وقد رفع قبضة يده فى اتجاه وجهى ولسان حاله قائلاً : (تتشرط والمصلحة مصلحتك إن قلمًا على وجهك لن يضر كثيرًا) فقال لى وهو يربت على كتفى : ما هو يا صديقى ؟

قلت له باسمًا : أن تذهب معى ..

* * * *

1945/4/27

ــ المعركة على أشدها فى برلين .. الرأى الشائع أنها ستتحول إلى إحدى المقاطعات السوفيتية خـلال أيام بل ساعات .. أنا

الوحيد الـــذى أعلم أنهـــا ستسقط وفى يوم 2 مايو بالتحديد .. وسيكون هناك استسلام غير مشروط بين برلين والسوفييت ..

كنت أحدث صديقى (حســـن) .. إن به العديد من الميزات إلا أن (هشام) صديق (طارق) يفوقه (جدعنة) .: كنا فى إحدى حدائق الجامعة .

(حسن) ــ بعــد أن أخبرته بإحدى تنبؤاتى المعتادة ــ : لقد سمعت هذا كثيرًا منك .. عــامة سنرى ما إذا كان توقعك صحيحًا ... أو أن الفوهرر سيفعل شيئًا ..

قلت له ساخرًا : انتظر .. ولا تنس عنــدما تسمع مصطلح (مشروع مارشال) أن تتذكرنى ..

أتذكر فى السابق عندما صارحت (حسن) بما يحدث لى .. تمنيت أن أجد الحل عنده ..

نظر لى مستغربًا وقال لى : أنت صاحب خيال واسع ..

ــ هل سبق وعرفت عنى أننى أكذب ؟

ــ بعد عدة همهمات ــ : أنا لا أقول أنك تكذب بل .. ...

نظرة نارية من عينى وجهتها مباشرة لعين (حسن) قائلاً :

هل سبق وكذبت عليك فى شىء ؟

يبدو أن النظرة النارية قد آتت مفعولها فأجاب مسرعًا : لا

ــ أقسم بالله أن ما أقوله لك هو الحقيقة ..

ــ لكن هذا جنون ..

وصمت قليلاً ثم استطرد قائلاً : كيف أصدق أنك تنبأت بما سوف يحدث مستقبلاً ؟

صحت به : يا أخى لا تفهم ما تريد أن تفهمه فقط .. أنا لا أتنبأ بل أعيش .. أنا أعيش حياة أخرى فى زمن آخر .. زمن يفصل بينى وبينه 65 سنة .. بنفس الشخصية باسم آخر .. اعلم ما الذى حدث بالطبع خلال 65 سنة .. لو أن هذا جنون ...حسنًا فهذا جنون ..

قاطعنى حسن قائلاً : انتظر .. معنى ذلك أنك تعيش فى سنة ...

ثم أصدر همهمات دالة على أنه يحسب شيئًا ما وقال : سنة 2010 هل هذا معقول ؟

ــ سنة 2009 بالتحديد ..

ـ وتريد أن أصدق ؟؟

ـ أريدك أن تساعدنى فأنا فى شك رهيب من أمرى فلا أعلم ما هى الحقيقة وما هو الوهم ..

غمر السكوت كلانا لبرهة ثم قلت كمن أحدث نفسى : أنام كشخص عادى مثلك .. بعدها أجد نفسى فى مكان آخر .. غرفة أخرى غير التى نمت فيها ـ هذا إن كنت نائمًا أصلاً ـ ... بيت مختلف تمامًا .. أجدنى أصحو من أثر نومى السابق .. لأكتشف أننى لست (أحمد) وأعيش فى سنة 2009 أدرس بكلية العلوم ..

إخوتى كما هم وإن اختلفت أسماؤهم .. كما اختلفت أسماء والدى .. أمى وأبى .

(حسن) ـ وقد ظهرت على وجهه بوادر الاهتمام ـ : بالطبع ما تعيشه هناك هو الوهم يا صديقى .. كيف يقفز عقلك هذه القفزة الواسعة .. إننى أظن أن سنة 2000 لن تأتى أصلاً .. لكن لنفترض أنك تعيش هذه الحالة يوميًا .. فكيف تصحو من نوم لم تنمه من الأساس ؟

لم تعجبنى كلمة (لنفترض) إلا أننى لم أعلق عليها وقلت : لكى أضعك فى الصورة سوف أخبرك بمثال تقريبى .. لنفترض

أنك ستنام اليوم الساعة 11 مساءً لتصحو غـدًا فى الساعة 7 صباحًا وسنسمى هذا (نوم اليوم رقم 1) فى سنة 1945 .. فعند نومك تستيقظ ـ فى نفس الوقـت ـ من النـوم فى الساعة 7 صباحًا بإحساس يدل أنك كنت نائمًا طيلة الليل ولكن فى زمن آخر فى سنة 2009 .. وعندما يمر اليوم عليك وتنام مرة أخرى سنسميه (نوم اليوم رقم 2) سنة 2009 تجد نفسك وقد استيقظت من نوم عميق وهو النـوم الخاص (باليوم رقم 1) سنة 1945 وقد رجعت لنفس الزمن الذى أنت فيه ظانًا منك أن كل ما مررت به هو حلم .. وبالتبعية يمر اليوم عليك وعندما تنام تستيقظ لتجد نفسك استيقظت من نوم (اليوم رقم 2) الذى هو فى سنة 2009 .. ويمر اليوم وتنام لتجد نفسك قد استيقظت من نوم اليوم الخاص بسنة 1945 لتصحو فى سنة 2009 وتنام لتصحو فى سنة 1945 وهكذا .. هل اقتربت الصورة الآن ؟

ظهرت على وجه (حسن) أمارات عدم الفهم قائلاً : هل تقصد أنك تنام فتستيقظ هناك ... وتنـام هنـاك لتستيقظ هنا ؟؟ مباشرة ؟؟

فأجبته : بالفعل ..

ـ إذا افترضنا أن ما تقوله صحيحًا .. فأنت لا تنام أبدًا .

ـ بغض النظر عن كلمة إذا افترضنا والتى إذا سمعتها منك مرة أخرى فلن أتوانى عن إعطائك قبضة محترمة فى عينك لأننى لا أكذب .. إن ما تقوله صحيح نظريًا ..

أخذنى (حسن) من تأملاتى ملوحًا بيـده فى الهـواء هاتفًا ـ وكأنه يحاول إيقاظ شخص نائم منذ قرون ـ :

ـ هيييييييييييييه .. أين أنت يا (أحمد) ؟؟

ـ توقفنا أين ؟

ـ لقد سألتك : هل استجد شىء فى حالتك ؟

ـ سأذهب إلى الطبيب النفسى .

ظهرت على وجهه أكبر علامة تعجب رأيتها اليوم .. فالأطباء النفسيون مسألة ليست شائعة الصيت فى مصر ـ فى هذا الوقت ـ وإن كان هناك من يهتم به فى الغرب .

فأضفت سريعًا : هناك .. سأذهب هناك .. (طارق) سيذهب إلى أحد الأطباء النفسيين .

بقت علامة التعجب كما هى !

* * * *

2009/10/23

نظر إلى مستندًا بذقنه على يده اليمنى .. ثم مد يده إلى علبة السجائر وتناول سيجارة وأشعلها وأمارات التفكير العميق تملأ وجهه .. ثم سحب منها نفسًا عميقًا .. وبعد أن نفث دخانها ليملأ محيط وجهه قال لى :

ـ هل انتهيت ؟

أجبته سريعًا : إلى حد ما .

ـ لا تترك شيئًا .

ثم سحب نفسًا أكثر عمقًا من سيجارته ، وقال :

ـ هل هناك شىء لم تخبرنى به ؟

ـ بجانب أن جميع أفراد أسرتى كما هم .. مع اختلاف أسمائهم .. إلا أن أبى ما زال حيًا هناك .. ويعمل موظفًا بهيئة السكك الحديدية .. وليس مهندسًا معماريًا

ـ وما الجديد ؟ إن كل شىء متغير فى حالتك .. فلا تستبعد

أن تجد أسماء أخواتك ووالديك مختلفة وأن أباك يعمل فى مهنة أخرى غير مهنته !

ـ لا ليس هذا فقط بل إن أبى ما زال حيًّا .

شعرت أنه كان لا ينتظر هذه العبارة ، فقال :

ـ هل أبوك متوفى ؟

ـ نعـم .

ـ منذ متى ؟

ـ منذ 6 شهور .

ـ البقاء لله .

نظر إلينا .. أنا و(هشام) الذى أصررت أن يكون متواجـدا معى .. ثم نظر إلى (هشام) قائلاً : (هشام) أطلـب منـك أن تنتظر فى الخارج .

شعرت أن (هشام) أحس بحرج ما .. وما ضايقنى أن هـذا الحرج وإن حدث فسيكون بسببى .

ابتسم (هشام) قائلاً لى :

ـ قلت لك من الأفضل أن تكون بمفردك .. سأذهب الآن .

ثم قال للدكتور وما زالت الابتسامة لم تفارق وجهه : أشكرك يا دكتور (عاصم) .

قال لى دكتور (عاصم) بعد أن تتبع (هشام) حتـى أغلـق الباب وراءه :

ـ يبدو أنه يحبك كثيرًا .. هنيئًا لك .

ابتسمت رغمًا عنى قائلاً :

ـ إنه صديقى الوحيد وأقرب إلىّ من أخى .

هز رأسه كناية عن تفهمه ، وقال :

ـ نستكمل ما كنا قد توقفنا عنده .

بعد أن انتهى من سيجارته .. أخرج قلمه الأنيق مـن جيـب جاكتته ثم أخرج ورقة فارغة من علبة صغيرة موضوعة أمامـه على المكتب بها كمية من الأوراق البيضاء الصغيرة .. ثم قـال لى وهو يدون بعض الكلمات :

ـ لنلخص الأحداث .. أنت أكبر إخوتـك .. بمجرد أن تنـام

تستيقظ فى زمن آخر لتجد نفسك تعيش أحداثًا أخـرى مختلفـة بكيان مختلف .. تنام فى هذا الزمن مرة أخرى لتجد أنك ترجـع مرة أخرى إلى زمنك الأصلى .. أبوك متوفى .. بينما تجده مـا زال حيًا هناك .. والدتك ربة منزل .. فلا عجب أن تجـدها مـا زالت ربة منزل كذلك خاصًا وأنت فى سنة 1945 .. لا تعلم منـذ متى بالتحديد حدث لك ذلك .. وتتذكر أنك كنت بخير منـذ سـنة على الأكثر .. لم تخبر أحدًا بذلك سوى (هشام) وأنا .. هـذه الحالة تحدث لك عند النوم ليلاً .. (طارق) هل جربت أن تنـام ظهرًا ؟

ــ بالطبع ولكن فى أغلب الأوقات لم يتبدل شىء .

ــ ماذا تعنى بأغلب الأوقات ؟

ــ أى هناك مرات أستيقظ فى الزمن الآخر .. ومرات لا يحـدث شىء وأستيقظ فأجد نفسى ما زلت فى هذا الزمن .

ــ هل يحدث هذا معك فى نوم المساء ؟

ــ مرات قليلة أنام فأصحو ولا أجد نفسى فى الزمن الآخر

ــ هل حدث هذا الأمر معك هناك ؟

ــ لا أفهـم .

ــ هل نمت فى الزمن الآخر واستيقظت لتجد نفسك ما زلـت هناك ؟

ــ لا أتذكر أن يكون قد حدث لى ذلك وإن كنت لا أسـتبعده .. فأنا أعيش حياة حقيقية بمعنى الكلمة .

ــ وماذا تقصد بحقيقية ؟

ــ كل شىء ملموس يا دكتور .. المعيـار القـوى والحاسـم لحكمنا على الأشياء .. إننى لا أحلـم .. ولا أعـيش وهمًـا .. أعيش حياة طبيعية مماثلة لأى شخص .. لقد جربت أن أجـرح نفسى هناك .. لأتبين هل هذا وهم أم حقيقة .. وتأكـدت أن مـا أعيشه هناك حقيقى .. بعد الألم الذى أحسست به والدماء التـى نزفتها .

ــ دماء .

ــ نعم .. صدقنى يا دكتور (عاصم) .. فأنا أخبرك بالحقيقة

ــ لماذا أنت خائف يا بنى .. أنا أصدقك .. هدئ من روعـك .. وحاول أن تبقى هادئًا .

ربما لاحـــظ الدكتور مــــن اضطراب أسلوبى فى الحديث أننى متوتر .. لم أحبذ أن أخبره بأننى أعانى من اضطراب مستمر فى لغتى .. فأجد نفسى أعانى فى بعض الأوقات من إيصال فكرتـــى .. أو ما ينبغى على قوله .. وإذا أردت ذلك ربما خرج منى بصورة مشوشة .. وإن استطعت إخراج فكرتى بشكل صحيح .. تصدعت بطريقة كلامى .. التى تضيع ثلاثة أرباع حروف الجملة .. فـــلا أستغرب أن قال لى أحدهم العديد من كلمات التى تدل على عـــدم الفهم مثل : (ها .. نعم .. ماذا قلت .. لم أفهم ..)

فاعتقدت أن أتحدث بشكل هادئ وبترو : لكن ربما توترى هذا أصابنى بالاضطراب من جديد مما جعل دكتور (عاصم) ينبهنى بلباقة إلى التحلى بالهدوء حتى يفهم ما أقول .

ـ أين هذا الجرح ؟

ـ فى يدى اليسرى .

ـ هل أستطيع أن أراه ؟

ـ إنه حدث لى فى الزمن الآخر .

ـ أعلم ذلك يا بنى ... لكنى أريد مشاهدة موضع الجرح الذى أحدثته لنفسك هناك ..

كشفت عن يدى اليسرى مشيرًا له عن موضع ما أسفل كتفى

بقليل قائلاً : هنا يا دكتور (عاصم) .

ـ أرى أنه ليس هناك أثر للجرح .

ابتسمت للمـــرة الثانية رغمًا عنى قائلاً : بالطبع ليس له أثر يا دكتور .. هذا الجرح حدث لـــ (أحمد) وليس لى .. عندما أقابلك هناك فسأريك إياه .

ضحك ضحكة خفيفة ثم قام بتدوين شىء ما ، وقال لى :

ـ هل جربت أن تنام هناك ظهرًا ؟

* * * *

1945/5/5

سائرين فى إحدى حدائق الجامعة كالعادة أنا و(حسن) ..

ـ ثم ماذا ؟

ـ لا شىء يا (حسن) .. لقد دعانى إلى زيارته فى عيادته الخاصة .. وبمفردى .

ـ وهل تثق فى دكتور (عصام) هذا .

ـ أرى أنك بدأت التأقلم .

ـ بالطبـع .. وإن كنت غيـر مصـدق فى السابق .. إنمـا تنبؤاتك كانت لها مفعول السحر على إقناعى بعكس ذلـك .. وإن كنت لم أعى أن فلسطين ستقسم وستقام هناك دولـة عبريـة .. وبأن النظام الملكى سينتهى وسيزول الطربوش إلى الأبـد ولـن تراه إلا فى الأفلام القديمة والمسل ... ما هو اسمها .

ـ المسلسلات .

ـ نعم هى .

ـ صدق ما تريد أن تصدقه ..

ـ لم تخبرنى هل تثق فى هذا الطبيب ؟

ـ إنه حاصل على درجة الدكتوراه .. كما أنه يُـدرس فـى جامعة القاهرة .. وقد أخبرناه بالأمر وقد رحب بنا فـى مكتبـه وحدد لنا الموعد ولم يتأخر علينا .. واهتم بى بـشكل كبيـر .. فلماذا لا أثق فيه ؟

ـ أرى أنك تتحدث عنه كأنك ستقابله بعد عشر دقائق وليس عندما تنام

* * * *

2009/11/2

تعددت زياراتى لعيادة دكتور (عاصم) الخاصـة .. وكنـت أذهب له فى الغالب بعد مواعيد عمل العيادة .. وكـان يـرفض بشدة فكرة دفع ثمن الكشف وكان يعتبرها إهانة .. مشيرًا إلـى أن هذا ليس علاجًا .. بل جلسة للتحاور بين أب وابنه ..

من جديد قام بإشعال سيجارة أخرى ثم قال بعد أن ملأ رئتيـه بكمية من الدخان تكفى لإصابة ثلث سكان العالم بالسرطان : هل أنت مثقف ؟

ـ لا أدرى هل هناك مثقف يقول على نفسه مثقف ؟

ضحك ضحكة بسيطة وقال : ما آخر كتاب قرأته ؟

ـ فى الواقع أنا لا أقـرأ كثيـرًا .. وإن كنت أمتلك معلومات فهى من التلفاز ... أو من الإنترنت .. أو من ....

ـ (هشام) صديقك ..

ـ بالفعل فهو مثقف جدًا ..

ـ هل حالتك تحسنت نوعًا ما أم أصبحت كما هى ؟

ـ الحقيقة لم أشعر بأى تحسن ..

أخذ دكتور (عاصم) ورقة ما أمامه وأخذ يدون عليها بعض الكلمات وقد ناولنى إياها قائلاً : (طـــارق) أريدك ألا تتردد أن تكلمنى فى أى وقت إذا احتجت ذلك .. ورجاء انتظم علـــى هـــذا العلاج الذى كتبته لك .

ـ دكتور (عاصم) أنا لست مريضًا .. فأنا أعلم الفرق بين العقل والجنون .. كما أن حالتى تعد شيئًا فريدًا لم يصل له العلم قط .

ـ أولاً : كلنا مرضى نفسيون يا بنى .. ثانيًا : حالتك هذه شائعة الحدوث وقد تأكدت من ذلك منـــذ تعدد لقاءاتنا وجلساتنا معًا .. وهى ليست سوى إرهاق لعقلك سبب لك حـــدوث تـــشوش فـــى تفكيرك .. فلا تستطيع التفرقة بين الحلم والحقيقة

ـ وأيهما الحلم وأيهما الحقيقة .. يا دكتور (عاصم) لقـــد تأكدت أننى لست متأكدًا أين الحقيقة وأين الوهم .. إن كل يـــوم يمر علىّ تقابلنى العديد والعديد من المواقف التى تثبت لى ذلك .

ـ كل هذا طبيعى جدًا ..

ثم صمت لبرهة وابتسم قائلاً :

ـ ثم هل تعلم شيئًا عن الطب النفسى ؟ عندما أقول لك إن هذا طبيعى فهذا طبيعى .. لكن رجاءً حافظ على مواعيد تناول الدواء ..

* * * *

1945/5/29

ـ إن كنت مكانك لأصبحت ملكًا .. فأنت لا تقدر قيمتك .. شخص يعلم المستقبل بإمكانه أن يصنع المعجزات .. أنك كنز ولا تدرى ذلك .

ثم ربت على كتفى بحنو مكملاً : أول ما تفعله أن تحلق ذقنك .. وتنهض لترتدى ملابسك وتخبر والدتك بأن تحضر غذاء محترمًا يليق بـــ (حسن بك أفندى) لنأكل معًا ونخرج ..

ضحكت فقال لى مسرعًا : ما زلت تمتلك حاسة السمع لا أرى أنك فقدتها مثل عقلك .

ثم استكمل ـ بلهجـــة تدل أنه لا يريد إغضابى : أمزح معك يا رجل هيا قم .

عدلت من وضعية جلوسى على السرير وقلت له : أشعر أن حالتى تتدهور .. لم أعد أستطيع تحمل هذا العذاب .. وحتى الكنز الذى تظنه .. فلا قيمة له .. فأنا لا أعلم إلا الأحداث العامة

التى ستحدث .. ولكن لا أستطيع أن أخبرك ما الذى سيحدث لك بعد ثانية واحدة .. ولن أجـد مــن سيصدق مثـلاً أن فلسطين ستقسم وستكون هناك دولة لليهود وغير ذلك .. وأقل شيء أن اتهم بالجنون .

ـ أما زلت تأخذ هذا العلاج هناك .

ـ نعم .

ـ ربما يكون هو السبب فى تدهور حالتك .

ـ ربما .. رغم أن ليس هناك علاقة صحية بما يحـدث لـى هناك وهنا .. لم أخبرك أن دكتور (عاصم) يريد منى أن أدخل المشفى النفسى الخاص بأحد أصدقائه تحت رعايته الخاصة .

معللاً بتدهور حالتى ..

ـ مشفى نفسى ؟؟

ـ مشفى خاص بعلاج أصحاب الأمراض العقلية .

ـ اااااااااااااه

ـ هل تظن أننى مجنونًا ؟

ـ نعم ولكن فى عام 2009م

ثم ابتسم وصمت .

ـ أراك مبتسمًا أكثر من اللازم يا (حسن) .

ـ لأن هناك حلاً يمكنه أن يريحك من كل هذا العذاب وهـو حل بسيط جدًا .

ـ وما هو يا عبقرى .

ـ استمع .. لن أقول لك إن هناك حلمًا وهنا حقيقـــة .. بـل سأقول لك بمنتهى البساطة لو أننى مكانك وأردت أن أرحم نفسى .. سأختار إحداهما .. سأختار حياة واحدة فقط .. الحياة التى أحبها وأستطيع العيش بها .. أفهمتنى ؟ أختار حياة واحدة فقط .

أحسست برعشــــة تسرى فى أوصــــالى فلقـــد تفهمت فكــرة (حسن) ورغم ذلك قلت له :

كيف ؟؟

ـ (طارق) عليك أن تتخلص من حياتك الأخـــرى .. أو إذا أردت أن أسايرك فى رأيك .. فتخلص من الحياة التى لا تريـــدها وأعيش فى الأخرى .. ولا أوصيك بالاختيار الصحيح فأنت تعلـــم كيف تختار وما هى الحياة التى ستختارها .

* * * *

2009/12/3

أعتقد أننى فهمت دكتور (عاصم) .. لقد خدعت فى هذا الرجل عندما رفض أن يأخذ ثمن الكشف .. كان له هدف محدد .. عندما علم أننى من أسرة عريقة .. مستواها المادى مرتفع .. تقرب إلى وحاول إيهامى بأننى مريض .. وقد أعطانى هذا الدواء إما لإيصال هذا الإيحاء لى .. أو لمحاولة جعلى مجنونًا بالفعل فالدواء قد يؤثر على عقلى .. وأجن بالفعل .. ومن ثم بدأ رحلة العلاج واستنزاف أموال عائلتى .. ولهذا قد توقفت عن تناول هذا الدواء .. وقد ازداد اعتقادى هذا ليصل إلى حد التأكد .. عندما انزعج دكتور (عاصم) من توقفى عن استخدام العلاج .. وقد قام بمقابلة أمى دون علمى وأخبرها بضرورة نقلى إلى المشفى فحالتى تسوء .. ولم يتوقف عند هذا الحد فقط .. فإنه يلح على أمى فى ذلك وبشكل مستمر .. وعلمت أنه طلب منها أن أنقل إلى المشفى ولو بالقوة إلا أن أمى لم ترد ذلك .. وصممت أن أذهب بكامل إرادتى .. على الأقل أن تحاول معى أولاً .. حتى لا تتدهور حالتى أكثر من ذلك .. وحاولت معى كثيرًا وباءت كل محاولتها بالفشل .. فأصبحت الآن على استعداد لتقبل فكرة النقل الجبرى .. استجابت أخيرًا لرأيه .. فبدل من أن يجد العلاج المناسب أجده يعيد صياغة جميع الأمور لجعلى مريضًا نفسيًا .. الآن انكشف قناع دكتور (عاصم) .. حطم كل الحواجز والخصوصيات فى سبيل أن أذهب إلى مشفى صديقه تحت رعايته .. أى ذهاب الأموال إلى حسابه وحساب صديقه .. دكتور (عاصم) فلتمت بغيظك ..

القهوة الآن أصبحت صديقتى الوحيدة .. ابتعدت عن كل الناس .. لا أريد أن أنام .. رغم أننى هناك لا أجد ما أخاف منه .. إلا أننى أريد أن أعيش حياة واحدة .. أحيانًا أغفو قليلاً لأجد نفسى فى الزمن الآخر فأغفو هناك مرة أخرى فأجد نفسى هنا .. إن الأمر يتطور وبشكل أكبر من ذى قبل .. يجب أن أوقف هذا .. وبيدى وليس بيد دكتور (عاصم) أو بغيره .. يبدو أن (حسن) معه كل الحق .. سأختار الحياة التى سأعيش بها ... سأتخذ قرارى .. قبل أن يأتوا رجال المشفى لنقلى جبرًا .. أشعر أنهم قادمون .. سأنام الآن .. أعلم أنهم لن يأخذونى جبرًا حتى ولو وافقت أمى ..

* * * *

خـــاتمـة

ــ أرأيت .. انتحارًا .. ألم أقل لك .. ها هو تقريـر الطبيـب الشرعى .

قالها وكيل النيابة إلى أحد الضباط العاملين فـى القـضية .. تناول الضابط التقرير وأخذ يتفحصه واستكمل وكيل النيابة حديثه قائلاً : كنت على هذا الرأى منذ البداية فالمتوفى كـان يتنـاول عقار (الريسبريدال) المخصص لمرضى الذهان أو الفصام كما يسميه البعض .. إلا أنه قد توقف عنه فى أواخر حياتـه وقبـل انتحاره بأيام معدودة كما علمنا من مذكراته .. المتوفى أخذ كمية كبيرة من الحبوب المنومة .. ظانًا منه بأنه سينام إلى الأبـد .. وتذكر معى إصرار دكتور (عاصم) المتابع لحالته علـى نقلـه الفورى للمشفى .. فهو أحس أن تفكير (طارق) سيقوده إلـى الانتحار ...

استلم الضابط دفة الحديث وقـال : أرى أن أهله لا يعـافون من المسئولية فكان يجب أن يتم نقله إلى المشفى سريعًا وعـدم الاهتمام برغبات فلذة كبدهم .

ــ المتوفى كان مرتبط بشدة بأبيه ــ وهذا ما وضـحه إلـى

طبيبه المعالج دكتور (عاصم) ــ .. لقد صور لـه خيالـه أن هناك حياة أخرى يعيشها لمجرد أن والده ما زال حيًّـا فيهـا .. ولا تستغرب أن علمت أن والده ولد فى عام 1945م

ثم صمت لبرهة ثم استطرد قائلاً : لقد اختار الحياة الأخـرى بالفعل .. فليرحمه الله .

تمت بحمد الله

محمود محمد محمود عبد الحليم (مصر)

* * * *

مستقبل زاهر للفائزين بإذن الله ، وإلى لقاء فى الموسم الثالث ...

وإلى أمل فى جيل جديد من الأدباء ...

ومن الخيال ...

العلمى .

د.نبيل فاروق

(تمت بحمـد الله)

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

24/7/010



فى هذا الكتاب — صفحة

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

الثمن فى مصر 700
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم